الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأصول الإيمان عندهم في تفسير السيوطي

إعداد الطالب

أحمد سالم راتب أبو كميل

إشراف الدكتور

د. يحيى علي يحيى الدجني

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة

1433هـ – 2012م



قال تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

(البقرة:120)



إلـــى روح والدي الغالي رحمـــه الله.

إلى أمـــي الحنـــونة، والزوجـــة والأولاد، والأخـــوة، والأصدقاء.

إلـــى شـــيـــوخ وشـــبـــاب وأشبـــال مسجـــد الإيمـــان فـــي المغـــراقـــة.

إلــــى أرواح الشهـــــداء الذيــــن قـــضـــــوا فــــي ســـبيــــــل اللـــــــــــــه.

إلى القابضين على الجمر في أرض الرباط (فلسطين)، المتمسكين بدينهم، والمحافظين على ثوابتهم.

إلى الثوار المخلصين من الأمة العربية الذين أزاحوا رؤوس الظلـــم والطغـــيان.

إلى حراس الأقصى من أهل فلسطين الذين لا يكلُّون ولا يملُّون عن الدفاع

عن عقيدة المسلميـــن، القبـــلة الأولى لهم المسجـــد الأقصى.

أهدي هذا الجهد المتواضع راجياً من الله عز وجل أن يتقبله وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم القيامة، وأن ينفع به المسلمين، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

أحمد أبو كميل

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أما بعد.

أحمده سبحانه حمداً كثيراً حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، بتوفيقه إيَّاي على كتابة هذه الرسالة، وأسأل الله أن ينفعي بها والمسلمين.

ثم أتوجه بخالص الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذي الدكتور المحترم: يحيي الدجني مشرفي في هذه الرسالة، على ما قام به من جهد عظيم من خلال التوجيه والإرشاد على الطريقة الصحيحة والسليمة في كتابة البحث العلمي، وقد كان الدكتور الفاضل متابعاً أولاً بأول لمجريات الأمور في كتابتي للرسالة، ولقد كان صبوراً علي وحنوناً في معاملته معي مثل الأب الحنون، فله خالص الشكر والتقدير والاحترام.

والشكر موصول لأستاذيَّ الكريمين اللذين وافقا على مناقشة هذه الرسالة، مما سيكون له عظيم الأثر على الارتقاء بها على نحو أفضل مما هي عليه،

الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي حفظه الله.

الأستاذ الدكتور/ محمد عثمان صالح حفظه الله.

فلهما مني كل الشكر والتقدير، وجزاهم الله خير الجزاء.

كما أتوجه بخالص شكري وعظيم امتناني إلى عمادة كلية أصول الدين والهيئة التدريسية فيها، وإلى عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، لجهودهم الحثيثة لتطوير مسيرة البحث العلمي.

كما لا أنسى أن أقدم شكري وتقديري إلى الأخ/ هاني الصوص الذي قام بتنسيق هذه الرسالة حتى خرجت في أبهى صورة، فجزاه الله خير الجزاء.

وأخيراً أقدم شكري واحترامي إلى كل من ساهم في إتمام هذه الرسالة على هذا الوجه، والله العظيم أسأل القبول لهذا الجهد المتواضع، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

الباحث

أحمد أبو كميل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـــا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نلجأ إليه كل يوم في صلاتنا قائلين:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. الفاتحة {6، 7}.

فصراط الله المستقيم بيِّنٌ واضحٌ لا غموض فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعـــام {153}.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هداه ربه إلى طريقه المستقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام {161}.

ومن هنا فإن التمسك بصراط الله المستقيم، وعقيدة أهل السنة والجماعة والتي تسير على صراط الله المستقيم أمرٌ متعين شرعاً، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف {3}.

وذلك لأن هذه العقيدة الصافية النقية نُقلت إلينا عن طريق الثقات العدول مـــن الـــسلف الصالح رضوان الله عليهم، فكان من سلف هذه الأمة المباركة من قام وجمع إلينا هـــذه الآثـــار المروية في مؤلفات عظيمة، بينوا لنا فيها أصول الدين والمنهج الرباني السليم، مـــن أبـــرزهم: الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) والذي يعـــد من التفاسير الأصيلة، والتي عنيت بجمع الآثار الواردة عن السلف والصحابة والتابعين.

وفي هذا البحث قمت بجمع الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأصول الإيمان عندهم في تفسير السيوطي، ودراسة هذه الآثار دراسة عقدية.

حيث حفل القرآن الكريم في كثير من الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وبالتـــالي فإن كتب التفسير مثل الدر المنثور حفلت بكثير من الآثار التي تتحدث عنهم.

حيث ورد لفظ موسى عليه الـــسلام فـــي القـــرآن (136) مـــرة، وورد لفـــظ بنـــي إسرائيل(41) مرة، ولفظ اليهود ومشتقاتها (هادوا) و(هوداً) (22) مرة[1].

وكثرة ذكر بني إسرائيل وقصصهم في القرآن الكريم يؤكد لنا أهميـــة دراســـة حقيقـــة اليهود، من حيث التعرف على أسمائهم، ومكانتهم، وأخلاقهم وصفاتهم، والوقوف على مـــوقفهم من أركان الإيمان، من خلال القرآن الكريم، والآثار الواردة عن السلف عند السيوطي.

أسأل الله ﷻ أن يوفقني في إعطاء الموضوع حقه، وأن يلهمني الرشاد والصواب.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية البحث في حديثه عن حقيقة اليهود من حيث إبراز تسميتهم، ونعـــم الله ﷻ عليهم التي أنكروها، ومن ثم استحقاقهم لعقاب الله ﷻ، بالإضافة إلى الحديث عن صفاتهم، والتي منها الكذب، والافتراء وقسوة القلب، والحسد وغيرها، وهذا كله من خلال الآثار الواردة عـــن السلف في تفسير السيوطي.

وتزداد أهمية البحث؛ لأنه يتحدث عن أصول الإيمان عند اليهود، والتي فيهـــا افتـــراء على الله ﷻوالملائكة، وتكذيب بالكتب والرسل، والاعتداء عليهم،وتحريف للإيمان باليوم الآخر.

أما عن سبب اختياري للموضوع فيتلخص في الآتي:

1- التعريف بحقائق وعقائد اليهود المزيفة، وتبيان ذلك من أقوال السلف الواردة في حقهـــم في تفسير السيوطي.

2- الحديث عن اليهود، وعقائدهم المزيفة، ونقضهم العهود يلامس ما نحياه اليوم من واقع مرير في قضيتنا الفلسطينية.

3- هذا الموضوع لم تتناوله أقلام الباحثين من خلال تفسير السيوطي، فأرجو أن يكون هذا الموضوع إضافة جديدة للمكتبة الإسلامية.

منـهج البحث :

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التحليلي.

---

(1) تم إحصاء ذلك عن طريق برنامج القرآن الكريم في المكتبة الشاملة المحوسبة.

طريقة البحث :

1- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات القرآنية بوضــعها بــين هلالين بهذا الشكل ﴿﴾، وتوثيقها في متن الرسالة، ولا أقوم بتكرار هذا التوثيق حال إيــراد الآية أو جزء منها بشكل متسلسل.

2- تخريج الأحاديث النبوية وذلك بعزوها إلى مظانها من كتب السنة، ونقل حكم العلماء عليهــا باستثناء ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما أو أحدهما، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين هلالين بهذا الشكل ( )، وسيكون التخريج على هذا النحو، بذكر أخرجه فــلان، كتاب كذا، باب كذا، رقم الحديث أرمز إليه ح(..)، الجزء ورقم الصفحة مثلاً 5/1.

3-تخريج الآثار الأخرى إذا كانت من كتب الحديث التسعة بالتخريج لواحد منهم فقط، أما باقي الآثار فسأكتفي بالتوثيق لها من الدر المنثور فقط، وذلك لكثرة المظان التي يحيلــك إليهــا السيوطي، وتخريجها يثقل الحاشية كثيراً، وسأنقل حكم العلماء عليها ما أمكن، خاصــة أن الإمام السيوطي كان يورد أحياناً الأثر دون سند الأمر الذي تعذر على أهل الاختصاص في الحديث الشريف الحكم عليها.

4- توثيق المعلومات في الحاشية على النحو التالي: ذكر اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم المحقق إن وجد، رقم الصفحة، رقم الطبعة، تاريخ النشر، دار النشر، بلد النشر، وعند عــدم ورود رقم طبعة أكتب بدون رقم طبعة، وكذا في تاريخ النشر أكتب بدون تاريخ.

5- عند تكرار الاقتباس من المراجع أكثر من مرة فاختصرت التوثيق بذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة، وإذا كان اسم الكتاب يتكون من أكثر من ثلاث كلمات فإنه يــتم اختــصار اســم الكتاب بما يدل عليه.

6- عند التوثيق أشرت لرقم الطبعة بهذه الصورة (ط1) مثلاً، وكذلك الإشــارة إلــى المحقــق بحرف (ت).

7- عند ذكر رقم الصفحة أشرت إليه برقم الصفحة دون رمز حرف ص، وعندما يكون أجــزاء سيتم التوثيق بهذه الصورة (50/1) حيث إن الرقم الأول إشارة إلى الجزء، والثاني إلى رقــم الصفحة.

8- عند الاقتباس الحرفي وضعته بين علامتي تنصيص على هذا النحو: "..."، دون الإشــارة إلى لفظ انظر في الحاشية، أما إذا كان الاقتباس بالمعنى فلا أضعه بين علامتي تنــصيص

وأشير في الحاشية بكلمة انظر، وعند الاقتباس بشكل اختصار مع التقيد بأسلوب المــصدر فسأشير بكلمة انظر وفي نهاية التوثيق أشير بكلمة بتصرف.

9- عند الاقتباس من الكتاب المقدس وضعت الكلام المقتبس بين علامتي تنصيص "..."، وعند التوثيق سأذكر السفر ومن ثم التوثيق على هذه الصورة 3: 8 بحيث يكــون الــرقم الأول إشارة إلى رقم الإصحاح، والثاني إشارة إلى رقم الفقرة.

10- وضعت فهارس للآيات القرآنية، والآثار، ونصوص الكتاب المقدس، والأعلام المتــرجم لهم، وذلك على النحو التالي:

أ-ترتيب الآيات القرآنية بحسب ترتيب سور القرآن الكريم.

ب-ترتيب الآثار بحسب الحروف الهجائية.

ج-ترتيب نصوص الكتاب المقدس بحسب ترتيب أسفاره فيه.

د-ترتيب الأعلام المترجم لهم بحسب الحروف الهجائية.

ثم أفردت قائمة بالمراجع وترتيبها هجائياً دون اعتبار (ال) التعريف، ثم فهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث لم يعثر الباحث على دراسة في هذا الموضوع في تفسير السيوطي، لكن هناك رسائل علمية وكتب تحدثت عن اليهود تتلاقي مع الموضوع هي كالتالي:

أولاً: الرسائل العلمية

1-الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعاً ودراســة عقديــة، للــدكتور: يوسف بن حمود الحوشان، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة والمــذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتحــدث فيها عن حقيقة اليهود، وأبرز صفاتهم، وعقيدتهم في أصول الإيمان، ثم تحدث عن موقــف اليهود من النصرانية والإسلام.

2-الآثار عن السلف في موقف اليهود من المسلمين والنصارى في تفسير السيوطي، للباحــث عمار غازي عبد العال، وهي عبارة عن رسالة ماجستير قدمت لقسم العقيــدة والمــذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، وتحدث فيها الباحث عــن موقــف اليهود من النصارى متمثلاً بالحديث عن موقفهم من عيسى وأمه عليهما السلام، ثم موقفهم

من النصارى بشكل عام، ثم تحدث عن موقفهم مــن الرســول صــلى الله عليــه وســلم والمسلمين، والمنتسبين إلى الإسلام.

ثانياً: الكتب

1- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، للدكتور شيخ الازهر: محمد سيد طنطاوي، تحدث فيه عــن تاريخ اليهود وأحوالهم منذ هجرتهم إلى مصر بقيادة يعقوب عليه السلام في القرن التاســع عشر قبل الميلاد تقريباً حتى التدمير الثاني لأورشليم على يد الرومان سنة 70م، ثم تحدث عن تاريخ جزيرة العرب وأحوالهم، وتحدث عن منهاج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام، ثم تحدث عن مسالك اليهود لكيد الإسلام والمسلمين، ثم تحدث عن لقاء السيف بين المسلمين واليهود، ثم تحدث عن نعم الله على بني إسرائيل، ثم تحدث عن رذائل اليهود كما صورها القرآن الكريم، ثم تحدث عن دعواهم الباطلة وكيف رد عليها القرآن الكــريم، وختم الكتاب بالحديث عن عقوبات الله لبني إسرائيل كما ذكرها القرآن.

2- الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير، للدكتور: صلاح عبد الفتــاح الخالدي، تحدث فيه عن الشخصية اليهودية من تاريخها ومواقفها من أنبيائها، ومن حيــث سماتها وأخلاقها وعقيدتها وعقوبات الله لها، ومن حيث واقعها المعاصر وكيانها الذي أقامته في فلسطين، ثم عن مصير الكيان الصهيوني من المنظور القرآني، وختم الكتــاب برؤيــة إسلامية لمستقبل الأمة الإسلامية.

وقد تميزت رسالتي بأنها تحدثت عن حقيقة اليهود، من حيث إبراز أسمائهم، ونعــم الله عليهم، وعقاب الله لهم، وصفاتهم، وعقيدتهم في أصول الإيمان، موضحاً موقفهم مــن الإيمــان بالله، والملائكة، والكتب، والأنبياء، واليوم الآخر، كل ذلك من خلال الآثار الواردة عن الــسلف في تفسير السيوطي وهو ما لم تتناوله أقلام الباحثين فيما وصل إليه علمي.

خطة البحث:

وضع الباحث خطة لهذا البحث، فجعله في مقدمة، وتمهيد وفصلين وخاتمة، وذلك علــى النحو التالي:-

المقدمة :

وتشتمل على أهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد:

وفيـــــه:

أولاً: ترجمة للإمام السيوطي.

ثانيـــــاً: التعريف (بالدر المنثور في التفسير بالمأثور) وقيمته العلمية.

ثالثـــــــاً: التعريف بمصطلحي الأثر والسلف.

رابعــاً: اليهود في عصر السيوطي.

الفصل الأول

الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في أسماء اليهود.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلة اليهود ونعم الله عليهم.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لليهود.

المبحث الرابع: الآثار الواردة في صفات اليهود.

الفصل الثاني

الآثار الواردة عن السلف في أصول الإيمان عند اليهود.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الواردة في الإيمان بالله عند اليهود.

المبحث الثاني: الآثار الواردة في الإيمان بالملائكة عند اليهود.

المبحث الثالث: الآثار الواردة في الإيمان بالكتب عند اليهود.

المبحث الرابــع: الآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء عند اليهود.

المبحث الخامس: الآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر عند اليهود.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، والتوصيات التي تخدم غرض البحث.

التمهيد

- أولاً: ترجمة للإمام السيوطي.
- ثانيـــــاً: التعريف (بالدر المنثور في التفسير بالمأثور) وقيمته العلمية.
- ثالثــــــاً: التعريف بمصطلحي الأثر والسلف.
- رابعـــاً: اليهود في عصر السيوطي.

أولاً: ترجمة الإمـــام السيـــــوطي

1-اسمـــــه ونسبـــــــه

هو "عبد الرحمن، بن الكمال أبي بكر، بن محمد بن سابق الدين، بن الفخر عثمان، بن ناظر الدين محمد، بن سيف الدين خضر، بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب، بن ناصر الدين محمد، بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي"[1]، ويلقب بالحافظ[2] جلال الدّين أبوالفضل[3].

وأما نسبته بالخضيري، فيقول السيوطي: "فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا بالخضيرية، محلة ببغداد، وقد حدثني من أثق به، أنه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة"[4].

وأما نسبته بالأسيوطي فنسبة إلى مدينة أسيوط في مصر، حيث هي مسكن والده وألف السيوطي كتاباً أسماه تاريخ أسيوط [5].

2-ولادتـــــه:

يقول الإمام السيوطي عن ولادته في كتابه التحدث بنعمة الله: "كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، فسماني والدي يوم الأسبوع عبد الرحمن"[6].

3-علمـــه وشيوخـــه:

اهتم والد جلال الدين بابنه منذ نعومة أظافره بالعلم، مما جعل نبوغ السيوطي كبيراً في مجالات شتى في العلم، حيث ورد في الكواكب السائرة كما ذكره الغزي: "إن والده ذهب به

---

(1) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، 335/1، ط1 (1967م- 1387ه) ، دار إحياء الكتب العربية

(2) الحافظ: "هو من روى ما يصل إليه، ووعى ما يحتاج إليه، أي بأن يكون ما يعلم من الأحاديث والرجال أكثر مما يجهله، وقال بعضهم تحديداً له بالعدد هو من أحاط علمه بمائة ألف حديث"، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، 20، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكر العربي

(3) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلـــي، ت- محمود الأرناؤوط،، 74/10، ط1(1406هـــ - 1986م) ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت

(4) حسن المحاضرة، 336/1.

(5) انظر: التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطي، ت- اليزابيت ماري سارتين،7، بدون رقم طبعة، بـــدون تاريخ، الطبعة العربية الحديثة، وانظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، 301/3،ط5(مـــايو 1980) ، دار العلم للملايين، بيروت.

(6) التحدث بنعمة الله،32، وانظر: حسن المحاضرة، 336/1، وانظر: شذرات الذهب، 74/10.

وعمره ثلاث سنين إلى مجلس رجل كبير لا يتيقن من هو إلا أنه يظن أنه مجلس حافظ العصر ابن حجر"[1].

ويؤكد هذا ما ذكره السيوطي في حسن المحاضرة حيث قال: "وحملت في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي، فبرك[2]علي، ونشأت يتيماً"[3].

هذه التربية الصالحة، والنشأة في بيت احتضن العلم، مهد الطريق أمام السيوطي للتبحر في العلم مبكراً، حيث يقول السيوطي: "فحفظت القرآن ولي دون ثمان سنين، ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ"[4].

وكان السيوطي قد أجيز بتدريس اللغة العربية في مستهل سنة ست وستين، وفي هذه السنة أيضاً كان أول شيء ألفه وهو شرح الاستعاذة والبسملة[5].

تبحر السيوطي في سبعة علوم وفي ذلك يقول: "وقد رزقت ولله الحمد، التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم"[6].

أما عن شيوخ السيوطي في طلبه للعلم فأخذ عن الجلال المحليّ[7]،

---

(1) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ت- خليل منصور،227/1، ط1(1418هـ - 1997م) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(2) "برك: البَرَكة: النَّماء وَالزِّيَادَةُ، والتَّبْريك: الدُّعَاءُ للإنسان أَوْ غَيْرِهِ بِالْبَرَكَةِ. يُقَالُ: بَرَّكْتُ عَلَيْهِ تَبْريكاً، أَيْ قُلْتَ لَهُ بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَبَارَكَ اللَّهُ الشيءَ وَبَارَكَ فِيهِ وَعَلَيْهِ: وَضَعَ فِيهِ البَرَكَةَ". لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري،395/10، ط3(1414هـ) ، دار صادر- بيروت.

(3) حسن المحاضرة،336/1.

(4) المصدر السابق،336/1.

(5) انظر: المصدر السابق،337/1.

(6) التحدث بنعمة الله، 83.

(7) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أحمد بن هاشم الجلال أبو عبد الله المحلي نسبة إلى المحلة الكبرى الشافعي، أصولي، مفسر، مولده ووفاته بالقاهرة (791 - 864 هـ = 1389 - 1459 م) . انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ،39/7، بدون رقم وتاريخ طبعة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.، وانظر: الأعلام، 333/5.

والزّين العقبي[1]، وقرأ على الشمس السّيرامي[2] صحيح مسلم إلّا قليلا منه، والشفا، وألفية ابن مالك، فما أتمّها إلّا وقد صنّف، وأجازه بالعربية، وقرأ في الفرائض والحساب على علّامة زمانه الشّهاب الشّارمساحي[3]، ولزم أيضاً الشّرف المناوي[4] إلى أن مات، وقرأ عليه ما لا يحصى، ولزم دروس محقّق الديار المصرية سيف الدّين محمد بن محمد الحنفي، ودروس العلّامة التّقي الشّمنّي[5]، ودروس الكافيجي [6]، وقرأ على العزّ الكناني[7] [8].

وفي هذا البحث لا يتسع المجال لذكر شيوخ السيوطي لكثرتهم كما ذكر صاحب شذرات الذهب: "وقد ذكر تلميذه الداوودي [9] في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعاً مرتّبين على حروف المعجم، فبلغت عدّتهم أحداً وخمسين نفساً"[10].

---

(1) رضوان بن محمد بن يوسف العقبي الشافعي المصري، أبو النعيم، من حفاظ الحديث، مولده بمنية عقبة بالجيزة، وإليها نسبته، وتوفي بالقاهرة (769 – 852 هـ = 1368 – 1448م) . انظر: شذرات الذهب،401/9، وانظر: الأعلام،27/3.

(2) عبد الرحمن بن يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى عضد الدين بن نظام الدين بن سيف الدين وقد يختصر فيقال سيف الصيرامي، الأصل القاهري الحنفي، ولد في ثامن شوال سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بالقاهرة، مات في يوم الجمعة منتصف ربيع الثاني سنة ثمانين. انظر: الضوء اللامع،158/4.

(3) "شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن فرج الله بن عبد الرحيم الشّارمساحي، نسبة إلى شارمساح بلد قرب دمياط الشّافعي". شذرات الذهب، 432/8.

(4) قاضي القضاة شرف الدّين أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام المناوي المصري الشافعي(798 – 871 هـ = 1396 – 1467 م) . انظر: شذرات الذهب، 463/9، وانظر: الأعلام، 167/8.

(5) تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن العلّامة كمال الدّين محمد بن محمد بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله الشمنّي، القسنطيني، الحنفي (801 – 872 هـ = 1399 – 1468 م) . انظر: شذرات الذهب،464/9، وانظر: الأعلام، 230/1.

(6) محيى الدّين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرّومي البرعمي الحنفي، المعروف بالكافيجي، لقّب بذلك لكثرة اشتغاله بكتاب الكافية في النحو (788 – 879 هـ = 1386 – 1474 م) . انظر: شذرات الذهب، 488/9، وانظر: الأعلام، 150/6.

(7) قاضي القضاة عزّ الدّين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن نصر الله بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، ثم المصري، الحنبلي، شيخ عصره وقدوته، ولد في ذي القعدة سنة ثمانمائة، توفي ليلة السبت حادي عشر جمادى الأولى سنة 876هـ. انظر: شذرات الذهب، 479/9، 480.

(8) انظر: المصدر السابق، 75/10، بتصرف.

(9) شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، الداوودي المالكي المصري الشافعي شيخ أهل الحديث في عصره، من تلاميذ جلال الدين السيوطي، توفي بالقاهرة 945 هـ– 1538 م. انظر: شذرات الذهب 375/10 ، وانظر: الأعلام، 291/6.

(10) شذرات الذهب، 76/10.

4- رحلات السيوطي:

عادة ما يقوم العلماء الكبار في التنقل والترحال من بلدة لأخرى لزيادة العلم والتبحر في الثقافات والعلوم المختلفة، وكان درب السيوطي درب العلماء الكبار فيقول: "وسافرت بحمد الله تعالى الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور[1] "[2].

وسافر الإمام السيوطي إلى الإسكندرية ودمياط وكتب مؤلفاً جمع فيه فوائد هذه الرحلة وسماه (الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)، وباسم آخر (قطف الزهر في رحلة شهر)[3].

5- مؤلفات السيوطي:

عدها الداوودي بالمئات كما ذكر صاحب الشذرات، فقال: "واستقصى أيضاً مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النّافعة المتقنة المحرّرة المعتمدة المعتبرة، فنافت عدتها على خمسمائة مؤلّف، وشهرتها تغني عن ذكرها، وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقاً وغرباً"[4].

وقد ذكر الغزي في الكواكب السائرة في ترجمته "وألف المؤلفات الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة نيفت عدتها على خمسمائة مؤلف"[5].

قال ابن العماد: "وكان آية كبرى في سرعة التأليف، حتّى قال تلميذه الداوودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة"[6].

أما عن شهرة مصنفاته فقال الغزي: "وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في البلاد الحجازية والشامية والحلبية وبلاد الروم والمغرب والتكرور والهند واليمن"[7].

---

(1) "مدينة في بلاد السودان بالقرب من نهر النيجر، وهي أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم، وطعام أهل سلى وأهل تكرور السمك والذرة والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال والمعز، ولباس عامة أهلها الصوف وعلى رؤوسهم كرازي الصوف ولباس خاصتهم القطن والمآزر". الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، ت- إحسان عباس، 134، ط2(1980) ، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.

(2) حسن المحاضرة، 338/1.

(3) انظر: التحدث بنعمة الله، 83.

(4) شذرات الذهب، 76/10.

(5) الكواكب السائرة، 228/1.

(6) شذرات الذهب، 76/10.

(7) الكواكب السائرة، 228/1.

ومن أبرز مؤلفات السيوطي [1]:

أ- في التفسير وتعلقاته والقراءات

الإتقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لباب النقول في أسباب النزول، تناسق الدرر في تناسب السور، شرح الاستعاذة والبسملة، شرح الشاطبية، الألفية في القراءات العشر.

ب- في الحديث وتعلقاته

الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عين الإصابة في معرفة الصحابة، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، منهاج السنة.

ج- في الفقه وتعلقاته:

الأشباه والنظائر، الجامع في الفرائض، المصابيح في صلاة التراويح، بلغة المحتاج في مناسك الحاج، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب.

د- في العربية وتعلقاتها

شرح ألفية ابن مالك ويسمى البهجة المضية في شرح الألفية، الأخبار المروية في سبب وضع العربية، المصاعد العلية في القواعد النحوية، شرح كافية ابن مالك، تعريف الأعجم بحروف المعجم.

ه- في الأصول والبيان والتصوف

شرح لمعة الإشراق في الاشتقاق، الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع، شرح الكوكب الوقاد في الاعتقاد، مختصر الإحياء، المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة.

و- في التاريخ والادب:

طبقات الحفاظ، طبقات المفسرين، حلية الأولياء، طبقات شعراء العرب، تاريخ الخلفاء.

6- العزلـــة والوفـــاة

أ- عزلته: ذكر الغزي، وابن العماد عن عزلة السيوطي فقالا: "ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس،

---

(1) انظر: حسن المحاضرة، 339/1 – 344، بتصرف.

واعتذر عن ذلك في مؤلّف سمّاه (التنفيس) وأقام في روضة المقياس[1] فلم يتحوّل منها إلى أن مات، ولم يفتح طاقات بيته التي على النّيل من سكناه، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته، ويعرضون عليه الأموال النّفيسة فيردّها"[2].

ب- وفاته: توفي الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى في منزله بروضة المقياس، بعد أن تمرّض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً، ودفن في حوش قوصون[3] خارج باب القرافة[4]، رحمه الله، وأسكنه بحبوحة الجنة.. آمين[5].

ثانياً: التعريف بالدر المنثور وقيمته العلمية:

التفسير المعتد به عند جمهور العلماء ينقسم إلى قسمين الأول: التفسير بالمأثور، والثاني: التفسير بالرأي، وهو الذي يكون مبني على الرأي السديد، والاجتهاد المبني على العلوم والمعارف، والتفسير بالرأي لا ينفك عن المأثور نهائياً، حيث أنه لا يمكن لصاحب التفسير بالرأي أن يستغني عن المأثور[6].

---

(1) الروضة: جزيرة على شاطئ النيل كانت متنزه للملوك، ومسكن للناس، وأنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بالروضة قلعة واتخذها سرير ملك فسميت بقلعة المقياس. انظر: حسن المحاضرة، 381/2.

(2) الكواكب السائرة، 229/1، شذرات الذهب، 76/10.

(3) قوصون: هو الأمير الكبير سيف الدين قوصون، زوجه الملك الناصر محمد بن قلاوون بابنته، وتزوج هو بأخته، وكان من أكبر الأمراء المقربين إليه، ومن آثاره بالقاهرة مسجدان أحدهما باق إلى الآن وباسمه في بشارع محمد علي، والآخر بالقرافة بجوار حوشه خارج باب القرافة، وهذا المسجد لم تبق منه إلا القبة، وبجوار هذا المسجد حوش قوصون من الناحية الشرقية. انظر: قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه، أحمد تيمور، 13و15، بدون رقم طبعة 1346هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

(4) يرجع اسم القرافة لقوم من اليمن يقال لهم بنو قرافة، وكان في مصر مكانين أحدهم القرافة الكبرى وكانت شرقي مدينة الفسطاط، والأخرى القرافة الصغرى وهو المكان الذي بنى فيه الملك الكامل الأيوبي القبة على مقام الإمام الشافعي ودفن ابنه فيه سنة 608هـ، حينها أقبل الناس على البناء حول هذا المقام فعرف باسم القرافة الصغرى وبقرافة الإمام الشافعي، وامتدت في سفح المقطم، وعظم البنيان فيها حتى تلاشى أمر الكبرى، وفي غرب القرافة الصغرى باب القرافة المقصود، ويعرف اليوم عند العامة في مصر اليوم بباب السيدة عائشة رضي الله عنها لقربه من مسجدها. انظر: المصدر السابق، 7.

(5) انظر: الكوكب السائرة، 231/1، وانظر: شذرات الذهب، 78/10، 79، بتصرف.

(6) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، 43، ط4، بدون تاريخ، مكتبة السنة.

تعريف التفسير بالمأثور

"يشمل التفسير المأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"[1].

تعريف التفسير بالرأي

"عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم فى القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسِّر"[2].

التعريف بالدر المنثور

الدر المنثور هو أحد المؤلفات الأصيلة التي عنيت بالتفسير بالمأثور، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي عن تفسيره والذي اختصره "فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وتم بحمد الله في مجلدات فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر وسميته(بالدر المنثور في التفسير بالمأثور)"[3].

منهج السيوطي في الدر المنثور

في مقدمة تفسير السيوطي ذكر محقق الدر المنثور عبد الله التركي منهج السيوطي والتي منها [4]:

1- يبتدأ السورة بذكر اسمها، وعدد آياتها، ثم المكي والمدني، ثم يقسم السورة إلى آيات من غير ترقيم.

---

(1) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، 112/1،بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة.

(2) المصدر السابق، 183/1

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، 3/1، 4، ط1 (1424ه- 2003م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية

(4) انظر: المصدر السابق، ص56و57

2- أهمل تفسير بعض الآيات.

3- كان يعزو القراءة لقارئها من الصحابة أو من رواها دون أن يبين هل هي صحيحة أو شاذة.

4- عند ذكره للآثار كان يخلط بين الصحيح والضعيف والمنكر والموضوع دون تحقيق، فنتج عن ذلك أنه ضمن كتابه الكثير من الغرائب والعجائب والإسرائيليات.

5-الاستطراد في مواضيع لا صلة لها بالتفسير مثل الحديث عن ابتلاءات إبراهيم عليه السلام.

وقد تحدث محمد أبو شُهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير عن منهج الدر المنثور فقال: "جمع فيه الروايات عن النبي، والصحابة، والتابعين، ولم يذكر فيه إلا المرويات الصرفة، وقد ذكر في مقدمته، أنه لخصه من كتابه: "ترجمان القرآن"، وهو التفسير المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين، وقد التزم فيه إخراج الأسانيد التي روى بها الأئمة هذه المرويات، وعزى كل رواية إلى من أخرجها"[1].

2- القيمة العلمية للدر المنثور

تبرز القيمة العلمية لهذا الكتاب لأنه من الكتب التي اقتصرت على التفسير بالمأثور، ولم يتطرق إلى التفسير بالرأي كباقي كتب التفسير التي عنيت بالمأثور وتطرقت للتفسير بالرأي[2].

ويقول عبد الله التركي في مقدمة التحقيق لكتاب الدر المنثور: "فإن أهمية الكتاب تبرز بوجه خاص فيما حفظ لنا من النصوص والروايات التي ضاعت أصولها فلم تصل إلينا"[3].

وتزداد الأهمية لاحتياج الباحثين إليه في علم التفسير، ويعلق عبد الله التركي بقوله: "فلا يستغني عنه باحث في علم التفسير اذ استوعب معظم المرويات التي خرجها السلف في التفسير وما يتعلق به"[4].

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات، 124

(2) انظر: التفسير والمفسرون، 181/1.

(3) الدر المنثور، 10/1.

(4) المصدر السابق، 10/1.

ثالثًا: التعريف بمصطلحي الأثر والسلف

1-التعريف بالأثر

أ-الأثر لغة:

"بقية الشيء، والجمع آثار وأثور"[1]، وفي المعجم الوسيط: "الْعَلامَة ولمعان السَّيْف وَأثر الشَّيْء بَقِيَّته وَفِي الْمثل (لَا تطلب أثراً بعد عين) يضْرب لمن يطْلب أثر الشَّيْء بعد فَوت عينه وَمَا يحدثه وَجَاء فِي أَثَره فِي عقبه وَمَا خَلفه السَّابِقُونَ وَالْخَبَر الْمَرْوِيّ وَالسّنة الْبَاقِيَة"[2].

ب-الأثر اصطلاحا: له معنيان هما [3] :

الأول: وهو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة قبل البعثة أو بعدها.

الثاني: هو ما جاء عن الصحابة والتابعين.

تعريف السلف لغة واصطلاحاً

أ-السلف لغة:

"سلف يسلف بالضم سلفاً بفتحتين أي مضى، والقوم السلاف المتقدمون، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسلاف والسلف بفتحتين أيضا نوع من البيوع يعجل فيه من الثمن وتضبط السلعة بالوصف إلى أجل معلوم"[4] .

ب-السلف اصطلاحاً:

يرى الإمام السفاريني أن المراد بمذهب السلف هو: "مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَعْيَانُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ مِمَّنْ شُهِدَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَعُرِفَ عِظَمُ شَأْنِهِ فِي الدِّينِ، وَتَلَقَّى النَّاسُ كَلَامَهُمْ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، دُونَ مَنْ رُمِيَ بِبِدْعَةٍ، أَوْ

---

(1) لسان العرب، 52/1.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) ، 5/1، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الدعوة.

(3) انظر: الميسر في علوم الحديث، د. أحمد أبو حلبيية و د. نعيم الصفدي، 10،11، ط1 (1426هـ - 2005م) ، بتصرف.

(4) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت- أحمد شمس الدين، 165، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

شُهِرَ بِلَقَبٍ غَيْرِ مَرْضِيٍّ مِثْلِ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُمْ عِنْدَ تَعْدَادِ الْفِرَقِ"(1).

ويقول صاحب كتاب الوجيز في عقيدة السلف: "إذا أُطْلِقَ السلفُ عندَ علماءِ الاعتقادِ فإنَّما تدور كل تعريفاتهم حول الصحابة رضي الله عنهم، أَو الصحابة والتابعين، أَو الصحابة والتابعين وتابعيهم رحمهم الله من القرون المفضلة، من الأَئمَّةِ الأَعلامِ المشهودِ لهم بالإِمامةِ والفضلِ وإتباع السنة والإِمامةِ فيها، واجتناب البدعةِ والحذر منها، وممن اتفقت الأُمّةُ على إِمامتهم وعظيم شأنهم في الدِّين، ولهذا سمي الصدرُ الأول بالسلَف الصالح"(2).

ويرى صاحب كتاب الوجيز أيضاً أن: "التحديد الزمني ليس شرطاً في ذلك؛ بل الشرط هو موافقة الكتاب والسنَّة في العقيدة والأَحكام والسلوك بفهم السَّلف، فكل من وافق الكتاب والسُّنَة فهو من أتباع السَّلف، إن باعد بينه وبينهم المكان والزمان، ومن خالفهم فليس منهم وإن عاش بين ظهرانيهم"(3).

لذلك يرى أن السلف منهج فيقول "ويطلق على كل من اقتدى بالسلف الصالح وسار على نهجهم في سائر العصور: سلفي نسبة إليهم"(4).

لكن الأستاذ محمد عمارة في كتابه السلفية يذكر أن القرآن الكريم وهو كتاب العرب الأول أن معنى السلف الماضي وما سبق من الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ**﴾ سورة البقرة {275} وقوله: ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ سورة النساء {23} وقوله: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ سورة الحاقة {24}.

ويردف الأستاذ محمد عمارة في حديثه عن السلفية قائلاً أن السنة النبوية جاءت تدل على أن السلف بمعنى الماضي، ويذكر أحاديث تدل على ذلك ففي مسند أحمد عن فاطمة

---

(1) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، 20/1، ط2(1402هـ – 1982م) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

(2) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، 27، ط1(1422هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(3) المصدر السابق، 28.

(4) المصدر السابق، 32.

الزهراء رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرض موته: (وَلَا أُرَاهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ) [(1)] .

ويقول أيضا أن معاجم اللغة العربية تؤيد هذا المعنى فلسان العرب والمعجم الوسيط تؤيد ذلك. ثم يعقب قائلا إذا علمنا ذلك أدركنا أن القرآن والحديث ومعاجم اللغة وكشافات التعريفات والمصطلحات في تراثنا وحضارتنا قد أجمعت على أن السلف هو الماضي والمتقدم وعلـــى أن السلفيين هم الذين يحتذون حذو هذا الماضي والمتقدم والسالف[(2)].

رابعـــًا: اليهود في عصر السيـــوطي

عاش الإمام السيوطي حياته في آخر النصف الأول من القرن التاسع الهجري إلى أوائل القرن العاشر ما بين 849هـــ إلى 911هـــ، فأدرك آخر العهد المملوكي إذ كانت مصر والشام في حوزة السلاطين والمماليك[(3)].

وبالتوضيح السابق لعصر السيوطي نستطيع أن نعرض حياة اليهود في عصره، حيث أن السيوطي أدرك آخر العهد المملوكي، وبالحديث عن اليهود في العصر المملوكي في مصر نكون قد وقفنا على حقيقة هذا المطلب وهو اليهود في عصر السيوطي.

وسيكون الحديث على النحو التالي:

1-فرق اليهـــود

كانت الفرق اليهودية الثلاث بمصر زمن المماليك هي: الربانيون، والقراءون، والسامرة. أما الربانيون فقد كانوا يمثلون غالبية يهود مصر آنذاك وتعني هذه الكلمة الإمام أو الحبر أو الفقيه، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ سورة المائدة {44}.

(1) أخرجه أحمد في مسنده، مُسْنَدُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ، ح(26413) ، 9/44. قـــال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) انظر: السلفية، محمد عمارة، 6 – 8، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار المعارف والنشر، تونس.

(3) انظر: الإمام السيوطي داعية الاجتهاد والتجديد، د. مروان القدومي، 1، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ.

وقد ذكر صاحب كتاب عصر سلاطين المماليك أن اليهود الربانيون تميزوا عن غيرهم من فرق اليهود بشرح لغوامض التوراة كتبها أحبارهم كما أنهم انفردوا بتلك التعريفات المنسوبة إلى موسى عليه السلام وأباحوا تحريف التوراة.

أما الفرقة الثانية من فرق اليهود في مصر في هذا العصر فرقة القرائين، والتي تعني قرأ، وذلك لأنهم لا يؤمنون بغير التوراة المكتوبة التي يمكنهم قراءتها، فهم لا يؤمنون بما جاء في التلمود أو غيره من الكتب التي يؤمن بها الربانيون [1].

أما السامرة فقد كانوا أقلية صغيرة العدد في مصر أيام سلاطين المماليك، والباحثون اليهود من فرقة الربانيين والقرائين لا يعتبرون اليهود السامرة فرقة إلا أن الدولة آنذاك قد عاملتهم على أساس أنهم فرقة تنطبق عليهم شروط أهل الذمة[2].

والسامرة هم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة طه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ سورة طه{85} [3].

2-رئيـــس اليهود

كان لليهود في عصر المماليك رئيس رغم اختلاف فرقهم وقد كان يطلق عليه اسم (رئيس اليهود) أو اسم الريس، أما الاسم العبري فهو الناجد ومعناها الزعيم أو الأمير[4].

أما عن صلاحيات رئيس اليهود فيقول الدكتور قاسم عبده قاسم: "فقد تمتع رئيس اليهود بسلطات واسعة على أبناء الطائفة اليهودية، كما كان له حق الإشراف على شؤون الطوائف الثلاث في بداية العصر، كذلك كان عليه تنظيم علاقة اليهود بالدولة، كما كان من حقه تنظيم شؤونهم الدينية واختيار واحد من كل فرقة يهودية لتنظيم شؤون الفرقة، ويبدو أنه قد أصبح لكل من السامرة والقرائين رئيس مستقل في فترة متأخرة من عصر سلاطين المماليك"[5].

---

(1) انظر: عصر سلاطين المماليك، د. قاسم عبده قاسم، 88، 89، ط1(1415هـ -1994م) ، دار الشروق، القاهرة.

(2) انظر: المصدر السابق، 91.

(3) انظر: اليهود في مصر، د. قاسم عبده قاسم، 53، ط1(1413هـ - 1993م) دار الشروق، القاهرة

(4) انظر: عصر سلاطين المماليك، 92.

(5) انظر: المصدر السابق، 92.

3-**أعيـــاد اليهود:** قسمت المصادر العربية أعياد اليهود في عصر سلاطين المماليك إلى قسمين[1]:

القسم الأول: الأعيـــــــاد الشرعية: وهي التي تحدثت عنها التوراة وعددها خمسة أعياد.

أ- **عيد رأس السنة العبرية:** ويحتفل بهذا العيد في ذكرى افتداء اسماعيل بعد أن كاد ابراهيم عليه السلام أن يذبحه تنفيذا لأمر الله، واليهود تعتقد بأن الذبيح إسحاق، ولكن قاسم عبد قاسم ذكر هنا إسماعيل بناءً على أنه مسلم.

ب-**عيد صوماريا:** ويسمى الكبور وهو يوم الغفران أو الكفارة عند اليهود.

ج- **عيد الظلل:** وهذا العيد سبعة أيام يُعيِّدون في أولها واليوم الثامن عيد الاعتكاف عند الربانيين.

د-**عيد الفطير:** ويعرف بعيد الفصح.

ه- **عيد الأسابيع:** ويعرف بعيد العنصرة والخطاب، والأسابيع التي أنزل الله تعالى فيها على بني إسرائيل الفرائض.

القسم الثاني: الأعياد غير الشرعية: وهي الأعياد المحدثة وهما عيدان:

أ-**عيد الفوز:** اسمه العبري البوريم، واتسمت مظاهر هذا العيد باللهو والمرح حتى أطلقت عليه المصادر العبرية عيد المساخر أو المسخرة.

ب-**عيد الحنكة:** ويستمر ثمانية أيام.

4- معـــــابد اليهــود

كان لليهود في عصر السيوطي معابد يتعبدون بها، حيث كانت الدولة الإسلامية في عهد المماليك تتيح لهم ذلك، وهذا من سماحة الإسلام على أساس أنهم أهل ذمة "فقد أحصى المقريزي[2] لهم إحدى عشرة كنيسة أو معبداً في القاهرة والفسطاط وأقاليم البلاد المصرية كلها"[3].

---

(1) انظر: اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتـــى الغـــزو العثمـــاني، د. قاســـم عبـــده قاســـم، 59-64، ط1(1980)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(2) تقي الدّين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصّمد المقريـــزي الحنفي الأصل المصري المولد والدار والوفاة الإمام العالم البارع، عمدة المـــؤرّخين، وعـــين المحـــدّثين. (766 - 845 هــ = 1365 - 1441 م) انظر: شذرات الذهب، 370/9، وانظر: الأعلام، 177/1.

(3) اليهود في مصر منذ الفتح العربي، 65،64.

5- الحالة الاجتماعية لليهـــود:

اليهود في عصر سلاطين المماليك كانت أعدادهم قليلة [1].

ومع أنهم أقلية هذا لم يؤثر على حقهم فقد عمل اليهود في شتى مجالات الحرف المصرية، يقول صاحب كتاب عصر سلاطين المماليك: "وعلى أية حال فإنه يبدو أن اليهود قد عملوا في مختلف الحرف التي عرفها المجتمع المصري آنذاك ولا سيما النشاط المصرفي والأعمال المالية"[2].

ومن عظم الإسلام وسماحته فقد تقلد أهل الذمة مناصب في الدولة الإسلامية في عهد المماليك، حيث أصبح لهم نفوذ أفزع المعاصرين آنذاك يقول قاسم: "ويبدو أن نفوذ أهل الذمة من اليهود والنصارى العاملين في الجهاز الإداري لدولة سلاطين المماليك قد أفزع المعاصرين"[3].

يتضح مما سبق أن اليهود كانوا يعيشون كما يعيش أهل الذمة في الدولة الإسلامية، فسماحة الإسلام وعظمته تعطي أهل الذمة اليهود والنصارى، حقوقهم كاملة غير منقوصة، وهذا ما كان حادثاً في عصر السيوطي رحمه الله تعالى، حيث يظهر ذلك من خلال ما ذكرت عن عدد معابد اليهود في عصره، ومن خلال ما تحدثت عن الحالة الاجتماعية لليهود مع أنهم أقلية إلا أن اليهود في عصر السيوطي تقلدوا أعلى المناصب وكان لهم نشاطات مالية كبيرة.

---

(1) انظر: عصر سلاطين المماليك، 95

(2) المصدر السابق، 95.

(3) اليهود في مصر، 90.

الفصل الأول

الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود

- المبحث الأول: الآثار الواردة في أسماء اليهود.
- المبحث الثاني: الآثار الواردة في منزلة اليهود ونعم الله عليهم.
- المبحث الثالث: الآثار الواردة في عقاب الله لليهود.
- المبحث الرابع: الآثار الواردة في صفات اليهود.

المبحث الأول

الآثار الواردة في أسماء اليهود

يشتهر اليهود بعدة أسماء هي بني إسرائيل، اليهود، أهل الكتاب، أهل التوراة، العبرانيين، والسيوطي رحمه الله في تفسيره الدر المنثور أورد عدداً من الآثار تتحدث عن موضوع هذا المبحث، وسأبين ذلك من خلال أربعة مطالب.

المطلب الأول: تسميتهم ببني إسرائيل

ورد في القرآن الكريم تسمية اليهود ببني إسرائيل، فما معنى لفظ إسرائيل؟ وما هو سبب التسمية؟ وما هي مدلولات هذه التسمية في العقيدة اليهودية؟ وما موقف القرآن من هذه التسمية؟ هذه الأسئلة سيتمحور الحديث عنها في هذا المطلب.

أولاً: الآثار الواردة في معنى لفظ إسرائيل، وسبب التسمية.

أورد السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تتحدث عن معنى لفظ إسرائيل، وسبب التسمية بهذا الاسم، قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ البقرة {40}، ومن ذلك الآثار الآتية:

"أخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن المنذر، عن ابن عباس قال: إسرائيل يعقوب"[1].

"وأخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن جَرِير، وَابن المنذر، وَابن أبي حاتم، عن ابن مسعودﷺ قال: إسرائيل هو يعقوب"[2].

"وأخرج ابن جرير،عن ابن عباس: إن إسرائيل وميكائيل وجبريل وإسرافيل كقولك عبد الله"[3].

(1) الدر المنثور، 337/1.

(2) المصدر السابق، 337/1.

(3) المصدر السابق، 337/1. صحيح، انظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين،203/1، ط1(1420 – 1999م) ، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية.

"وأخرج ابن جرير، عن عبد الله بن الحارث البصري قال: إيل الله بالعبرانية"(1).

يتبين من خلال الآثار السابقة أن تسمية اليهود ببني إسرائيل، ترجع إلى تسمية يعقوب عليه السلام باسم إسرائيل، وهو ما صدقه القرآن قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران {93}، وقال أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مريم {58}.

ويدلل على ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، في حديث طويل، (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: ... هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ...) (2).

فإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ويتضح من خلال الآثار أن كلمة إسرائيل تعني عبد الله، يقول الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ "يعني بقوله جل ثناؤه: يا بني إسرائيل ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، وكان يعقوب يدعى إسرائيل، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه، و"إيل"هو الله، و"إسرا"هو العبد، كما قيل: جبريل بمعنى عبد الله"(3).

يقول طنطاوي: "وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة، ومن (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة عبد الله، أو صفوة الله"(4).

---

(1) الدر المنثور، 338/1. أخرجه ابن جرير عن ابن حميد، وابن حميد شيخ الطبري ضعيف. انظر: الروايات التفسيرية في فتح الباري، عبد المجيد الشيخ عبد الباري، 155/1، ط1(1426هـ - 2006م) ، وقف السلام الخيري.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند ابن عباس، ح(2514) ، 4/ 310 - 312، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت- أحمد محمد شاكر، 553/1، ط1(1420 هـ - 2000 م) ، مؤسسة الرسالة.

(4) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، 12، ط2(1420هـ - 2000م) ، دار الشروق، القاهرة.

ثانياً: أبناء يعقوب عليه السلام وأسماؤهم

وأما بنو إسرائيل أو يعقوب، فهم الأسباط الاثنا عشر، "أخرج ابن جرير، عن ابن عباس قال: الأسباط بنو يعقوب، كانوا اثني عشر رجلاً، كل واحد منهم ولد سبطاً أمة من الناس"(1).

"وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتمﷺ، عن السدي قال: الأسباط بنو يعقوب: يوسف، وبنيامين، وروبيل، ويهوذا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقهات، وكوذ، وباليوق"(2) .

وأخرج الإمام الطبري بسنده، عن محمد بن إسحاق قال: "نكح يَعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل ابنة خاله "ليا" ابنة ليان بن توبيل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون بن يعقوب، ولاوي بن يعقوب، و"يهوذا بن يعقوب، وريالون بن يعقوب، ويشجر بن يعقوب، ودينة بنت يعقوب، ثم توفيت ليا بنت ليان، فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين، وهو بالعربية أسد، وولد له من سُرِّيتين له اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهية، أربعة نفر دان بن يعقوب، ونَفثالي بن يعقوب، وجَاد بن يعقوب، وإشرب بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشرَ رجلا نشر الله منهم اثنَى عشر سبطًا، لا يُحصى عددَهم ولا يعلم أنسابَهم إلا الله، يقول الله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا**﴾ الأعراف {160}"(3).

يقول طنطاوي "ومن أبناء يعقوب عليه السلام وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل، ونسبت إليه"(4).

ثالثاً: مصطلح بني إسرائيل في المعتقد اليهودي

قبل الحديث عن مصطلح بني إسرائيل في المعتقد اليهودي، فقد ذكر السيوطي في تفسيره أثراً يشابه ما نود الحديث عنه في المعتقد اليهودي، فقد أخرج السيوطي عن "عَبد بن حُمَيد، وَابن المنذر عن أبي مجلز قال: كان يعقوب رجلاً بطيشاً فلقي ملكاً فعالجه فصرعه الملك

(1) الدر المنثور، 725/1. أخرجه ابن جرير بسند حسن عن قتادة، انظر: الصحيح المسبور، 246/1
(2) الدر المنثور، 725/1.
(3) جامع البيان، 112/3، 113.
(4) بنو إسرائيل، 12.

فضربه على فخذيه فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال: ما أنا بتاركك حتى تسميني اسما، فسماه إسرائيل، قال أبو مجلز: ألا ترى أنه من أسماء الملائكة إسرائيل وجبريل وميكائيل وإسرافيل"[1].

إن هذا الأثر والذي ذكره السيوطي ليس صحيحاً؛ بل هو من الإسرائيليات، وذلك لمخالفته القرآن والسنة حيث يقول صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي بخصوص هذا الموضوع: "فضيحة أخرى: زعم اليهود أن يعقوب عند منصرفه من حران [2] طالباً بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب وتألم ورك يعقوب حين دنا منه الملك، وأن الملك بقي في يد يعقوب مقهوراً حتى قال له: دعني وأباركك فلهذا لا يأكل اليهود عرق الفخذ، وربما قال بعض جهال اليهود: إن الذي صارعه يعقوب هو الله تعالى الله عن جهلهم علواً كبيراً وأستغفره من حكاية أقوالهم"[3].

وفي كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي والناشر له دار الكتب العلمية في بيروت هناك تعليق على هذا الأثر هو "لا يخفى ما فيه من بعد"[4].

وأيضاً مما يدلل على أن هذا الحديث من الإسرائيليات ورود ما يوافقه في سفر التكوين حيث جاء فيه "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِ فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ"[5].

---

(1) الدر المنثور، 337/1. من الإسرائيليات كما ذكرت في المتن 20، 21.

(2) "مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم"، معجم البلدان، ياقوت الحمـــوي، 235/2، ط2(1995م) ، دار صادر، بيروت.

(3) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشـــمي، ت- محمـــود عبـــد الرحمن قدح، 569/2، ط1(1419هــ - 1998م) ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(4) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) ، جلال الدين السيوطي، 5/2، ط1(1408هــ - 1988) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

(5) سفر التكوين، 32: 24-29.

هذه القصة في سفر التكوين فيها تشابه مع أثر أبي مجلز، إلا أن فيها خلاف في تحديد مع من المصارعة ففي الأثر مع ملك وفي سفر التكوين مع الله سبحانه، وللتحقيق في هذه المسألة يقول الإمام ابن حزم: "وَلَقَد ضربت بِهَذَا الْفَصْل وُجُوه المتعرضين مِنْهُم للجدال فِي كل محفل فثبتوا على أَن نَص التَّوْرَاة أَن يَعْقُوب صارع ألوهيم وَقَالَ: أَن لفظ ألوهيم يعبر بهَا عَن الْملك فَإِنَّمَا صارع ملكاً من الْمَلَائِكَة فَقلت لَهُم سِيَاق الْكَلَام يبطل مَا تَقولُونَ ضَرُورَة أَن فِيهِ كنت قَويا على الله فَكيف على النَّاس، وَفِيه أَن يَعْقُوب قَالَ رَأَيْت الله مُوَاجهَة وسلمت نَفسِي وَلَا يُمكن الْبَتَّةَ أَن يعجب من سَلامَة نَفسه إِذْ رأى الْملك وَلَا يبلغ من مس الْملك لما نَص يَعْقُوب أَن يحرم على بني إِسْرَائِيل أكل عروق الْفَخْذ فِي الْأَبَد من أجل ذَلِك، وَفِيه أَنه سمي الْموضع بذلك فنيئيل لِأَنَّهُ قَابل إيل وَهُوَ الله عز وَجل بِلَا احْتِمَال عنْدكُمْ"[1].

إذاً من خلال تعليق ابن حزم يتبين أن اليهود يزعموا أن تفسيرهم لكلمة ألوهيم تعني (ملك) ولا يقصدوا بذلك الله وهذا يرسخ أن أثر أبي مجلز من الإسرائيليات، لكن ابن حزم رد عليهم ردودً كافية تثبت كذبهم، وأنهم يقصدون (الله)، حتى وإن كانوا أيضاً يقصدون ألوهيم (ملك) فقد رد عليهم ابن حزم على ذلك فقال: "ثمَّ لَو كَانَ ملكا كَمَا تدعون عِنْد المناظرة لَكَانَ أَيْضا من الخطأ تصارع نَبِي وَملك لغير معنى فَهَذِهِ صفة المتحدين فِي العنصر لَا صفة الْمَلَائِكَة والأنبياء"[2].

هذه القصة والتي وردت في سفر التكوين من القصص الشنيعة التي وردت في حق الله تبارك وتعالى، إذ كيف يصارع يعقوب الله، وهو سبحانه لا يتصف بصفات البشر، ففي هذه القصة تشبيه وتجسيم لله سبحانه، يقول تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ الشورى {11}، ويقول سبحانه: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ الأنعام{91}، ويقول تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ الأنعام{103}، وفي هذه الأكذوبة وصف لله بالضعف والعجز، وهو سبحانه القوي، وكل مخلوق أمامه ضعيف عاجز، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾ هود{66}.

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، 111/1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
(2) المصدر السابق، 111/1.

ويعلق الإمام ابن حزم [1] على هذه القصة ويقول: "في هذا الفصل شنعة عفت على كل ما سلف، يقشعر منها جلود أهل العقول، وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ المائدة{64}، وبقولهم ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران{181}، لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكننا نحكيه منكرين له"[2].

إن الناظر اليوم إلى دولة اليهود، والمسماة إسرائيل يجد ارتباطاً وثيقاً بين أحداث هذه القصة الكاذبة وتسمية دولتهم بإسرائيل، وذلك حتى يعطوا الصبغة على أنفسهم بالقوة والغلبة والانتصار، حتى أن سياسة هذه الدولة القتل والعنف والدمار والتشريد، وليس أدل على ذلك ما يحدث لشعبنا الفلسطيني من قصف ودمار وتشريد، لكن هذه الصبغة والتي ألصقوها بأنفسهم تنطلي على المنهزمين والمتخاذلين، أما أصحاب العقيدة فهم يعرفون حقيقة اليهود من خلال القرآن الكريم وحديثه عنهم [3].

ولقد كان للقرآن موقف من تسمية اليهود ببني إسرائيل، فقد ورد ذكر إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام في القرآن مرتين، في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، أما بالنسبة إلى كلمة بني إسرائيل فقد ورد ذكرها في القرآن (41) مرة [4]، وكان ورودها في سور مكية، وفي سور مدنية، والمواضع التي ذكرت فيها كلمة بني إسرائيل، كانت تعرض لقطات ومشاهد من تاريخ بني إسرائيل من قبل بعثة موسى عليه السلام إلى ما بعد بعثة عيسى عليه السلام [5].

---

(1) أبو محمد بن حزم، العلّامة علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهري، صاحب المصنّفات، مات ليومين بقيا من شعبان، عن اثنتين وسبعين سنة، وكان إليه المنتهى في الذكاء، وحدّة الذهن، وسعة العلم بالكتاب، والسّنّة، والمذاهب، والملل والنّحل، والعربية، والآداب، والمنطق، والشعر، مع الصدق والدّيانة والحشمة، والسؤدد، والرئاسة، والثروة، وكثرة الكتب، انظر: شذرات الذهب، 239/5، 240، بتصرف.

(2) الفصل، 110/1.

(3) انظر: اليهودية والمسيحية في الميزان، د. عماد الدين الشنطي، 29، ط1(1425هـ - 2004م) ، مكتبة ومطبعة دار المنارة.

(4) تم إحصاء ذلك عن طريق برنامج القرآن الكريم في المكتبة الشاملة المحوسبة.

(5) انظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ – وسمات – ومصير، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، 20، 33، 34، ط1(1419هـ- 1998م) ، دار القلم، دمشق.

فالقرآن عندما يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كان يطلق عليهم بنو إسرائيل، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم لرسول الله في المدينة بعد هجرته إليها ويكشف دسائسهم كان يطلق عليهم اليهود، والحكمة من ذلك أن مصطلح بني إسرائيل يكسبهم صلة بإسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، وهذا يضفي عليهم صبغة دينية وإيمانية، وهذا نوع من التكريم لهم، وهذا الكلام كان يحصل لهم في السابق حيث كان منهم الأنبياء والصالحين، أمـا في عهد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فقـد أصبحت الوراثـة الدينية والإيمانية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده لأن اليهود كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وطالما خسروا اسم بني إسرائيل لذلـك يجب أن نطلـق عليهم اسم اليهود والـذي يخلو من المعاني الإيمانية وذلك لترجيـح تسميتهم بهذا الاسم إلى يهوذا وهو أحد أسباط يعقوب عليه السلام وليس مشتق من التوبة والرجعة، وهذا كما سيأتي في المطلب القادم إن شاء الله [1].

ويلاحظ أن اليهود يحبوا أن يسموا باسم بني إسرائيل، لأن ذلك يربطهم من حيث النسب التاريخي بنبي الله يعقوب عليه السلام، فهم ذريته الذين جعل فيهم النبوة فترة من الزمن، ثم انتزعها منهم جزاءً لكذبهم وكفرهم ومحاربتهم لله ورسوله، لذلك يجب أن نطلق عليهم اسم اليهود لأن القرآن الكريم أطلق عليهم هذا الاسم في الفترة المدنية.

فهم يحرصون كل الحرص على أن يظهروا أمام العالم بمظهر المؤمنين المتدينين، ورثة الرسالات السماوية، ويحرصون على أن يقولوا للعالم أنهم هم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وقد برز ذلك جلياً عندما أقاموا دولتهم وسموها إسرائيل، فالتسمية لتدل على الإرث التاريخي المستمد من الأنبياء وخصوصاً يعقوب واسمه البديل إسرائيل، كما يظهر هذا الحرص بالتركيز على اسم إسرائيل في كثير من الأسماء مثل الدولة، الإذاعة، البنك، الأرض التي احتلوها، وأيضاً بالتركيز على التسمية التوراتية لكثير من المسميات مثل يهودا، السامرة، أورشليم [2].

"فمسمى دولة إسرائيل اليوم بعيد كل البعد عن العبودية لله تعالى، بعيدة عن المعنى الحقيقي الذي حمله يعقوب (إسرائيل – عبد الله) عليه السلام"[3].

---

(1) انظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ – وسمات ، 37 – 39، بتصرف.
(2) انظر: المصدر السابق، 19 ، 20.
(3) اليهودية والمسيحية، 29.

ويعلق الدكتور صلاح الخالدي فيقول "وهم وإن صحت لهم هذه النسبة ليعقوب وإبراهيم عليهما السلام، فإن وراثتهم لهما ولغيرهما من أنبياء الله لا تصح، لأن القرآن يفرق بين صلة النسب وبين ووراثة الدين والإيمان والعقيدة، فليس كل من صح نسبه بالأنبياء كان وارثاً لعلمهم ورسالتهم وإيمانهم"[1].

(1) الشخصية اليهودية، 20.

المطلب الثاني: تسميتهـــم باليـــهود

من أسماء بني إسرائيل المشهورة والاسم الأساس لهم هو اليهود، وقد أورد السيوطي في تفسيره آثاراً تتحدث عن هذا الموضوع سأبينها في هذا المطلب.

أولاً: الآثـــار الواردة في معنى لفظ اليهود.

ذكر السيوطي عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين وتوضح معنى لفظ اليهـــود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة{ 62}، ومـــن ذلك الآثار الآتية:

"أخرج ابن جرير، وَابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن نجى رحمهم الله، عَـــن عَلِـــي رضي الله عنه، قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا: إنا هدنا إليك"[(1)].

"وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية بكلمة موسى عليه السلام إنا هدنا إليـــك ولـــم تـــسمت النـــصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام كونوا أنصار الله"[(2)].

"وأخرج أبو الشيخ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نحن أعلم الناس من أين تسمت اليهود باليهودية، ولم تسمت النصارى بالنصرانية، إنما تسمت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى إنا هدنا إليك، فلما مات قالوا هذه الكلمة كانت تعجبه فتسموا اليهود، وإنما تسمت النصارى بالنصرانية لكلمة قالها عيسى من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فتسموا بالنصرانية"[(3)].

من خلال الآثار السابقة يتبين أن إحدى الأقوال في سبب تسمية اليهود بهذا الاسم هو قول موسى عليه السلام إنا هدنا إليك، وقولهم أيضاً ذلك، لذلك سأبدأ هذا التحليل بتعريف كلمة هود، ومن ثم الانطلاق إلى الأقوال الأخرى.

---

(1) الدر المنثور، 395/1. في السند عند ابن جرير جابر، وقد قال عنه ابن كثير: "جَابِرٌ -هُوَ ابْنُ يَزِيدَ الجُعْفي -ضَعِيفٌ"، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت- سامي بن محمـــد ســـلامة، 481/3، ط2(1420هـــ - 1999م) ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
(2) الدر المنثور، 395/1.
(3) المصدر السابق، 395/1.

"أخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن جَرير، وَابن المنذر، وَابن أَبي حاتم من طرق، عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ قال: تبنا إليك"[1].

"وأخرج ابن أبي شيبة، عن سعيد ين جبير في قوله:﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ الأعراف{156}، قال: تبنا"[2].

الهَوْدُ التَّوْبَةُ هادَ يَهُودُ هوْداً وتَهَوَّد تابَ ورجع إِلى الحق فهو هائدٌ وفي التنزيل العزيز إِنَّا هُدْنا إِليك أَي تُبْنا إِليك، ويَهُودُ اسم للقبيلة، وقيل إِنما اسم هذه القبيلة يَهُوذ فعرب بقلب الذال دالاً، قال ابن سيده: وليس هذا بقويّ، وقالوا اليهود فأَدخلوا الأَلف واللام فيها على إِرادة النسب يريدون اليهوديين وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ الأنعام{146} معناه دخلوا في اليهودية، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ البقرة{111} قال يريد يَهُوداً فحذف الياء الزائدة ورجع إِلى الفعل من اليهودية، وجمع اليهوديّ يَهُود كما يقال في المجوسيّ مَجُوس وفي العجمي والعربيّ عجم وعرب، والهُودُ اليَهُود هادُوا يَهُودُون هَوْداً، وسميت اليهود اشتقاقاً من هادُوا أَي تابوا وأَرادوا باليَهُودِ اليَهُودِيِّينَ ولكنهم حذفوا ياء الإِضافة [3]، وفي الحديث (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ) [4].

ولعل أقرب الأقوال الكلمات إلى هدنا هي عدنا ورجعنا وأنبنا.

ثانياً: الآثار الواردة في أسباب تسمية اليهود بهذا الاسم.

الآثار التي ذكرتها في معنى لفظ اليهود هي نفسها الآثار التي سأذكرها في مسألة أسباب تسمية اليهود بهذا الاسم لذا لا داعي لإعادتها، ويتبين من الآثار أن سبب التسمية يرجع إلى قول موسى أو قولهم على اختلاف الآثار إنا هدنا إليك أي تبنا، لكن هناك اختلاف في سبب التسمية في عدة أقوال هي [5]:

---

(1) الدر المنثور، 603/6. صححه عن مجاهد صاحب الصحيح المسبور، انظر: الصحيح المسبور، 352/2.
(2) الدر المنثور، 603/6.
(3) انظر: لسان العرب، 439/3، بتصرف.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح(1385) ، 100/2.
(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، 285/1، بتصرف.

1- الْيَهُودُ مِنَ الْهَوَادَةِ وَهِيَ الْمَوَدَّةُ، وَمَوَدَّتِهِمْ فِي بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وهذا القول بعيد لأنه يخالف قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ الحشر{14}.

2- التَّهَوُّدُ وَهِيَ التَّوْبَةُ، كَقَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ الأعراف{156} أَيْ: تُبْنَا، فَكَأَنَّهُمْ سُمُّوا بِذَلِكَ فِي الْأَصْلِ لِتَوْبَتِهِمْ.

3- وَقِيلَ: لِنِسْبَتِهِمْ إِلَى يَهُوذَا أَكْبَرِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

4- وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: لِأَنَّهُمْ يَتَهَوَّدُونَ، أَيْ: يَتَحَرَّكُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَاةِ.

يقول صاحب كتاب الشخصية اليهودية من خلال القرآن: "وقال آخرون: إن كلمة يهود أعجمية، وليست مشتقة من مادة هود العربية، وهذا ما نميل إليه ونرجحه، ونكاد نرى أنه تعريب لكلمة يهوذا التي هي اسم أحد أسباط بني إسرائيل، وقد أطلقت هذه يهود على بني إسرائيل، وأصبحت علماً عليهم"(1).

وقد ورد ذكر اليهود في القرآن الكريم ثماني مرات في ثلاث سور هي البقرة، المائدة، التوبة، ووردت كلمة يهودي في سياق النفي مرة واحدة (2)، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران{67}، فالآية تنفي مزاعم اليهود في كون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً، وكأن صفة اليهودي نقص لا يليق بإبراهيم أن يتصف بها (3).

وفي ضوء ما تقدم من بيان مصطلحي بني إسرائيل واليهود يتضح أن الفرق بينهما يكمن في أن مصطلح بني إسرائيل استخدمه القرآن الكريم عند الحديث عن تاريخهم السابق على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، في مقام المدح والتكريم لهم؛ لأن هذا الاستخدام يضفي عليهم صبغة دينية وإيمانية، وهذا يليق بعهدهم السابق حيث يرجع إلى إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، وإلى عهد الأنبياء والصالحين منهم، وأما مصطلح اليهود فقد استخدمه القرآن عند الحديث عنهم في مواجهتهم لرسول الله في المدينة بعد هجرته إليها، وكشف دسائسهم كان يطلق عليهم اليهود، وأيضاً في سياق كفرهم وأقوالهم الباطلة وإظهار خزيهم وفضائحهم والتحذير من مكائدهم وشرورهم، حيث لم ترد هذه التسمية في مقام المدح لهم، وإنما وردت في مقام الذم

---

(1) الشخصية اليهودية، 28، وانظر: بنو إسرائيل، 13.

(2) تم إحصاء ذلك عن طريق برنامج القرآن الكريم في المكتبة الشاملة المحوسبة.

(3) انظر: الشخصية اليهودية، 35، بتصرف.

والتقريع لهم، ومن تلك الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة{64}، وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة{82}، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة{30} (1).

---

(1) انظر: الشخصية اليهودية، 37 – 39، وانظر: موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمن قدح،243، 244، العدد (107) ، (1419/1418هـ) ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

المطلب الثالث: تسميتهم بأهل الكتاب وأهل التوراة

اسم أهل الكتاب يطلق على اليهود، ويشترك معهم في هذا الاسم النصارى، لأن اليهود والنصارى نزلت عليهم كتب من عند الله، فاليهود نزلت عليهم التوراة، لذلك يطلق عليهم أهل التوراة، والنصارى نزل عليهم الإنجيل.

والسيوطي في تفسيره ذكر آثاراً توضح تسمية اليهود بأهل الكتاب، وأهل التوراة.

أولاً: الآثـــار الواردة في إطلاق القرآن لفظ أهل الكتاب على اليهود

أورد السيوطي عند هذه الآية وغيرها عدداً من الآثار التي تذكر إطلاق القرآن لفظ أهل الكتاب على اليهود، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ البقرة{76}، ومن هذه الآثار ما يأتي:

"أخرج ابن جرير عن ابن زيد –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن، فقال رؤساء اليهود: اذهبوا فقولوا آمنا واكفروا إذا رجعتم إلينا فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهم بعد العصر وهو قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ آل عمران{72}، وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره، فكان المؤمنون يظنون أنهم مؤمنون فيقولون لهم أليس قد قال لكم في التوراة كذا وكذا فيقولون بلى، فإذا رجعوا إلى قومهم ﴿**قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ**﴾ البقرة{76}"[1].

قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ البقرة{109}.

"أخرج ابن إسحاق، وَابن جَرِير، وَابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله

(1) الدر المنثور، 1/ 429.

علينا من السماء نقرؤه أو فجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله في ذلك: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة{108}، وكان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود حسدا للعرب إذ خصهم الله برسوله وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة{109}"[1]

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء {**153**].

"أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ﷺ قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله فائتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ النساء {156}"[2] .

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران{65}.

"أخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن جَرِير، عن قتادة ﷺ قال: ذكر لنا أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى الكلمة السواء، وهم الذين حاجوا في إبراهيم، وزعموا أنه مات يهودياً، وأكذبهم الله ونفاهم منه فقال:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ آل عمران {65}"[3].

من خلال الآثار السابقة يتبن أن القرآن الكريم أطلق لفظ أهل الكتاب على اليهود.

---

(1) الدر المنثور، 553/1، 554. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 215/1.
(2) المصدر السابق، 93/5.
(3) المصدر السابق، 613/3، 614.

ثانياً: تعريف أهل الكتاب

عرف الشهرستاني في الملل والنحل أهل الكتاب بقوله: "الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب مثل المجوس[1] والمانوية[2] فإن الصحف التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثها المجوس، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى إذ هم من أهل الكتاب، ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم فإن الكتاب قد رفع عنهم"[3].

ويرى الباحث خلاف ما يقول الشهرستاني في عدم جواز مناكحة أهل الكتاب وأكل ذبائحهم، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {المائدة:5}

ومع أن اليهود كانوا حين ينزل القرآن يقولون عزير ابن الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه، إلا أنه بدليل الآية السابقة يجوز أكل ذبيحتهم ونكاح المحصنات من بناتهم لما سبق ذكره في آية المائدة.

فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، ومن دان بدينهم، واليهود هم أهل التوراة، والنصارى هم الإنجيل[4].

وأما بالنسبة لما ذكره الشهرستاني في تعريفه في من له شبهة كتاب وذكر المجوس وغيرهم، فالراجح والأقوى من أقوال العلماء أنهم ليسوا من أهل الكتاب، لأنه ليس لديهم كتاب، وهذا قول عامة علماء الفقه ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، ويؤيد ما رجحه العلماء قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾الأنعام {156}[5] .

---

(1) وهم الذين أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة، انظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني،ت– محمد سيد كيلاني، 232/1، سنة النشر 1404، دار المعرفة، بيروت، بتصرف.

(2) وهم الذين يقولون: أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان، انظر: المصدر السابق، 244/1، بتصرف.

(3) المصدر السابق، 208/1.

(4) انظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، 100/7، سنة النشر 1405، دار الفكر، بيروت، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، 121/7، الكويت، ط2(1427 هـ) ، طبع الوزارة.

(5) انظر: المغني، 100/7.

وعن تفسير هذه الآية للتوضيح؟ يتبين أن المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، فقد "أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد، في قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قـــال: اليهود والنصارى خاف أن تقوله قريش"[1] .

"وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: هم اليهود والنصارى"[2].

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ فَأَنْتُمْ هُمْ فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً قَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ قَالُوا لَا قَالَ فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ) [3] .

وفي شرح هذا الحديث ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في قوله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلكُمْ ومَثَل أَهْل الْكِتَابَيْنِ)، فقال: "وَالْمُرَاد بِأَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُود وَالنَّصَارَى"[4].

ثالثاً: الآثار الواردة في إطلاق القرآن عليهم أهل التوراة

ورد في الدر المنثور العديد من الآثار التي تسميهم بهذا الاسم، ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة{178}.

"أخرج ابن جرير، والزجاجي في أماليه،عن قتادة ﷺ في قوله:﴿ورحمة﴾ قال: هي رحمة رحم بها الله هذه الأمة أطعمهم الدية وأحلها لهم ولم تحل لأحد قبلهم فكان في أهل التوراة إنما

---

(1) الدر المنثور، 264/6.

(2) المصدر السابق، 264/6. حسن، انظر: الصحيح المسبور، 287/2.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب الْإِجَارَةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، ح(2268) ، 90/3

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت- محب الدين الخطيب، 446/4، دار المعرفة، بيروت.

هو القصاص أو العفو ليس بينهما أرش[1]"[2].

كما وأخرج ابن جرير، من طريق عبيد بن سليمان، عن الضحاك ﷺ "قال: تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا أول كتاب، وخيرها ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل: نحواً من ذلك وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام وكتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأمرنا أن نعمل بكتابنا ونؤمن بكتابكم فقضى الله بينهم فقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النساء{123}، ثم خير بين أهل الأديان ففضل أهل الفضل فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ النساء{125}"[3].

وأخْرَج ابن جرير، عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ المائدة{13} "قال: هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه"[4].

"أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ﷺ في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ النحل{43}، قال: نزلت في عبد الله بن سلام، ونفر من أهل التوراة وكانوا أهل كتب"[5].

نكتفي بهذا القدر من الآثار ونذكر سبب تسميتهم بأهل التوراة "لإيمانهم بشريعة التوراة وأنها مؤبدة لا تنسخ"[6].

(1) الأَرْش: الدِّيَةُ، انظر: لسان العرب، 263/6.
(2) الدر المنثور، 158/2.
(3) المصدر السابق، 34/5.
(4) المصدر السابق، 233/5.
(5) المصدر السابق، 51/9.
(6) موجز تاريخ اليهود، 244.

المطلب الرابع: تسميتهم بالعبرانيين

من الأسماء التي تطلق على بني إسرائيل العبرانيين، سأبين في هذا المطلب سبب التسمية وماذا تعني هذه الكلمة.

أولاً: الآثـــار الواردة في تفسير السيوطي التي ذكرت لفظ العبراني

أورد السيوطي رحمه الله تعالى مجموعة من الآثار التي ذكرت لفظ العبراني، ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف{143}.

"أخرج ابن مردويه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أوحى الله إلى موسى بن عمران إني مكلمك على جبل طور سيناء، صار من مقام موسى إلى جبل طور سيناء أربعة فراسخ [1] في أربعة فراسخ رعد وبرق وصواعق، فكانت ليلة قر[2]، فجاء موسى حتى وقف بين يدي صخرة جبل طور سيناء، فإذا هو بشجرة خضراء الماء يقطر منها، وتكاد النار تلفح من جوفها فوقف موسى متعجباً فنودي من جوف الشجرة يا ميشا، فوقف موسى مستمعا للصوت، فقال موسى من هذا الصوت العبراني يكلمني فقال الله له: يا موسى إني لست بعبراني إني أنا الله رب العالمين،..."[3].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ يوسف{35}.

"أخرج ابن جرير، وابن ابي حاتم، عن السدي: قال يوسف: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ يوسف{33}، من الزنا، ثم إن المرأة قالت لزوجها: إن العبد العبراني قد فضحني

(1) الفرسخ: "ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربع وعشرون إصبعا، والإصبع ست حبّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض، وقيل: الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة، تكون بذراع المساحة، وهي الذراع الهاشمية، وهي ذراع وربع بالمرسل تسعة آلاف ذراع وستمائة ذراع، وقال قوم: الفرسخ سبعة آلاف خطوة، ولم أر لهم خلافا في أن الفرسخ ثلاثة أميال". معجم البلدان، 36/1.

(2) القُرُّ: البَرْدُ عامةً بالضم وقال بعضهم القُرُّ في الشتاء والبرد في الشتاء والصيف يقال هذا يومٌ ذو قُرٍّ أي ذو بَرْدٍ. لسان العرب، 82/5.

(3) الدر المنثور، 556/6، 557.

في الناس إنه يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر كما يعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستني، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ وهو شق القميص وقطع الأيدي ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف{36}.

"أخرج ابن جرير، وابن ابي حاتم، عن السدي ﷺ: فلما دخل يوسف عليه السلام السجن قال: إني أعبر الأحلام، قال أحد الفتيين: هلم فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا من غير أن يكونا رأيا شيئا ولكنهما خرصا[4] فعبر لهما يوسف خرصهما، فقال الساقي: رأيتني أعصر خمراً، وقال الخباز: رأيتني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، قال يوسف عليه السلام: لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم إلا نبأتكما بتأويله في اليقظة..."[2].

وورود كلمة عبراني في الآثار يدلل على إطلاق لفظ العبرانيين على بني إسرائيل، فمن خلال الآثار أطلق لفظ العبراني على من هم بني إسرائيل، موسى ويوسف عليهما السلام.

ثانياً: سبب التسمية بالعبرانيين

سبب تسمية بني إسرائيل بالعبريين في نقاط:

- تسميتهم بالعبريين ترجع إلى من كان من ذرية إبراهيم العبري، وترجع تسمية إبراهيم بالعبري للآتي[3]:

أ- قيل لأنه عبر النهر، دون العلم أهو نهر الأردن أم نهر الفرات.

ب- وقال بعض العلماء أن وصف إبراهيم بالعبري نسبة إلى (عبر) وهو أحد آبائه الأقدمين.

لكن الدكتور إسرائيل ولفنسون يقول "لا نرتضي هذين الرأيين ولا نوافق عليهما لأن كلمة عبري في الواقع لا إلى شخص معين أو حادثة معينة، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا

(1) الدر المنثور، 191/8.
(2) المصدر السابق، 192/8.
(3) انظر: تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، 77، ط1(1348هـ - 1929م)، مطبعة الاعتماد، مصر. وانظر: بنو إسرائيل،9.

تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة لأخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، وكلمة عبري في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي (عبر) بمنعى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عبره إلى عبره، أو عبر السبيل شقها، وكل هذه المعاني موجودة في هذه الكلمة سواءً في العربية أو العبرية، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل، الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء أو البادية، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء، وليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط"[1].

ويعلق طنطاوي بقوله "ومن كلام الدكتور ولفنسون نستخلص أنه يرى أن تسمية بني إسرائيل بالعبريين ليس سببها حادثة بعينها أو شخصاً بعينه، وإنما سببها معيشتهم في الصحراء، وعبورهم للرعي، والبحث عن وسائل العيش من مكان لآخر"[2].

ويرجح طنطاوي الرأي الأول في التسمية، وهو ما أميل إليه وأرجحه، وهو أنه نسبة إلى إبراهيم عليه السلام لأنه عبر النهر، ويستبعد الرأيين الآخرين لأن إبراهيم لو أراد أن ينسب إلى أحد أجداده لكان الأولى الانتساب إلى سام أشهر أجداده وليس إلى جده عبر، وأما رأي ولفنسون فيستبعده لأنه لو كانت التسمية ترجع إلى التنقل والترحال لكانت كل معظم الأمم السامية وصفت بذلك[3].

ومن الأسماء التي تطلق اليهود غير هذه الأسماء التي ذكرناها بني صهيون، لكن السيوطي في تفسيره لم يذكر آثاراً تتحدث عن هذا الاسم، لذا سأعرف ما المقصود بهذا الاسم فقط.

تعريف الصهيونية:

"الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل

(1) تاريخ اللغات السامية،77، 78.
(2) بنو إسرائيل، 10.
(3) انظر: المصدر السابق، 10،11.

الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها، وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم"[1].

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، 518/1، ط4(1420) ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

المبحث الثاني

الآثار الواردة في منزلة اليهود ونعم الله عليهم

نعم الله على بني إسرائيل كثيرة، وقد ذكر القرآن الكريم في آيات عديدة النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، من هذه النعم التفضيل على العالمين، والنجاة من فرعون، والإحياء بعد الموت، والتظليل بالغمام، ونزول المن والسلوى، وإغاثتهم بالماء، والتمكين من دخول الأرض المقدسة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة {47}، وقال أيضاً مذكراً بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها عليهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم {5}، وقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنهم، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ إبراهيم {5}، قَالَ: (بِنِعَمِ اللهِ) [1]، وقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ "أَيْ بِأَيَادِيهِ ونعمه عَلَيْهِمْ، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ، وَقَهْرِهِ وَظُلْمِهِ وَغَشْمِهِ[2]، وَإِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَفَلْقِهِ لَهُمُ الْبَحْرَ، وَتَظْلِيلِهِ إِيَّاهُمْ بِالْغَمَامِ، وَإِنْزَالِهِ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ"[3]، ولقد ذكرهم موسى عليه السلام بالنعم التي أنزلت عليهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة{20}.

والسيوطي رحمه الله في تفسيره تطرق إلى كثير من الآثار التي تذكر نعم الله على بني إسرائيل، سنذكر هذه الآثار التي تعنى بالموضوع مقسمة في سبعة مطالب.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند الأنصار، حديث عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب، ح(21128) ، 66/35. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: حديث صحيح

(2) "الْغَشْمُ: الظُّلْم والغَصْبُ"، لسان العرب، 437/12.

(3) تفسير القرآن العظيم، 478/4.

المطلب الأول: تفضيلهم على العالمين

لقد فضل الله بني إسرائيل في عدد من الآيات على العالمين، فما هو المقصود من التفضيل؟ ولماذا كان هذا التفضيل لبني إسرائيل، سنناقش الآثار التي وردت في ضوء هذا الموضوع في هذا المطلب.

أولاً: الآثار الواردة في مظاهر التفضيل وأنه على أهل زمانهم

لقد أورد السيوطي عند هذه الآية وغيرها عدداً من الآثار توضح مظاهر التفضيل لبني إسرائيل وأنه على أهل زمانهم، ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ البقرة {47}.

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد، عَن قَتَادَة ﷺ فِي قَوْله: ﴿ **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ قَالَ: فضلوا على الْعَالم الَّذِي كَانُوا فِيهِ، وَلكُل زمَان عَالم"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد عَن مُجَاهِد ﷺ فِي قَوْله: ﴿ **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ قَالَ: على من هم بَين ظهريه"[2].

"أخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم عَن أبي الْعَالِيَة ﷺ فِي قَوْله:﴿ **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ قَالَ: بِمَا أعْطوا من الْملك وَالرسل والكتب على من كَانَ فِي ذَلِك الزَّمَان فَإِن لكل زمَان عَالما"[3].

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ الدخان {32}.

"أخرج الْفرْيَابِيّ، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، قَالَ: فضلناهم على من بَين أظهرهم"[4].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ فِي الْآيَة قَالَ: اخترناهم على خير علمه الله فيهم على الْعَالمين، قَالَ: الْعَالم الَّذِي كَانُوا فِيهِ وَلكُل زمَان عَالم"[5].

---

(1) الدر المنثور، 362/1، 363. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 153/1.
(2) الدر المنثور، 363/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 153/1.
(3) الدر المنثور، 363/1. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 154/1.
(4) الدر المنثور، 277/13، 278.
(5) المصدر السابق، 278/13. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 318/4.

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره في قوله تعالى: "﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ يُرِيدُ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ، وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ، وَقِيلَ: عَلَى كُلِّ الْعَالَمِينَ بِمَا جُعِلَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وهذا خاصة لهم وليست لغيرهم"(1).

وأورد ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يُذَكِّرُهُمْ تَعَالَى سَالِفَ نِعَمِهِ عَلَى آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَمَا كَانَ فَضَّلهم بِهِ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ مِنْهُمْ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ الدخان {32}، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة {20}، وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: بِمَا أُعْطُوا مِنَ الْمُلْكِ وَالرُّسُلِ وَالْكُتُبِ عَلَى عَالَمِ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا"(2).

وقد ذكر الطبري في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

"أني فضلت أسلافكم، فنسب نعمه على آبائهم وأسلافهم إلى أنها نعم منه عليهم، إذ كانت مآثر الآباء مآثر للأبناء، والنعم عند الآباء نعماً عند الأبناء، لكون الأبناء من الآباء، وأخرج جل ذكره قوله: ﴿وَأَنِّي فضلتكم على الْعَالمين﴾ مخرج العموم، وهو يريد به خصوصاً، لأن المعنى وأني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه"(3).

وذكر ابن كثير في تفسير قوله: "﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، عَلَى مَنْ هُمْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: اخْتِيرُوا عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِمْ ذَلِكَ، وكان يقال: إن لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمًا، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ الأعراف {144} أَيْ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَكَقَوْلِهِ لِمَرْيَمَ: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران{42} أَيْ فِي زَمَانِهَا، فَإِنَّ خَدِيجَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَكَذَا آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ

(1) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، ت- أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 376/1، ط2(1384هـ - 1964 م) ، دار الكتب المصرية، القاهرة.
(2) تفسير القرآن العظيم، 255/1.
(3) جامع البيان، 23/1، 24.

فِرْعَوْنَ، أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي الْفَضْلِ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"[1].

ثانياً: أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم

إن التفضيل الذي حازه بني إسرائيل في فترة من الفترات هو تفضيل خاص لهم في زمانهم، وليس على كل الأزمنة يقول صلاح الخالدي: "فضل الله بني إسرائيل على العالمين تفضيلاً خاصاً موقوتاً،له أسباب وعوامل، كما أن له أمداً محدوداً، وفترة مقررة، وزمناً خاصاً"[2].

ويقول الخالدي في سياق حديثه عن تفضيل بني إسرائيل:"وأل التعريف في العالمين ليست للاستغراق والشمول، وإنما هي للعهد الذهني المأخوذ من سياق الآيات التي تعرض قصة بني إسرائيل،... ومن أل التعريف (العالمين) عرفنا أن المقصود عالمي زمانهم الذي مضى وانقضى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وقبل وجود الأمة المسلمة وارثة بني إسرائيل في التفضيل على العالمين، وحمل رسالة الله للناس، والقيام بالخلافة في الأرض"[3].

ويدعم القول بأن الأفضلية خاصة بأهل زمانهم ماذكرناه من الآثار السابقة الواردة في الدر المنثور، وأيضاً أقوال المفسرين التي تم ذكرها سابقاً، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من بني إسرائيل، بدليل قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ آل عمران{110}.

فقد أخرج الترمذي في سننه قال: "حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قَالَ: أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ"[4].

يقول المباركفوري: "وَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تعالى (كنتم خير أمة) أمة النبي عامة"[5].

قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ البقرة{143}.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، 255/7، 256.
(2) الشخصية اليهودية، 112.
(3) المصدر السابق، 113.
(4) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير أبواب القرآن، باب ومن سورة آل عمران، ح(3001) ، 226/5، وقال الترمذي: حديث حسن.
(5) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، 281/8، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقد ذكر الطبري في تفسير هذه الآية فقال: "كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم، ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا"[1].

وقد أخرج البخاري في صحيحه فقال: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّة قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ) [2].

وهذا الحديث يدلل على فضل أمة محمد وأنها أفضل الأمم، فهي نصف أهل الجنة.

وقد ذكرت سابقاً في أقوال المفسرين قول ابن كثير، وبيان أن تفضيل بني إسرائيل على أهل زمانهم هو يشابه قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ**﴾ الأعراف {144}، وقوله لمريم ﴿**وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ آل عمران{42} أَيْ فِي زَمَانِهَا، فَإِنَّ خَدِيجَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا، وَكَذَا آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي الْفَضْلِ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ"[3].

يقول صاحب كتاب رسالتان في الرد على اليهود في رسالته الثانية عبد المجيد خيالي: "وحاصل كلام مولانا الإمام أمران أحدهما: أن تفضيل بني إسرائيل في الآي السابقة، إنما هو باعتبار من سبقهم من الأمم، أو عاصرهم من ليس منهم، لا باعتبار من بعدهم، فلا ترد هذه الأمة المحمدية كما أن تفضيل هذه الأمة هو أيضاً بالنسبة إلى من سبقها من الأمم، ولما كانت آخر الأمم لزم من تفضيلها على من سبقها تفضيلها على سائر الأمم إذ لا أمة بعدها..."[4].

---

(1) جامع البيان، 141/3.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ح(6528) ، 110/8.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، 255/7، 256.

(4) رسالتان في الرد على اليهود، الرسالة الأولى الحسام الممدود في الرد على اليهود، تأليف أبي محمد عبد الحق الإسلامي كان يهودياً فأسلم، الرسالة الثانية الرد على من قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب، تأليف السلطان العلوي الشريف أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، 90، ط1(1422هـ - 2001م) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثالثاً: تفضيل بني إسرائيل عندما كانوا على طاعة الله

سبب تفضيل بني إسرائيل كان عندما كانوا على طاعة الله، يقول الخالدي: "وإنما سبب التفضيل هو الدين والإسلام والإيمان، فقد كانوا مؤمنين بالله عابدين له وسط أقوام من الكفار... والمؤمن عندما يفاضل بين بني إسرائيل في مصر وبين فرعون وقومه يخرج بتفضيل بني إسرائيل على فرعون وملئه، لأن المؤمن هو المفضل والمكرم والمقدم عند الله وعند عباده المؤمنين"[1].

لكن اليهود لم يستمروا على نهج الطاعة لله والإيمان به، فقد كفر اليهود بالله، وقتلوا الأنبياء، وحرفوا الكتب التي أنزلت عليهم، لذلك الله سبحانه وتعالى انتزع منهم الأفضلية، وأحل لعنته وغضبه وعذابه عليهم، ولم يعودوا أهلا للأفضلية والإنعام ولا لحمل الرسالة والأمانة والاستخلاف في الأرض، فمسخهم الله قردة وخنازير، وكتب عليهم الذلة والمسكنة، وشردهم في الأرض.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ المائدة {78}، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة {60}[2] .

ويعلق طنطاوي على هذا الموضوع فيقول: "والعبر التي نستخلصها من هذه الآيات وغيرها وأمثالها، أن الله تعالى فضل بني إسرائيل على غيرهم من الأمم السابقة على الأمة الإسلامية، ومنحهم الكثير من النعم، ولكنهم لم يقابلوا ذلك بالشكر، بل قابلوه بالتمرد والحسد والبطر، فسلب الله عنهم ما حباهم من نعم، ووصفهم في كتابه بأقبح الصفات، وأسوأ الطباع، كقسوة القلب، ونقض العهد، والتهالك على شهوات الدنيا، والتعدي على الغير، والتحايل عل استحلال محارم الله، ونبذهم للحق، واتباعهم للباطل، إلى غير ذلك من الصفات التي توارد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا مصير كل أمة بدلت نعمة الله كفراً، لأن الميزان عند الله للتقوى، والعمل الصالح، وليس للجنس أو اللون أو النسب"[3].

---

(1) الشخصية اليهودية، 112.
(2) انظر: المصدر السابق، 114، 115.
(3) بنو إسرائيل، 345، 346.

المطلب الثاني: نجاتهم من عدوهم

قص علينا القرآن الكريم قصة نجاة بني إسرائيل من فرعون الطاغية، فقد كان فرعون جباراً شديداً عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة {49}، وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية فقال: "كَانُوا يَسُومُونَكُمْ، أَيْ يُورِدُونَكُمْ وَيُذِيقُونَكُمْ وَيُوَلُّونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَعَنَهُ اللَّهُ كَانَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا هَالَتْهُ، رَأَى نَارًا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَدَخَلَتْ دُورَ الْقِبْطِ بِبِلَادِ مِصْرَ، إِلَّا بُيُوتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَضْمُونُهَا أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِ يَكُونُ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،... فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ فِرْعَوْنُ لَعَنَهُ اللَّهُ بِقَتْلِ كُلِّ ذي ذَكر يُولَدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْ تُتْرَكَ الْبَنَاتُ، وَأَمَرَ بِاسْتِعْمَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مَشَاقِّ الْأَعْمَالِ وَأَرَاذِلِهَا"[1].

فالله سبحانه أمر موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل، لكي ينجيهم من بطش فرعون، وقد وردت نعمة نجاة بني إسرائيل من فرعون في عدة سور منها البقرة، يونس، طه، الشعراء، الدخان، وقد ذكر موسى عليه السلام قومه بهذه النعمة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ إبراهيم {6}، وقد أورد السيوطي عدداً من الآثار تتحدث عن هذه القصة، سنوردها ونفصل في هذا الموضوع، من خلال النقاط التالية:

أولاً: الآثار الواردة في نجاتهم بفلق البحر

ذكر السيوطي رحمه الله مجموعة من الآثار تحت عدد من الآيات تبين وتوضح نجاة بني إسرائيل بفلق البحر ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ البقرة {50}.

"أخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة – رضي الله عنهما– فِي قَوْله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قَالَ: إِي وَالله أفرق بهم الْبَحْر، حَتَّى صَار طَرِيقا يبساً يَمْشُونَ فِيهِ، فأنجاهم وَأغْرقَ آل فِرْعَوْن عدوهم، نعَمٌ من عِنْد الله يعرفهُمْ لكيما يشكروا، ويعرفوا حَقه"[2].

(1) تفسير القرآن العظيم،258/1.
(2) الدر المنثور، 365/1، 366.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ الشعراء {63 – 66}.

"أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة ﷺ: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ قَالَ: هم قوم فِرْعَوْن قربهم الله حَتَّى أغرقهم فِي الْبَحْر"[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى* فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ طه {77 – 78}.

"وَأخرج ابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ قَالَ: من آل فِرْعَوْن ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ من الْبَحْر غرقاً"[2].

قصة نجاة بني إسرائيل من القرآن

لما ازداد بطش فرعون لبني إسرائيل، ورفضه لدعوة موسى عليه السلام، أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن ينجو ببني إسرائيل من بطش فرعون، فخرج موسى مع قومه ليلاً باتجاه البحر، وأخبر الله موسى بأنه سيتبع من فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ الشعراء {52}،

فلما علم فرعون في الصباح بخروج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل غضب غضباً شديداً، وأرسل في مدائن مصر لكي يجمع قومه وجنده، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ﴾ الشعراء {53}، ووصف فرعون بني إسرائيل بأنهم جمع قليل محتقر، وأنهم مصدر نكد وإغاظة لفرعون وقومه لأنهم هربوا ليلاً وقد أخذوا أموال القبط، قال تعالى: ﴿إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ* وَإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ﴾ الشعراء {54، 55}، فخرج فرعون وقومه يتبعون موسى ومن معه من بني إسرائيل، فتركوا البساتين الخضراء، والكنوز الذهبية، والمنازل العالية، وورث بعد ذلك هذه النعم بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَكُنُوزٍ

(1) الدر المنثور، 256/11. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 9/4.
(2) الدر المنثور، 223/10. حسن، انظر: الصحيح المسبور، 364/3.

وَمَقامٍ كَرِيمٍ* كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ الشعراء {57- 59}، ولحق فرعون موسى عند شروق الشمس، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ الشعراء {60}، فلما رأى قوم موسى فرعون وقومه قالوا إنا لمدركون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الشعراء {61}، لكن موسى عليه السلام الواثق بوعد الله وبنصر الله له من فرعون الطاغية وقومه أخذ يهدأ من روع وخوف قومه وقال لهم، قال تعالى: ﴿قالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء {62}، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق البحر بقدرة الله تعالى إلى اثني عشر طريقاً، فخرج قوم موسى من ضفة البحر الأخرى فأنجاهم الله من بطش فرعون، وأطبق على فرعون وقومه البحر فأغرقهم وماتوا، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ* وَأَنْجَيْنا مُوسى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ الشعراء {63- 66} (1).

ثانياً: الآثار الواردة في يوم نجاة قوم موسى (يوم عاشوراء)

ورد في الدر المنثور حديثاً يذكر اليوم الذي كان فيه نجاة بني إسرائيل من فرعون، وهو يوم عاشوراء، والحديث هو :

"أخرج أَحْمد وَالْبُخَارِيّ وَمُسلم وَالنَّسَائِيّ وَالْبَيْهَقِيّ عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: قدم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الْمَدِينَة فَرَأى الْيَهُود يَصُومُونَ يَوْم عَاشُورَاء فَقَالَ: مَا هَذَا الْيَوْم الَّذِي تصومون قَالُوا: هَذَا يَوْم صَالح نجى الله فِيهِ بني إِسْرَائِيل من عدوهم فصامه مُوسَى، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: نَحن أَحَق بمُوسَى مِنْكُم فصامه وَأمر بصومه"(2).

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: (حِينَ صَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (3).

---

(1) انظر: التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،1830/2، 1831، ط1(1422هــ) ، دار الفكر – دمشق.

(2) الدر المنثور 365/1، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، ح(2004) ، 44/3.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، ح(1134) ، 797/2.

وأما عن فضل يوم عاشوراء فقد رَوَى أَبُو قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ) [1].

ثالثاً: نعم الدنيا والدين في نعمة نجاة بني إسرائيل من فرعون

ويمكن إجمال نعم الدين والدنيا في نقطتين رئيستين هما[2]:

1- نعم الدنيا

أ- أَنَّهُمْ لَمَّا وَقَعُوا فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ الَّذِي مِنْ وَرَائِهِمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَقُدَّامِهِمُ الْبَحْرُ، فَإِنْ تَوَقَّفُوا أَدْرَكَهُمُ الْعَدُوُّ وَأَهْلَكَهُمْ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ وَإِنْ سَارُوا غَرِقُوا فَلَا خَوْفَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَجَّاهُمْ بِفَلْقِ الْبَحْرِ فَلَا فَرَجَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.

ب- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ تكريماً لهم.

ج- وراثة بني إسرائيل لقوم فرعون في أرضهم وديارهم وأموالهم.

د- إن إغراق قوم فرعون أمام أعين بني إسرائيل نعمة عظيمة لهم لأن ذلك ينزع من صدورهم الخوف ويزرع في قلوبهم الأمن والإطمئنان، لأنهم لو نجوا دون هلاك قوم فرعون لماذهب من قلوبهم الخوف، ولخافوا أن يلحق بهم مستقبلاً.

2- نعم الدين

أ- أَنَّ قَوْمَ مُوسَى لَمَّا شَاهَدُوا تِلْكَ الْمُعْجِزَةَ الْبَاهِرَةَ زَالَتْ عَنْ قُلُوبِهِمُ الشُّكُوكُ وَالشُّبُهَاتُ، فَإِنَّ دَلَالَةَ مِثْلِ هَذَا الْمُعْجِزِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ وَعَلَى صِدْقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تُقَرِّبُ مِنَ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ.

ب- أَنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا ذَلِكَ صَارَ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى تَصْدِيقِ مُوسَى وَالِانْقِيَادِ لَهُ.

ج- أَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا عِزَّ فِي الدُّنْيَا أَكْمَلُ مِمَّا كَانَ لِفِرْعَوْنَ وَلَا شِدَّةَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ جَعَلَ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا وَالذَّلِيلَ عَزِيزًا، وَذَلِكَ يُوجِبُ انْقِطَاعَ الْقَلْبِ عَنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا وَالْإِقْبَالَ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى خِدْمَةِ الْخَالِقِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الصوم، باب ما جاء في الحث على صوم يوم عاشوراء، ح(752)، 117/3. صحيح، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، الألباني، 370، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي.

(2) انظر: تفسير الرازي، والمسمى مفاتيح الغيب والتفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 508/3، 509، ط3(1420 هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتصرف.

رابعاً: جحود بني إسرائيل بعد نجاتهم من البحر

إن بني إسرائيل معروفون بطبيعتهم الجحودية للنعم، فبعد هذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، لم يرق قلب بني إسرائيل، بل طلبوا من موسى عليه السلام أن يعبدوا الأصنام، قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾الأعراف {138}.

وبعد رفض طلبهم هذا، طلبوا من موسى عليه السلام طلباً آخر فيه قلة أدب، فقد طلبوا من موسى رؤية الله جهرة قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ البقرة {55}.

وقال الله لنبيه: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**﴾ النساء {153}[1].

---

(1) انظر: الشخصية اليهودية، 77، 78.

المطلب الثالث: نعمة عفوه عنهم وبعثهم بعد الموت

من نعم الله على بني إسرائيل العفو عنهم بعد أن عبدوا العجل قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ* ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة {51، 52}، ومن النعم العظيمة أيضاً التي أنعم الله بها عليهم نعمة الحياة ثانية من بعد الموت قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة {56}، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن هاتين النعمتين لبني إسرائيل.

أولاً: الآثار الواردة في عفو الله عنهم بعد عبادتهم العجل

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية أثراً يبين عفو الله عنهم بعد عبادتهم العجل، قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة {52}، والأثر كالتالي:

"أخرج ابن جرير، عن أبي العالية في قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يعني من بعد ما اتخذتم العجل"(1).

من نعم الله على بني إسرائيل أن عفا الله عنهم بعد عبادتهم العجل، وكانت هذه الحادثة بعد أن خلصهم من فرعون، وأنجاهم من الغرق، وتلخيص هذه القصة أن موسى عليه السلام عندما ذهب لميقات ربه، وبعد انقضاء أمد المواعدة عاد إليهم موسى فوجدهم يعبدون العجل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة {51}.

وأعلم الله موسى أن قومه عبدوا العجل من بعده وهو على جبل الطور، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ طه {85}، فلما رجع موسى عليه السلام إلى قومه كان غضبان، وكان قد استخلف أخيه هارون عليه السلام على قومه، فأخذ برأس أخيه يجره إليه، والآيات الكريمة في سورة الأعراف تصور المشهد بشكل كامل قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا

(1) الدر المنثور، 368/1. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 161/1.

تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأعراف {150، 151}[1]

ثانياً: الآثار الواردة في كيفية التوبة من عبادة العجل

ذكر السيوطي رحمه الله مجموعة من الآثار تبين كيفية التوبة من عبادة العجل، بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة {54}، ومن ذلك الآثار التالية:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس، قَالَ: أَمر مُوسَى عليه السلام قومه عَن أَمر ربه أَن يقتلُوا أنفسهم واحتبى[2] الَّذين عكفوا على الْعجل فجلسوا، وَقَامَ الَّذين لم يعكفوا على الْعجل فَأخذُوا الخناجر بِأَيْدِيهِم وأصابتهم ظلمَة شَدِيدَة فَجعل يقتل بَعضهم بَعْضًا فانجلت الظلمَة عَنْهُم وَقد أجلوا عَن سبعين ألف قَتِيل كل من قتل مِنْهُم كَانَت لَهُ تَوْبَة وكل من بَقِي كَانَت لَهُ تَوْبَة"[3].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن عَليّ، قَالَ: قَالُوا لمُوسَى: مَا تَوْبَتنَا قَالَ: يقتل بَعْضكُم بَعْضًا فَأخذُوا السكاكين فَجعل الرجل يقتل أَخَاهُ وأباه وَابْنه، وَالله لَا يُبَالِي من قتل حَتَّى قتل مِنْهُم سَبْعُونَ ألفا فَأوحى الله إِلَى مُوسَى مرهم فَلْيَرْفَعُوا أَيْديهم وَقد غفر لمن قتل وتيب على من بَقِي"[4] .

"وَأخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة،-رضي الله عنهما- فِي قَوْله: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الْآيَة، قَالَ: أَمر الْقَوْم بشديدة من الْبلَاء فَقَامُوا يتناحرون بالشفار، وَيقتل بَعضهم بَعْضًا حَتَّى بلغ الله نقمته فيهم وعقوبته، فَلَمَّا بلغ ذَلِك سَقَطت الشفار من أَيْديهم وَأمْسك عَنْهُم الْقَتْل فَجعله الله للحي مِنْهُم تَوْبَة وللمقتول شَهَادَة"[5].

---

(1) انظر: الدر المنثور، 367/1، 225/10 وما بعدها، وانظر: تفسير القرآن العظيم، 261/1، 309/5.

(2) احتبى: "جلس على إليتيه وضم فَخذيهِ وساقيه إِلَى بَطْنه بذراعيه ليستند، وَيُقَال احتبى بِالثَّوْبِ أداره على سَاقيه وظهره وَهُوَ جَالس على نَحْو مَا سبق ليستند"، المعجم الوسيط، 154/1.

(3) الدر المنثور، 368/1، 369. "رجاله ثقات وإسناده صحيح والخبر عن أهل الكتاب، وهو من قبيل المسكوت عنه"، الصحيح المسبور، 162/1

(4) الدر المنثور، 369/1.

(5) المصدر السابق، 369/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 162/1.

"وَأخرج أَحْمد فِي الزّهْد، وَابْن جرير، عَن الزُّهْرِيّ ﷺ، قَالَ: لما أمرت بَنو إسرائيل بقتل أَنْفسهَا برزوا وَمَعَهُمْ مُوسَى، فاضطربوا بِالسُّيُوفِ وتطاعنوا بالخناجر ومُوسَى رَافع يَدَيْهِ حَتَّى إِذا أفنوا بَعضهم قَالُوا: يَا نَبِي الله ادْع لنا وَأَخذُوا بعضديه فَلم يزل أَمرهم على ذَلِك حَتَّى إِذا قبل الله تَوْبَتهمْ قبض أَيْديهم بَعضهم عَن بعض فَأَلْقوا السِّلَاح وحزن مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيل للَّذي كَانَ من الْقَتْل فيهم فَأوحى الله إِلَى مُوسَى: مَا يحزنك

أما من قتل مِنْكُم فحي عِنْدِي يرْزق وَأما من بَقِي فقد قبلت تَوْبَته"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد عَن مُجَاهِد قَالَ: كَانَ أَمر مُوسَى قومه عَن أَمر ربه أَن يقتل بَعضهم بعض بالخناجر فَفَعَلُوا فَتَابَ الله عَلَيْهِم"[2].

والآثار التي وردت في كيفية توبة بني إسرائيل لا تحتاج إلى تفصيل، فمن خلال قراءة الآثار يفهم الموضوع.

ثالثاً: الآثار الواردة في نعمة بعثهم بعد الموت

للسيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار تفسر وتوضح نعمة البعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ البقرة {56}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج ابن جرير، وَابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس ﷺ في قوله: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ البقرة {55}، قال: هم السبعون الذي اختارهم موسى ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ البقرة {55}، قال: ماتوا ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ**﴾ فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم"[3].

"وأخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن جَرير، عن قتادة ﷺ في الآية قال: عوقب القوم فأماتهم الله عقوبة ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليتوفوها"[4] .

من نعم الله على بني إسرائيل أن يروا الموت بأعينهم ثم يحييهم الله، فهذه نعمة عظيمة حتى وإن كانت هذه النعمة بعد قلة أدب من اليهود، لكن تبقى هذه نعمة لهم، وسبب هذا البعث

(1) الدر المنثور، 369/1، 370
(2) المصدر السابق، 370/1.
(3) المصدر السابق، 371/1.
(4) المصدر السابق، 371/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 163/1.

من بعد الموت أن اليهود طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرةً قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ البقرة {55}، وقد تبين من خلال الأثر السابق من هم الذين طلبوا من موسى رؤية الله جهرةً، إنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وقد ذكر السيوطي أثرين بين فيهما تفاصيل قصة السبعين في قوله تعالى: ﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾الأعراف {155}.

أ- "أخرج عبد بن حميد، عَن الْفضل بن عِيسَى بن أخي الرقاشِي ﷺ: إِن بني إِسْرَائِيل قَالُوا ذَات يَوْم لمُوسَى: أَلَسْت ابْن عمنَا وَمنا، وتزعم أَنَّك كلمت رب الْعِزَّة؟ فإنا لن نؤمن لَك حَتَّى نرى الله جهرة فَلَمَّا أَن أَبَوا إِلَّا ذَلِك أوحى الله إِلَى مُوسَى: أَن اختر من قَوْمك سبعين رجلاً، فَاخْتَارَ مُوسَى من قومه سبعين رجلاً خيرة، ثمَّ قَالَ لَهُم: اخْرُجُوا فَلَمَّا برزوا جَاءَهُم مَا لَا قبل لَهُم بِهِ فَأَخَذتهم الرجفة قَالُوا: يَا مُوسَى ردنا، فَقَالَ لَهُم مُوسَى: لَيْسَ لي من الْأَمر شَيْء سَأَلْتُم شَيْئا فجاءكم فماتوا جَمِيعًا قيل: يَا مُوسَى ارْجع قَالَ: رب إِلَى أَيْن الرّجْعَة ﴿**قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾الأعراف {155} إِلَى قَوْله ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ الأعـراف {156} الْآيَة قَالَ عِكْرِمَة كتبت الرَّحْمَة يَوْمئِذٍ لهَذِهِ الْأمة"[1].

ب-"أخرج ابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن نوف الْبكالِي ﷺ: أَن مُوسَى لما اخْتَار من قومه سبعين رجلاً قَالَ لَهُم: فِدوا إِلَى الله وَسَلُوهُ، فَكَانَت لمُوسَى مَسْأَلَة وَلَهُم مَسْأَلَة، فَلَمَّا انْتهى إِلَى الطّور الْمَكَان الَّذِي وعده الله بِهِ، قَالَ لَهُم مُوسَى: سلوا الله، قَالُوا ﴿**أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ النِّسَاء {153}، قَالَ: وَيحكم تسْأَلُون الله هَذَا مرَّتَيْنِ قَالَ: هِيَ مَسْأَلَتنَا أرنا الله جهرة فَأَخَذتهم الرجفة فصعقوا فَقَالَ مُوسَى: أَي رب جِئْتُك بسبعين من خِيَار بني إِسْرَائِيل فأرجع إِلَيْهِم وَلَيْسَ معي مِنْهُم أحد فَكيف أصنع ببني إِسْرَائِيل أَلَيْسَ يقتلونني، فَقيل لَهُ: سل مسألتك قَالَ: أَي رب إِنِّي أَسأَلك أَن تبعثهم فبعثهم الله فَذَهَبت مسألتهم ومسألته وَجعلت تِلْكَ الدعْوَة لهَذِهِ الْأمة"[2]

(1) الدر المنثور، 598/6، 599.
(2) المصدر السابق، 600/6، 601.

المطلب الرابع: نعمة إرسال موسى ونزول التوراة عليه لهدايتهم

نعمة الهداية نعمة عظيمة، يقول ابن القيم في باب الهدى والضلال من كتاب شفاء العليل: "هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال"[1]، ومن أهم الوسائل التي تعين على الهداية إرسال الرسل، وتنزيل الكتب، وبنو إسرائيل كثر إرسال الرسل فيهم، وهذه نعمة عظيمة، ومن أهم الرسل الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام، أيده الله سبحانه بمعجزات كثيرة منها نزول التوراة عليه، وسيكون حديثنا في هذا الباب عن نعمة إرسال موسى لبني إسرائيل وتنزيل التوراة لهدايتهم.

أولاً: الآثار الواردة في نعمة إرسال موسى لهدايتهم

ذكر السيوطي رحمه الله تحت عدد من الآيات مجموعة من الآثار التي توضح نعمة إرسال موسى عليه السلام لهداية بني إسرائيل ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ إبراهيم {5}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي قَوْله: ﴿**أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ قَالَ: من الضَّلَالَة إِلَى الْهدى"[2].

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ السجدة{23}.

فقد ذكر السيوطي، عن قتادة –رضي الله عنهما– في قوله تعالى: "﴿**وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ قَالَ: جعل الله مُوسَى هدى لبني إِسْرَائِيل"[3].

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ، وَابْن مرْدَوَيْه، والضياء فِي المختارة بِسَنَد صَحِيح عَن ابْن عَبَّاس ﷺ، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم في قوله تعالى: "﴿**وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ قَالَ: جعل مُوسَى هدى لبني إِسْرَائِيل"[4].

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، ت– د. السيد محمد السيد وسعيد محمود، 161، ط1(1414هـ – 1994م) ، دار الحديث، القاهرة.

(2) الدر المنثور، 489/8.

(3) المصدر السابق، 710/11.

(4) المصدر السابق، 710/11

نعمة إرسال الرسل من النعم العظيمة لبني إسرائيل، فمن مظاهر تفضيل بني إسرائيل على أهل زمانهم كثرة إرسال الرسل فيهم، حيث لا يمكن لنعمة الهداية أن تتحقق بدون الرسل، يقول أحمد عودة صاحب كتاب سيمات اليهود في القرآن الكريم: "نعمة الهداية من النعم الإلهية العظيمة، وهي تتحقق بإرسال الرسل والأنبياء، لذلك يُعرِّف القرآن الكريم بعثة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم بالمنة الإلهية على أمة الإسلام: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران{164}، ولقد اختار الله تعالى لبني إسرائيل واحداً من أهم وأعظم الأنبياء، وهو صاحب شريعة مقدسة وكتاب سماوي، ويُعدّ من أنبياء أولي العزم، بحيث جاء بعده عدد كبير من الأنبياء ليبلغوا رسالته ويبينوا شريعته، وهو النبي موسى عليه السلام، والقرآن الكريم يتحدث عن عظمة هذا النبي، ليس فقط في عناية الله الخاصة بولادته وترعرعه في بيت فرعون، بل اختاره الله عز وجل ليكون كليمه: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف{144}، ثم خصّه تعالى بمعجزات كثيرة في بني إسرائيل حيثما ذهب وجاء، كل ذلك لهدايتهم، وهذه نعمة كبيرة لبني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ الإسراء{101}"[(1)] .

هذه نعمة إرسال موسى عليه السلام لبني إسرائيل، وقد أشرت إلى نعمة كثرة الرسل والأنبياء فيهم في المطلب الأول من هذا المبحث.

---

(1) سيمات اليهود في القرآن الكريم، أحمد عودة، 31، ط1، جمادي الثانية (1432هـ – 2011م) ، جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد، بيروت، لبنان.

ثانياً: الآثار الواردة في نعمة نزول التوراة عليهم لهدايتهم

أورد السيوطي رحمه الله تحت عدد من الآيات مجموعة من الآثار تشرح وتفسر نعمة نزول التوراة على بني إسرائيل لهدايتهم، ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ الإسراء {2}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ قَالَ جعله الله لَهُم هدى يخرجهم من الظُّلُمَات إِلَى النُّور وَجعله رَحْمَة لَهُم"[(1)] .

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ**﴾ الأنبياء {48}.

"أخرج عبد بن حميد، عَن أبي صَالح -رضي الله عنهما- ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ**﴾ قَالَ: التَّوْرَاة"[(2)].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن قَتَادَة، فِي قَوْله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ**﴾ قَالَ: الْفرْقَان التَّوْرَاة حلالها وحرامها مِمَّا فرق الله بَين الْحق وَالْبَاطِل"[(3)].

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ القصص {43}.

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**بَصَائِرَ لِلنَّاسِ**﴾ قَالَ: بَيِّنَةٌ"[(4)].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن زيد قَالَ: البصائر الْهدى، بصائر مَا فِي قلوبهم لذنوبهم"[(5)].

الآيات الكريمة في سورة الأعراف توضح كيفية نزول التوراة على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقالَ مُوسى**

(1) الدر المنثور، 246/9. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 217/3.
(2) الدر المنثور، 300/10، 301.
(3) المصدر السابق، 301/10. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 386/3.
(4) الدر المنثور، 471/11.
(5) المصدر السابق، 471/11.

لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ* وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ* قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ* وَكَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ﴾ الأعراف {142 - 145}.

توضح هذه الآيات من سورة الأعراف كيفية نزول التوراة على موسى عليه السلام التي هي دستور الشريعة، وفي تفسير هذه الآيات يذكر أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل إن أهلك الله عدوهم، أتاهم بكتاب من عند الله، فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون، سأل موسى ربه الكتاب، فالله أعطى موسى ما سأل، فأنزلت الألواح عليه وهي التوراة فيها من المواعظ والأحكام المبينة للحلال والحرام وأصول العقيدة والآداب، فالله أمر موسى أن يأخذ بما أنزل في الألواح، وأمره أن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها[1].

لكن بني إسرائيل لم يحافظوا على هذه النعمة العظيمة، نعمة نزول التوراة، هذه النعمة تبين لهم طريق الرشاد والهدى التي توجب عليهم أن يسلكوها، بل قاموا بتحريف التوراة التي أنزلت من عند الله قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة {75}.

وسيأتي بيان وتفصيل أكثر عند الحديث عن موقفهم من الكتب السماوية.

(1) انظر: التفسير الوسيط، 1/719، 721.

المطلب الخامس: نعمة التظليل بالغمام ونزول المن والسلوى

لقد من الله على بني إسرائيل بنعم وافرة وهم في فترة التيه، من هذه النعم، نعمة التظليل بالغمام، ونعمة ونزول المن والسلوى، ونعمة إغاثتهم بالماء.

أولاً: الآثار الواردة في نوع الغمام الذي ظلل بني إسرائيل

ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي توضح نوع الغمام الذي ظلل بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ البقرة {57}، ومن ذلك الآثار الآتية:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قَالَ: غمام أبرد من هَذَا وَأطيب، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ يَوْم الْقِيَامَة، وَهُوَ الَّذِي جَاءَت فِيهِ الْمَلَائِكَة يَوْم بدر وَكَانَ مَعَهم فِي التيه"[1].

"وَأخرج وَكِيع، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قَالَ: لَيْسَ بالسحاب، هُوَ الْغَمَام الَّذِي يَأْتِي الله فِيهِ يَوْم الْقِيَامَة وَلم يكن إِلَّا لَهُم"[2].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن قَتَادَة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قَالَ: هُوَ السَّحَاب الْأَبْيَض الَّذِي لَا مَاء فِيهِ"[3].

الغمام هو جمع غمامة وهو السحاب الأبيض[4]، ومن الآثار السابقة يتبين أن هناك رأيين في الغمام: الأول: ليس سحاباً بل هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر، يقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الغمام: "أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ زِيِّ هَذَا السَّحَابِ، بَلْ أَحْسَنُ مِنْهُ وَأَطْيَبُ وَأَبْهَى مَنْظَرًا"[5]، أما الثاني: أنه هو السحاب الأبيض الذي لا ماء فيه.

ويرجح الباحث الرأي الثاني، لأنه به يحصل ويتحقق المطلوب وهو الوقاية من حر الشمس، وهو ما دلت عليه المعاجم اللغوية كلسان العرب.

---

(1) الدر المنثور، 371/1، 372.
(2) المصدر السابق، 372/1.
(3) المصدر السابق، 372/1.
(4) انظر: لسان العرب، 443/12، 444.
(5) تفسير القرآن العظيم، 267/1.

ثانيا: الآثار الواردة في وقت التظليل

للسيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار هي مبينة لوقت التظليل، قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ البقرة {57}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس –رضي الله عنهما– فِي قَوْله: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾ قَالَ: غمام أبرد من هَذَا وَأطيب، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ يَوْم الْقِيَامَة، وَهُوَ الَّذِي جَاءَت فِيهِ الْمَلَائِكَة يَوْم بدر وَكَانَ مَعَهم فِي التيه"(1).

"أخرج عبد بن حميد، عَن أبي مجلز – رضي الله عنهما– فِي قَوْله: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾ قَالَ: ظلل عَلَيْهِم فِي التيه"(2).

ذكر المفسرون أن إظلال بني إسرائيل بالغمام كان في التيه عندما رفض بنو إسرائيل دخول الأرض المقدسة وقتال القوم، كتب الله على بني إسرائيل التيه في أرض سيناء، قال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ المائدة {24 – 26}، وفي التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم ويظلهم من حر الشمس، وهذه نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل(3).

ثالثاً: الآثار الواردة في المن والسلوى

ذكر السيوطي عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي توضح المن والسلوى، قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ البقرة {57}، ومن ذلك ما يأتي:

(1) الدر المنثور، 371/1، 372.
(2) المصدر السابق، 372/1.
(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، 266/1.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن عِكْرِمَة ﷺ قَالَ: ﴿الْمَنَّ﴾ شَيْء أنزلهُ الله عَلَيْهِم مثل الطل[1] شبه الرُّب [2] الغليظ، ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طير أكبر من العصفور"[3].

"وَأخرج وَكِيع، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺ قَالَ: ﴿الْمَنَّ﴾ صمغة ﴿وَالسَّلْوَى﴾ طَائِر"[4].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن الرّبيع بن أنس ﷺ قَالَ: ﴿الْمَنَّ﴾ شراب كَانَ ينزل عَلَيْهِم مثل الْعَسَل فيمزجونه بِالْمَاءِ ثمَّ يشربونه"[5].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: ﴿الْمَنَّ﴾ الَّذِي يسْقط من السَّمَاء على الشّجر فتأكله النَّاس ﴿وَالسَّلْوَى﴾ هُوَ السماني"[6] .

من خلال النظر في الآثار السابقة نخلص إلى تعريف كلاً من المن والسلوى.

1- المن: هو شراب شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل مثل الطل، وقد ذكر صاحب كتاب لسان العرب عند تعريف المن ما يشبه التعريف السابق[7].

2- السلوى: هو طائر يشبه طائر السُّمانَى، وذكر صاحب لسان العرب ما يشبه هذا التعريف أيضاً[8].

ولقد كان نزول المن والسلوى في وقت التيه حيث أن الله سبحانه وتعالى ضرب عليه التيه أربعين سنة بعد رفضهم دخول الأرض المقدسة، وكانت في فترة التيه تنزل عليهم نعم الله والتي منها التظليل بالغمام ونزول المن والسلوى وأيضاً نعمة إغاثتهم بالماء بعد أن اشتد عليهم العطش[9].

---

(1) "الطَّلُّ: المَطَرُ الصِّغارُ القَطر الدائمُ، وَهُوَ أَرْسَخُ الْمَطَرِ نَدًى،... وَقِيلَ: هُوَ النَّدى، وَقِيلَ: فَوْقَ النَّدى وَدُونَ الْمَطَرِ، وَجَمْعُهُ طِلالٌ"، لسان العرب، 405/11.

(2) "الرُّبُّ: مَا يُطْبَخُ مِنَ التَّمْرِ، وَهُوَ الدِّبْسُ أَيضاً، المصدر السابق، 406/1.

(3) الدر المنثور، 373/1.

(4) المصدر السابق، 373/1.

(5) المصدر السابق، 374/1.

(6) المصدر السابق، 374/1.

(7) انظر: لسان العرب، 418/13.

(8) انظر: المصدر السابق، 395/14.

(9) انظر: تفسير القرآن العظيم، 266/1 – 272.

المطلب السادس: نعمة إغاثتهم بالماء

من النعم التي أنعم الله على بني إسرائيل في التيه أيضاً نعمة الإغاثة بالماء، سنوضح الموضوع من خلال القرآن والآثار الواردة عند السيوطي في الدر المنثور.

أولاً: الآثار الواردة في نعمة إغاثتهم بالماء

ذكر السيوطي رحمة الله عليه عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين نعمة إغاثة بني إسرائيل بالماء، قال تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ البقرة {60}، ومن ذلك الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ، فِي قَوْله: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ**﴾ الْآيَة قَالَ: ذَلِك فِي التيه، ضرب لَهُم مُوسَى الْحجر، فَصَارَ فِيهِ اثْنَتَا عشرَة عيناً من مَاء، لكل سبط مِنْهُم عين يشربون مِنْهَا"[1] .

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن مُجَاهِد ﷺ قَالَ: انفجر لَهُم الْحجر بضربة مُوسَى، اثْنَتَيْ عشرَة عيناً، كل ذَلِك كَانَ فِي تيههم حِين تاهوا"[2].

مما سبق يتضح أن تفجير الماء لبني إسرائيل كان من اثنتي عشرة عيناً، لكل سبط منهم عين قد عرفوها، وأن الإستسقاء كان في التيه، وقد أجمع جمهور المفسرين على ذلك، يقول الرازي في تفسيره: "جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الِاسْتِسْقَاءَ كَانَ فِي التِّيهِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى وَجَعَلَ ثِيَابَهُمْ بِحَيْثُ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَّسِخُ خَافُوا الْعَطَشَ فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْمَاءَ مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرِ"[3].

وهذه النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل من نعم الدنيا والدين أيضاً، يقول الرازي في تفسيره: "أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَزَالَ عَنْهُمُ الْحَاجَةَ الشَّدِيدَةَ إِلَى الْمَاءِ وَلَوْلَاهُ لَهَلَكُوا فِي التِّيهِ، كَمَا لَوْلَا إِنْزَالُهُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى لَهَلَكُوا، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ**

---

(1) الدر المنثور، 382/1. "رجاله ثقات والإسناد صحيح وقد أخرج الطبري بأسانيد صحيحة عن قتادة ومجاهد بنحوه"، الصحيح المسبور، 166/1.

(2) الدر المنثور، 382/1، 383.

(3) مفاتيح الغيب، 528/3.

الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ الأنبياء{8}، وقَالَ: **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** الأنبياء{30}، بَلِ الْإِنْعَامُ بِالْمَاءِ فِي التِّيهِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْعَامِ بِالْمَاءِ الْمُعْتَادِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى الْمَاءِ فِي الْمَفَازَةِ وَقَدِ انْسَدَّتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الرَّجَاءِ لِكَوْنِهِ فِي مَكَانٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا نَبَاتَ، فَإِذَا رَزَقَهُ اللَّهُ الْمَاءَ مِنْ حَجَرٍ ضُرِبَ بِالْعَصَا فَانْشَقَّ وَاسْتَقَى مِنْهُ عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ لَا يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ النِّعَمِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ مِنْ نِعَمِ الدِّينُ فَلِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَى وُجُودِ الصَّانِعِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَمِنْ أَصْدَقِ الدَّلَائِلِ عَلَى صِدْقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ"(1).

ثانياً: الآثار الواردة في الحجر

أورد السيوطي عند هذه الآية أثراً يبين مواصفات الحجر الذي انفجر بعصا موسى عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** البقرة {60}، وهو كالتالي:

"أخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة فِي قَوْله: **﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾** الْآيَة قَالَ: كَانَ هَذَا فِي الْبَرِيَّة حَيْثُ خَشوا الظمأ، استسقى مُوسَى فَأمر بِحجر أَن يضربهُ، وَكَانَ حجراً طورانياً من الطّور يحملونه مَعَهم حَتَّى إِذا نزلُوا ضربه مُوسَى بعصاه: **﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾** قَالَ: لكل سبط مُهِمّ عين مَعْلُومَة يَسْتَفِيد ماءها"(2).

يقول الزمخشري في اللام التي للحجر وواصفاً له: "واللام إمّا للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، فقد روى أنه حجر طوري حمله معه، وكان حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا، وقيل أهبطه آدم من الجنة فتوارثوه، حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا، وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة(3)، ففرّ به، فقال له جبريل: يقول لك اللّه تعالى: ارفع هذا الحجر، فإنّ لي فيه قدرة ولك

(1) مفاتيح الغيب، 528/3.

(2) الدر المنثور، 382/1.

(3) "الأُدْرَةُ، بِالضَّمِّ: نفخةٌ فِي الخُصيةِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ آدَرُ بَيِّنُ الأَدَرِ،...، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُصيبهُ فَتْقٌ فِي إِحدى الخُصْيَتين، وَلَا يُقَالُ امرأَةٌ أَدْراءُ، إِما لأَنه لَمْ يُسْمَعْ، وإِما أَن يَكُونَ لِاخْتِلَافِ الخِلْقَة،... إِن بَنِي إِسرائيلَ كَانُوا يقولونَ إِن مُوسَى آدَرُ، مِنْ أَجل أَنه كَانَ لَا يغتَسل إِلَّا وحدَه وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى"لسان العرب، 15/4.

فيه معجزة، فحمله في مخلاته، وإمّا للجنس، أى اضرب الشيء الذي يقال له الحجــر، وعــن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه قال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة،... وقيل: كان من رخام وكان ذراعا في ذراع، وقيل: مثل رأس الإنسان، وقيل: كان مــن آس الجنــة[1] طوله عشرة أذرع على طول موسى، وله شعبتان تتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار"[2].

(1) آس الجنة: شجر الآس في الجنة، انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري، 144/1، ط3(1407) ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(2) المصدر السابق، 144/1،هذه الأقوال التي ذكرها الزمخشري عن الحجر كلها من الإسـرائيليات، انظـر: الإسرائيليات والموضوعات، 188.

المطلب السابع: نعمة تمكينهم من دخول الأرض المقدسة

من النعم الإلهية التي من الله بها على بني إسرائيل تمكينهم من دخول الأرض المقدسة، وكان ذلك بعد التيه في سيناء مدة أربعين سنة قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة {26 }، وبعد هذا التيه دخل الجيل الجديد من بني إسرائيل الأرض المقدسة، ولم يكن هذا التكريم لبني إسرائيل سببه اللون والجنس أو غير ذلك، بل كان سببه الإيمان والتقوى، يقول الدكتور الخالدي: "إن أساس التكريم والتمكين والتفضيل عند الله هو الإيمان والعمل الصالح، وعبادة الله وتقواه، وما كان ضد هذا فهو أساس الذم واللعن والتعذيب، إن الله هزم وأذل السابقين الذين كانوا يقيمون في الأرض المقدسة أمام بني إسرائيل لأنهم كفروا بالله وأشركوا معه أصناماً وأوثاناً وآلهة مزيفة، وإن الله قد نصر بني إسرائيل ومكن لهم في الأرض المقدسة بسبب إيمانهم وعبادتهم لله"[1].

وسنأتي في هذا المطلب للآثار الواردة في مكان الأرض المقدسة، وكيفية دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة.

أولاً: الآثار الواردة في مكان الأرض المقدسة

ذكر السيوطي رحمه الله تعالى وغيرها آثاراً توضح مكان الأرض المقدسة، عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة {58}، ومن ذلك الآثار الآتية:

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺ فِي قَوْله: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ قَالَ: بَيت الْمُقَدّس"[2].

"وأحرج ابن جرير، عن ابن زيد –رضي الله عنهما– قال: هي أريحا، قرية من بيت المقدس"[3].

قال تعالى:﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة {21}.

---

(1) الشخصية اليهودية، 95.

(2) الدر المنثور، 377/1. "إسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الرزاق به ثم قال: وروي عن الربيع بن أنس والسدي نحو ذلك"، الصحيح المسبور، 164/1.

(3) الدر المنثور، 377/1.

"وَأخرج ابْن عَسَاكِر، عَن معَاذ بن جبل قَالَ: الأَرْض ما بين الْعَريش إِلَى الْفُرَات"[1] .

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد، عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قَالَ: هِيَ الشَّام"[2].

مما سبق يتضح الاختلاف في تحديد الأرض المقدسة:

1- بيت المقدس.

2- الأرض ما بين العريش إلى الفرات.

3- الشام.

وقد ذكر الطبري في تفسيره الآراء السابقة وأضاف عليها

4- الطور وما حوله.

5- دمشق وفلسطين وبعض الأردن[3].

ويرجح ابن كثير في تفسيره قول أن الأرض المقدسة بيت المقدس، وهو ما أميل إليه وأرجحه، وقد حكى هذا القول كما يقول السُّدِّيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ وَغَيْرُ واحد، وأما قول أن الأرض المقدسة هي أريحا، وَيُحْكَى هذا القول عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، فقد استبعد هذا القول ابن كثير لأن أريحا ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس، وأما عن قول مصر فقد استبعده أكثر من استبعاد أريحا، والصحيح أن البلدة هي بيت المقدس[4].

ويجمل الطبري الآراء جميعاً فيقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى صلى الله عليه؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك"[5].

وأرى أن رأي ابن كثير هو أقرب إلى الصواب.

---

(1) الدر المنثور، 244/5.

(2) المصدر السابق، 244/5. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 170/2.

(3) انظر: جامع البيان، 167/10، 168.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، 273/1.

(5) جامع البيان، 168/10

ثانياً: الآثار الواردة في كيفية دخول بني إسرائيل

ذكر السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار توضح كيفية دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ البقرة {58، 59}.

"أخرج وَكِيع وَالْفِرْيَابِي، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْحَاكِم ﷺ وَصَححهُ عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ**﴾ قَالَ: بَاب ضيق ﴿**سُجَّدًا**﴾ قَالَ: ركعاً ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ قَالَ: مغْفرَة قَالَ: فَدَخَلُوا من قبل أستاههم وَقَالُوا: حِنْطَة استهزاء قَالَ: فَذَلِك قَوْله عز وَجل: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾"[1].

"وَأخرج وَكِيع، وَالْفِرْيَابِي، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير، وَأَبُو الشَّيْخ عَن ابْن مَسْعُود ﷺ قَالَ: قيل لَهُم: ﴿**ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**﴾ فَدَخَلُوا مقنعي رؤوسهم ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ فَقَالُوا: حِنْطَة حَبَّة حَمْرَاء فِيهَا شعيرَة فَذَلِك قَوْله: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾"[2].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن عِكْرِمَة ﷺ فِي قَوْله ﴿**وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**﴾ قَالَ: طأطئوا رؤوسكم ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ قَالَ: قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا الله"[3].

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَأحمد، وَالْبُخَارِيّ، وَمُسلم، وَعبد بن حميد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم ﷺ، عَن أبي هُرَيْرَة، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم

(1) الدر المنثور، 377/1. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، ح(3040)، 288/2. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم"

(2) الدر المنثور، 378/1. قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ شَيْخِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ وَهُوَ ضَعِيفٌ"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ت- حسام الدين القدسي، 314/6، بدون رقم طبعة(1414هـ - 1994م)، مكتبة القدسي، القاهرة.

(3) الدر المنثور، 379/1.

قَالَ: قيل لبني إِسْرَائيل ادخُلُوا الْبَاب سجداً وَقُولُوا حطة فبدلوا فَدَخَلُوا يزحفون على أستاههم وَقَالُوا حَبَّة فِي شَعْرَة"[1].

القصة كما وردت في كتب التفسير، أن بني إسرائيل خافوا وأصابهم الجبن عندما أمرهم الله بدخول الأرض المقدسة، وقتال من فيها من العماليق الكفرة، هذه الأرض المقدسة هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل، لكن بني إسرائيل ضعفوا وخافوا فرماهم الله في التيه عقوبةً لهم، كما ذكر الله في سورة المائدة ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ المائدة {24 – 26 }، والصحيح في القرية أنها بيت المقدس كما بينا سابقاً، وبعد التيه أربعين سنة مكن الله لهم دخول الأرض المقدسة (بيت المقدس)، وكان ذلك على يد نبي الله يوشع بن نون، وقد حبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى مكن الله لهم الفتح، ولما فتحوها أُمِرُوا أن يدخلوا الباب باب البلدة سجداً، والمقصود من سجداً أي شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنصر، وإنقاذهم من التيه والضلال، وقيل سجداً أي ركعاً، لكن بني إسرائيل كما هي عادتهم بدلوا الفعل فكما ورد في الآثار السابقة فقد دخلوا مقنعي رؤوسهم، أي رافعي رؤوسهم خلاف ما أمروا، وقيل: دخلوا من قبل أستاهم، وأما قوله تعالى لهم: ﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾، فقد ذكر في معناها الاستغفار، وقيل: قولوا لا إله إلا الله[2].

وأما عن قوله تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾ فقد أخرج البخاري كما ذكرنا في الأثر سابقاً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿**ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ**﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا وَقَالُوا: حِطَّةٌ: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ"[3].

(1) الدر المنثور، 380/1، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ البقرة {58}،(4641) ، 60/6.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، 273/1 – 277.

(3) تم تخريجه في هامش 1 من نفس الصفحة الحالية.

المبحث الثالث

الآثار الواردة في عقاب الله لليهود

اليهود قوم عُرفوا بمعصيتهم لله سبحانه وتعالى، فلا تكاد تجد نعمة أنعمها الله عليهم، أو معجزة كانت على يد أنبيائهم، أو فرض فرضه الله عليهم، إلا وقابلوه بالمعصية والجحود والإعراض، لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم عقوبات في الدنيا، وتوعدهم بعذاب شديد في الآخرة، ومن هذه العقوبات التي سنتحدث عنها في هذا المبحث غضب الله عليهم، واللعن، والصاعقة، والتيه، والمسخ قردة وخنازير، وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم، وتقتيل بعضهم البعض[1]، ومن ثم الوعيد الشديد لهم في الآخرة.

والسيوطي رحمه الله في تفسيره الدر المنثور أورد آثاراً تتحدث عن هذه العقوبات، سنبينها في ستة مطالب.

المطلب الأول: غضب الله عليهم

لقد غضب الله على اليهود لأسباب عديدة، كانت في معصية الله تعالى، سنقف وقفات تفصيلية تبين غضب الله على اليهود من خلال الآثار الواردة في الدر المنثور.

أولاً: الآثار الواردة في تحديد أن المغضوب عليهم هم اليهود

لقد ذكر السيوطي عدداً من الآثار التي تبين من هم المغضوب عليهم، عند قوله تعالى:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة {7}، ومن ذلك الآثار الآتية:

"أخرج عبد بن حميد، عن عكرمة –رضي الله عنهما– قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الْيَهُود، و﴿الضَّالِّينَ﴾: النَّصَارَى"[2].

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَأحمد فِي مُسْنده، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَالْبَغوِيّ فِي مُعْجم الصَّحَابَة، وَابْن الْمُنْذر، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن عبد الله بن شَقِيق العقيلي ﷺ قَالَ: أَخْبرنِي من سمع النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ بوادي الْقرى على فرس لَهُ، وَسَأَلَهُ رجل من بني الْعين، فَقَالَ: من المغضوب عَلَيْهِم يَا رَسُول الله؟ قَالَ: الْيَهُود قَالَ: فَمن الضالون؟ قَالَ: النَّصَارَى"[3].

---

(1) تم الحديث عن الموضوع تحت بند الآثار الواردة في كيفية التوبة من عبادة العجل، انظر: 50، 51 من البحث.

(2) الدر المنثور، 84/1.

(3) المصدر السابق، 84/1. أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث رجل سمع النبي صلى الله عليه وسلم، ح(20351) ، 460/33. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده صحيح.

"وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه، من طَرِيق عبد الله بن شَقِيق، عَن أبي ذَر ﷺ قَالَ: سَأَلت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: الْيَهُود، قلت: الضالين؟ قال: النصارى"(1).

اليهود هم القوم المغضوب عليهم بدليل الآثار السابقة التي وردت في تفسير السيوطي، وفي التفاسير الأخرى حيث قال ابن أبي حاتم: "لَا أعلم خلافًا بَين الْمُفَسّرين فِي تَفْسِير ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود ﴿الضَّالِّينَ﴾ بالنصارى"(2).

والغضب هو نقيض الرضا، ويكون من المخلوقين ومن الخالق سبحانه، فأما من المخلوقين فهو شيءٌ يُداخِل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمحمود ما كان في جانب الحق، والمذموم ما كان في غير الحق، وأما غضب الخالق فهو إنكاره على من عصاه، وسخطه عليه، وإعراضه عنه، ومعاقبته له(3).

ثانياً: الآثار الواردة في سبب غضب الله عليهم

لقد ذكر السيوطي عدداً من الآثار التي تبين سبب غضب الله عليهم، عند قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ البقرة {90}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار التالية:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة ﷺ فِي قَوْله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ الْآيَة، قَالَ: هم الْيَهُود كفرُوا بِمَا أنزل الله وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بغياً وحسداً للْعَرَب، ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قَالَ: غضب الله عَلَيْهِم مرَّتَيْنِ بكفرهم بالإنجيل، وبعيسى وبكفرهم بِالْقُرْآنِ، وَبِمُحَمَّدٍ"(4).

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ بكفرهم بِهَذَا النَّبِي ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ كَانَ عَلَيْهِم فِيمَا ضيعوه من التَّوْرَاة"(5).

---

(1) الدر المنثور، 85/1.

(2) المصدر السابق، 87/1. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ت- أسعد محمد الطيب، 31/1، ط3(1419هـ) ، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

(3) انظر: لسان العرب، 648/1، 649.

(4) الدر المنثور، 470/1. حسن: انظر: الصحيح المسبور، 197/1.

(5) الدر المنثور، 471/1.

"وَأخرج ابْن جرير، عَن عِكْرِمَة ﷺ ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ قَالَ: كفرهم بِعِيسَى، وكفرهم بِمُحَمد"(1).

وَأخرج ابْن جرير، عَن مُجَاهِد ﷺ ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ الْيَهُود، غضبٌ بِمَا كَانَ من تبديلهم التَّوْرَاة قبل خُرُوج النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ جحودهم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وكفرهم بِمَا جَاءَ بِهِ"(2).

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة {97}.

"أخرج الطَّيَالِسِيّ، وَالْفِرْيَابِي، وَأحمد، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، وَأَبُو نعيم، وَالْبَيْهَقِيّ كِلَاهُمَا فِي الدَّلَائِل عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: حضرت عِصَابَة من الْيَهُود نَبِي الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم،... قَالُوا: أَنْت الْآن فحدثنا من وليك من الْمَلَائِكَة فَعندهَا نتابعك أَو نفارقك قَالَ: وليي جِبْرِيل وَلم يبْعَث الله نَبيا قطّ إِلَّا وَهُوَ وليه، قَالُوا: فَعندهَا نُفَارِقك لَو كَانَ وليك سواهُ من الْمَلَائِكَة لاتبعناك وَصَدَّقْنَاك، قَالَ: فَمَا يمنعكم أَن تُصَدِّقُوهُ قَالُوا: هُوَ عدوّنا، فَأنْزل الله تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة {101}، فَعِنْدَ ذَلِك باؤوا بغضب على غضب"(3).

يتبين من خلال الآثار السابقة أن سبب غضب الله عليهم يتمثل في الآتي:

1-كفرهم بالإنجيل، وعيسى عليه السلام.

2-كفرهم بالقرآن، وبمحمد صلى الله عليه وسلم.

3-تحريفهم للتوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم.

4-عداوتهم لجبريل عليه السلام.

---

(1) الدر المنثور، 471/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 197/1.
(2) الدر المنثور، 471/1.
(3) الدر المنثور، 475/1 – 477. أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ح(2514) ، 310/4 –312. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: حديث حسن.

ثالثاً: الآثار الواردة في شهادة اليهود أنفسهم أنهم هم المغضوب عليهم

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية أثراً يتبين فيه شهادة من اليهود أنفسهم أنهم هم المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران {67}، وهو كالتالي:

"أخرج ابْن جرير، عَن سَالم بن عبد الله ﷺ لَا أرَاهُ إِلَّا يحدثه عَن أَبِيه، أَن زيد بن عَمْرو بن نفَيْل خرج إِلَى الشَّام يسْأَل عَن الدّين ويتبعه فلقي عَالماً من الْيَهُود، فَسَأَلَهُ عَن دينه، وَقَالَ: إِنِّي لعلّي أَن أدين دينكُمْ فَأَخْبرنِي عَن دينكُمْ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيّ: إِنَّك لن تكون على ديننَا حَتَّى تَأْخُذ بنصيبك من غضب الله، قَالَ زيد: مَا أفر إِلَّا من غضب الله وَلَا أحمل من غضب الله شَيْئاً أبداً فَهَل تدلني على دين لَيْسَ فِيهِ هَذَا قَالَ: مَا أعلمهُ إلا أَن تكون حَنِيفاً، قَالَ: وَمَا الحنيف قَالَ: دين إِبْرَاهِيم لم يكن يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَكَانَ لَا يعبد إِلَّا الله، فَخرج من عِنْده فلقي عَالماً من النَّصَارَى فَسَأَلَهُ عَن دينه، فَقَالَ: إِنِّي لعَلي أَن أدين دينكُمْ فَأَخْبرنِي عَن دينكُمْ قَالَ: إِنَّك لن تكون على ديننَا حَتَّى تَأْخُذ بنصيبك من لعنة الله، قَالَ: لَا أحتمل من لعنة الله شَيْئاً وَلَا من غضب الله شَيْئاً أبداً فَهَل تدلني على دين لَيْسَ فِيهِ هَذَا، فَقَالَ لَهُ نَحْو مَا قَالَ الْيَهُودِيّ: لَا أعلمهُ إِلَّا أَن تكون حَنِيفاً، فَخرج من عِنْدهم وَقد رَضِي بِالَّذِي أخبراه وَالَّذِي اتفقَا عَلَيْهِ من شَأْن إِبْرَاهِيم فَلم يزل رَافعا يَدَيْهِ إِلَى الله وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أشهدك أَنِّي على دين إِبْرَاهِيم"[(1)].

هذه شهادة واضحة من علماء اليهود أنهم هم المغضوب عليهم، وهذا الأثر صحيح فقد أخرجه البخاري في صحيحه بنحو اللفظ تقريباً[(2)]، والغضب من الله على اليهود أشد من اللعنة على النصارى يقول العيني عند شرحه لهذا الأثر: "وَإِنَّمَا خص الْغَضَب باليهود واللعنة بالنصارى، لِأَن الْغَضَب أردى من اللَّعْنَة، فَكَانَ الْيَهُود أَحَق بِهِ، لأَنهم أَشد عَدَاوَة لأهل الْحق"[(3)].

وأما عن زيد بن عمرو بن نفيل، فقد أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: (رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحي الموءودة. ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل

---

(1) الدر المنثور، 618/3، 619.

(2) راجع الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ح(3827) ، 40/5.

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، 287/16، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها)[1].

ولقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال: (يُحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم)[2]، وعن عائشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين[3])[4].

رابعاً: الآثار الواردة في أن الذين يتولون المغضوب عليهم (اليهود) هم المنافقون

يتبين من خلال الآثار الواردة عند هذه الآية في تفسير السيوطي أن الذين يتولون اليهود هم المنافقون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ المجادلة {14}، ومن ذلك الآتي:

"أخرج ابْن الْمُنْذر، عَن ابْن جريج ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾، قَالَ: هم الْيَهُود والمنافقون، ويحلفون على الْكَذِب وهم يعلمُونَ حلفهم أَنهم لمنكم"[5].

"وأخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ الْآيَة، قَالَ: هم الْمُنَافِقُونَ توَلّوا الْيَهُود"[6].

يقول عبد الكريم يونس الخطيب صاحب كتاب التفسير القرآني للقرآن: "فهؤلاء المنافقون قد تولوا، أي صاروا أولياء ومناصرين قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وهم (اليهود)، فاليهود هم

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ح(3828) ، 41/5.

(2) تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت- عمرو بن غرامة العمروي، 511/19، بدون رقم طبعة(1415هـ - 1995م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.، قال ابن كثير: إسناده جيد حسن، انظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ت- مصطفى عبد الواحد، 161/1، بدون رقم طبعة(1395هـ - 1976) ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(3) دوحتين: "أي شجرتين عظيمتين"، السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، 182/1، ط2(1427هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) تاريخ دمشق، 512/19. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد، انظر: السيرة النبوية لابن كثير، 162/1.

(5) الدر المنثور، 327/14.

(6) المصدر السابق، 327/14. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 459/4.

المغضوب عليهم من الله، فحيث وقع غضب الله فى القرآن الكريم، كان اليهود هم الواقع عليهم هذا الغضب، نعوذ الله من غضب الله"[1].

والمنافقون يعملون ضد الإسلام والمسلمين مع ألد الأعداء، ومع القوم المغضوب عليهم، يقول سيد قطب في الظلال في سياق حديثه عن الآيات التي تتحدث عن المنافقين: "وهذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوماً غضب الله عليهم (وهم اليهود) تدل على أنهم كانوا يمعنون في الكيد للمسلمين، ويتآمرون مع ألد أعدائهم عليهم"[2].

إن من أبرز صفات المنافقين أنهم يعملون دائماً ضد الإسلام والمسلمين مع ألد أعداء الله، لذلك وجب علينا الحذر منهم دائماً وأبداً، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ {المنافقون:4}

والمنافقون كما كانوا في عهد رسول الله ﷺ يتآمرون عليه، وعلى المسلمين نجدهم اليوم أيضاً كذلك، فما نراه في واقعنا من تخابر وتجسس مع أعداء الله، والكيد للإسلام والمسلمين لهو خير دليل على ما ذكره القرآن وأكدت عليه السنة النبوية المطهرة.

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 840/14، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكـر العربي، القاهرة.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، 6/ 3513، ط17(1412هـ) ، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

المطلب الثاني : لعن الله تعالى لليهود

لقد استحق اليهود اللعن في مواقف عديدة، منها عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكلهم ما حرم الله عليهم، وكفرهم بالله، وقد وردت آثار في تفسير السيوطي تتحدث عن اللعن، سنبينها فيما يلي:

أولاً: الآثار الواردة في لعنهم بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين لعن اليهود بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ المائدة {78، 79}، ومن ذلك الآتي:

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَأحمد، وَعبد بن حميد، وَأَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ وَحسنه، وَابْن ماجة، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مرْدَوَيْه، وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإِيمان عَن ابْن مَسْعُود ﷺ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كَانَ الرجل يلقى الرجل فَيَقُول لَهُ: يا هذا، اتَّق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لَك، ثمَّ يلقاه من الْغَد فَلَا يمنعهُ ذَلِك أَن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فَلَمَّا فعلوا ذَلِك ضرب الله على قُلُوب بَعضهم بِبَعْض، ثم قَال: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**فَاسِقُونَ**﴾ المائدة {81}، ثمَّ قَالَ: كلا وَالله لتأمرن بِالْمَعْرُوفِ، ولتنهون عَن الْمُنكر، ولتأخذن على يَدي الظَّالِم، ولتأطرنه على الْحق أطراً"[(1)].

"وَأخرج ابْن رَاهَوَيْه، وَالْبُخَارِيّ فِي الوحدان، وَابْن السكن، وَابْن مَنْدَه، والبارودي فِي معرفَة الصَّحَابَة وَالطَّبَرَانِيّ، وَأَبُو نعيم، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن أَبْزَى عَن أَبِيه ﷺ قَالَ: خطب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَحَمدَ الله وَأثْنى عَلَيْهِ ثمَّ ذكر طوائف من الْمُسلمين فَأثْنى عَلَيْهِم خيراً، ثمَّ قَالَ: مَا بَال أَقوام لَا يعلمُونَ جيرانهم وَلَا يفقهونهم وَلَا يفطنونهم وَلَا يأمرونهم وَلَا ينهونهم؟! وَمَا بَال أَقوام لَا يتعلمون من جيرانهم وَلَا يتفقهون وَلَا يتفطنون؟! وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ

---

(1) الدر المنثور، 395/5. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح(4336) ، 121/4. ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، 227/3، ط1(1412هـ – 1992م) ، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. وقد عزاه الهيثمي للطبراني عن أبي موسى الأشعري، وقال: ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ، 269/7.

ليعلمن جيرَانه وليفقهنهم وليفطننهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم وليتفقهن وليتفطنن أَو لأعاجلنهم بالعقوبة فِي دَار الدُّنْيَا، ثمَّ نزل فَدخل بَيته، فَقَالَ أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: من يَعْنِي بِهَذَا الْكَلَام قَالُوا: مَا نعلم يَعْنِي بِهَذَا الْكَلَام إِلَّا الْأَشْعَرِيين فُقَهَاء عُلَمَاء وَلَهُم جيران من أهل الْمِيَاه جُفَاة جهلة، فَاجْتمع جمَاعَة من الْأَشْعَرِيين فَدَخَلُوا على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ: ذكرت طوائف من الْمُسلمين بِخَير وذكرتنا بشر فَمَا بالنا؟ فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: لتعلمن جيرَانكُمْ، ولتفقهنهم، ولتفطننهم، ولتأمرنهم، ولتنهونهم أَو لأعاجلنكم بالعقوبة فِي دَار الدُّنْيَا، فَقَالُوا: يارسول الله فإما إِذن فأمهلنا سنة، فَفِي سنة مَا نعلمهُم ويتعلمون، فأمهلهم سنة، ثمَّ قَرَأَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾المائدة {78، 79}."[1].

لعن الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، وهذا ما تصدقه الآيات السابقة، وتؤكده الآثار التي وردت في تفسير السيوطي عن هذه الآيات، واللَّعْن هُوَ بمعنى: "الطَّرْد من رَحْمَة الله، فَلَا يكون إِلَّا للْكَافِرِينَ، وَبِمَعْنى الإبعاد من دَرَجَة الْأَبْرَار ومقام الصَّالِحين"[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة الأنبياء والعلماء والدعاة إلى الله، يقول عبد الله الجربوع في كتاب أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للخلق من شعائر الإيمان التي تميز بها أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتباعهم، فقد كانت مهمتهم الأمر بالمعروف من إقامة التوحيد وعبادة الله، وإقامة العدل والتزام الأخلاق الفاضلة، والنهي عن المنكر من الشرك والعصيان والظلم والإفساد في الأرض"[3].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد، والأمر بالمعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه بإحسان إلى الناس، والنهي

---

(1) الدر المنثور، 397/5، 398. قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ بُكَيْرُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: ارْمِ بِهِ. وَوَثَّقَهُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ، وَضَعَّفَهُ فِي أُخْرَى. وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ". مجمع الزوائد، 164/1.

(2) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، ت- عدنان درويش – محمد المصري، 797، بدون رقم طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(3) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله الجربوع، 608/2، ط1(1423هـ – 2003م) ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

عن المنكر ضد المعروف، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران {110 }، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران {104 }[1].

وفي الحديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾المائدة {105 }، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) [2].

لذلك يجب الأخذ على يد الظالم حتى لا يعم الله الصالح والطالح بعذاب، فقد أخرج البخاري في صحيحه، عن النعمان بن بشير، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)[3].

ثانياً: الآثار الواردة في لعنهم بسبب أكل المحرمات

ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين لعن اليهود بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾الأنعام {146 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار التالية:

(1) انظر: لوامع الأنوار البهية، 426/2.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب التفسير، باب ومن سورة المائدة، ح(3057) ، 256/5. قال الترمذي: حسن صحيح.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح(2493) ، 139/3.

"أخرج البُخَارِيّ، ومُسلم، وَأَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن ماجة، وَابْن مرْدَوَيْه ﷺ عَن جَابر بن عبد الله: سَمِعت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: قَاتل الله الْيَهُود، لما حرم الله عَلَيْهِم شحومها جملوه[1]، ثمَّ باعوه فأكلوها"[2].

"وَأخرج البُخَارِيّ، وَمُسلم، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن ماجة وَابْن مرْدَوَيْه عَن عمر بن الْخطاب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لعن الله الْيَهُود حرمت عَلَيْهِم الشحوم فَبَاعُوهَا وأكلوا أثمانها"[3].

"وَأخرج أَبُو دَاوُد، وَابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس ﷺ أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: لعن الله الْيَهُود ثَلَاثًا إِن الله حرم عَلَيْهِم الشحوم ثَلَاثًا إِن الله حرم عَلَيْهِم الشحوم فَبَاعُوهَا وأكلوا أثمانها وَإِن الله لم يحرم على قوم أكل شَيْء إِلَّا حرم عَلَيْهِم ثمنه"[4].

حرم الله على اليهود أكل بعض الطيبات، ومنها: "كلّ ذي ظفر، وهو البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعام والوز والبط، وحرّم عليهم شحوم البقر والغنم إلاّ الشحم الذي على ظهور البقر والغنم، أو ما حملت الحوايا وهو ما تحوّى في البطن وهي المباعر والمرابض، أو ما اختلط بعظم... وهذا التحريم لم يكن سببه خبث المحرّم إنما سببه التزام من أبيهم يعقوب في بعض المحرمات، فألزم أبناءه من بعده بمثل ذلك، وبعض المحرمات سببه ظلم بني إسرائيل، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ الأنعام{146 }، وقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا﴾ النساء{160 }"[5].

---

(1) جملوه: أذابوه، إذا أذبته واستخرجت دهنه، انظر: عمدة القاري، 56/12.

(2) الدر المنثور، 245/6، 246. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾، ح(4633) ، 57/6 واللفظ له.

(3) الدر المنثور، 246/6. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما جاء من ذكر بني إسرائيل، ح(3460) ، 170/4.

(4) الدر المنثور، 246/6. أخرجه أبوداود في سننه، كتاب البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة، ح(3488) ، 280/3. صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، 297/2، ط5، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرياض.

(5) الرسل والرسالات، عمر الأشقر، 251، 252، ط4(1410هـ – 1989م) ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت.

لكن من خلال الآثار السابقة يتبين أن اليهود لم يلتزموا بما حرم الله عليهم، فاليهود باعوا الشحوم وأكلوا أثمانها، ولقد بوب البيهقي لهذا الحديث في كتابه معرفة السنن والآثار ما حرم أكله وشربه حرم ثمنه، والأثر الثالث السالف ذكره يؤكد ما بوب به البيهقي[1].

لكن اليهود كما هي عادتهم المعصية فيما أمر الله، لذلك استحقوا لعنة الله، ونلاحظ هنا أن الله عاقبهم فحرم عليهم بعض الطيبات، لكن في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أحل الله لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث.

ثالثاً: أسباب أخرى للعن اليهود[2]

1- اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه: (لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) قَالَتْ عَائِشَةُ: (لَوْلاَ ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) [3].

2- تكذيب الرسل وكفرهم وتفضيلهم الشرك وعبادة الأوثان، ففي تفسير البغوي: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَتَتْهُمُ الرُّسُلُ فَكَذَّبُوهُمْ، وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ وَقَالُوا لَوْ أَتَانَا رَسُولٌ لَنَكُونُنَّ أَهْدَى دِينًا مِنْهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ كَذَّبُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رَسُولٌ، ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ فاطر {42}"[4].

ولقد لعنهم الله بسبب كفرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة {88}، ولعنهم الله أيضاً بسبب تفضيلهم الشرك وعبادة الأوثان على ما جاء به الرحمن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ

---

(1) انظر: معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، ت- عبد المعطي أمين قلعجي، 178/8، ط1(1412هـ - 1991م) ، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان) ، دار قتيبة (دمشق -بيروت) ، دار الوعي (حلب - دمشق) ، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة) .

(2) انظر: الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعاً ودراسة عقدية، يوسف الحوشان، 93، وهي رسالة دكتوراة في العقيدة والمذاهب والمعاصرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ح(1330) ، 88/2.

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، أبو محمد البغوي، ت- عبد الرزاق المهدي، 700/3، ط1(1420هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ النساء {51، 52 }.

3- وصفهم الله بالأوصاف التي لا تليق بجلاله، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة {64 }.

4- تحريفهم لكلام الله: قال تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ النساء{46 }.

المطلب الثالث : أخذ اليهود بالصاعقة

لقد طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن عقاب الله لهم بالصاعقة.

أولاً: الآثار الواردة في الصاعقة

لقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تحت عدد من الآيات مجموعة من الآثار تتحدث عن الصاعقة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ البقرة {55}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة ﷺ فِي الْآيَة قَالَ: عُوقِبَ الْقَوْم، فأماتهم الله عُقُوبَة، ثمَّ بَعثهمْ إِلَى بَقِيَّة آجالهم ليتوفوها"[1].

وَأخرج الطستي، عَن ابْن عَبَّاس، أَن نَافِع بن الْأَزْرَق ﷺ قَالَ لَهُ: أَخْبرنِي عَن قَوْله عزَّ وَجل: ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ قَالَ:الْعَذَاب وَأَصله الْمَوْت،قَالَ:وَهل تعرف الْعَرَب ذَلِك؟قَالَ: نعم"[2].

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ النساء {153}.

"وَأخرج ابْن الْمُنْذر، عَن ابْن جريج –رضي الله عنهما–فِي قَوْله: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ قَالَ: الْمَوْت، أماتهم الله قبل آجالهم، عُقُوبَة بقَوْلهمْ مَا شَاءَ الله أَن يميتهم، ثمَّ بَعثهمْ"[3].

الصاعقة: "هي الصوت مع النار، وقيل: هي صوت الرعد الشديد الذي حق للإنسان أن يغشى عليه منه أو يموت"[4]، وفي لسان العرب: "الصاعِقةُ الْمَوْتُ، وَقَالَ آخَرُونَ: كلُّ عَذَابٍ مُهْلِك"[5].

---

(1) الدر المنثور، 371/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 163/1.
(2) الدر المنثور، 371/1.
(3) المصدر السابق، 94/5.
(4) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت- ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، 131، ط1(1403هـ - 1983) ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
(5) لسان العرب، 198/10.

إن بني إسرائيل طلبوا من موسى رؤية الله جهرة أي علانية، فأخذتهم الصاعقة عقوبة لهم من الله على طلبهم غير المؤدب.

ثانياً: الفرق بين سؤال موسى وسؤال بني إسرائيل في الرؤية

سأل موسى عليه السلام ربه أن ينظر إليه، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأعراف {143}، ورب سائل يقول: لا فرق في سؤال موسى وسؤال بني إسرائيل، لكن ابن حزم يرد على هذا التساؤل بقوله: "وَهَذَا لَا حجَّة لَهُم فِيهِ، لِأَنَّهُ خَارج على وَجْهَيْن أَحدهمَا: أَن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام سَأَلَ ذَلِك قبل سُؤال بني إِسْرَائِيل رُؤْيَة الله تَعَالَى، وَقبل أَن يعلم أَن سُؤال ذَلِك لَا يجوز، فَهَذَا لَا مَكْرُوه فِيهِ لِأَنَّهُ سَأَلَ فَضِيلَة عَظِيمَة أَرَادَ بهَا علو الْمنزلَة عِنْد ربه تَعَالَى، وَالثَّانِي: أَن بني إِسْرَائِيل سَأَلُوا ذَلِك متعنتين وشكاكاً فِي الله عز وَجل ومُوسَى سَأَلَ ذَلِك على الْوَجْه الْحسن الَّذِي ذكرنَا آنِفا"[1].

ثالثاً: هل رؤية الله ممكنة في الدنيا أم في الآخرة؟

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ الأنعام {103}، يقول البيهقي في هذه الآية: "لَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، وَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ الْكَافرِينَ مُطْلَقًا، كَمَا قَالَ: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ المطففين {15}، فَلَمَّا عَاقَبَ الْكُفَّارَ بِحَجْبِهِمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يُثِيبُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَفْعِ الْحِجَابِ لَهُمْ عَنْ أَعْيُنِهِمْ حَتَّى يَرَوْهُ، ولَمَّا قَالَ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ**﴾ القيامة {22}، فَقَيَّدَهَا بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوَصَفَهَا، فَقَالَ: ﴿**نَاضِرَةٌ**﴾ القيامة {22}، ثُمَّ أَثْبَتَ لَهَا الرُّؤْيَةَ فَقَالَ: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ القيامة {23}، عَلِمْنَا أَنَّ الْآيَةَ الْأُخْرَى فِي نَفْيِهَا عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ، وَفِي نَفْيِهَا عَنِ الْوُجُوهِ الْبَاسِرَةِ دُونَ الْوُجُوهِ النَّاضِرَةِ جَمْعًا بَيْنَ الْآيَتَيْنِ"[2].

---

(1) الفصل، 13/4.

(2) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أبو بكر البيهقي، ت- أحمد عصام الكاتب، 122، ط1(1401هـ) ، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

وفي صحيح البخاري تأكيد لرؤية الله في الآخرة، فعَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا) [1].

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ح(7434) ، 127/9.

المطلب الرابع : تيه بني إسرائيل

لقد أصاب بني إسرائيل الجبن والخوف فرفضوا دخول الأرض المقدسة مع موسى عليه السلام فضرب الله عليهم التيه، وفي هذا المطلب سنتحدث عن ذلك.

أولاً: الآثار الواردة في سبب التيه

أورد السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين سبب التيه، قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ المائدة {21، 22}، ومن ذلك الأثر الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة، قَالَ: ذكر لنا أَنهم بعثوا اثْنَي عشر رجلاً من كل سبط رجلاً، عيُونا ليأتوهم بِأَمْر الْقَوْم فَأَما عشرَة فجبنوا قَومهم، وكرهوا إِلَيْهِم الدُّخُول، وَأما يُوشَع بن نون وَصَاحبه فأمرا بِالدُّخُولِ واستقاما على أَمر الله، ورغبا قَومهم فِي ذَلِك، وأخبراهم فِي ذَلِك أَنهم غالبون حَتَّى بلغ ﴿**هَا هُنَا قَاعِدُونَ**﴾ المائدة {24}، قَالَ: لما جبن الْقَوْم عَن عدوّهم وَتركُوا أَمر رَبهم، قَالَ الله: ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً**﴾ المائدة {26}، قال: كانوا يتيهون في الأرض أربعين سنة، إِنَّمَا يشربون مَاء الأطواء[1] لا يهبطون قَرْيَة ولا مصراً ولا يهتدون لَهَا وَلَا يقدرُونَ على ذَلِك"[2].

بني إسرائيل لما رفضوا دخول الأرض المقدسة جبناً وخوفاً من قتال القوم الجبارين كتب الله عليه التيه أربعين سنة، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ المائدة {26}.

وقد ذكر السيوطي عن ابْن جرير عَن مُجَاهِد ﷺ"قَالَ: تاهت بَنو إِسْرَائِيل أَرْبَعِينَ سنة يُصْبِحُونَ حَيْثُ أَمْسوا وَيُمْسُونَ حَيْثُ أَصبحُوا فِي تيههم"[3].

---

(1) الأطواء: "الطَّوِيُّ: البئرُ المَطْوِيَّة بِالْحِجَارَةِ". لسان العرب، 19/15.
(2) الدر المنثور، 252/5، 253.
(3) المصدر السابق، 254.

ثانياً: الآثار الواردة فيما حصل في التيه

"أخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة‌ﷺ قَالَ: حرمت عَلَيْهِم الْقرى، فَكَانُوا لَا يهبطون قَرْيَة وَلَا يقدرُونَ على ذَلِك، إِنَّمَا يتبعُون الأطواء أَرْبَعِينَ سنة، والأطواء الركايا[1]، وَذكر لنا أَن مُوسَى توفّي فِي الْأَرْبَعين سنة وَأَنه لم يدْخل بَيت الْمُقَدّس مِنْهُم إِلَّا أبناؤهم وَالرجلَانِ اللَّذَان قَالَا ما قالا"[2].

"وأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: تاهوا أَرْبَعِينَ سنة، فَهَلَك مُوسَى وهارون فِي التيه وكل من جَاوز الْأَرْبَعين سنة، فَلَمَّا مَضَت الْأَرْبَعُونَ سنة ناهضهم يُوشَع بن نون، وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِالْأَمر بعد مُوسَى، وَهُوَ الَّذِي قيل لَهُ: الْيَوْم يَوْم الْجُمُعَة فهموا بافتتاحها، فدنت الشَّمْس للغروب، فخشي إِن دخلت لَيْلَة السبت أَن يُسْبِتُوا، فَنَادَى الشَّمْس: إِنِّي مَأْمُور، وَإِنَّك مأمورة، فوقفت حَتَّى افتتحها، فَوجدَ فِيهَا من الْأَمْوَال مالم ير مثله قطّ، فقربوه إِلَى النَّار فَلم تأتِ، فَقَالَ: فِيكُم غلُول فَدَعَا رُؤُوس الأسباط، وهم اثْنَا عشر رجلا فبايعهم فالتصقت يَد رجل مِنْهُم بيَدِهِ، فَقَالَ: الْغلُول عنْدك فَأَخْرجهُ، فَأخْرج رَأس بقرة من ذهب لَهَا عينان من ياقوت وأسنان من لُؤْلُؤ فوضعا مَعَ القربان، فَأَتَت النَّار فَأَكَلتهَا"[3].

من خلال الآثار السابقة يتبين أنه في التيه حدثت وفاة موسى وهارون عليهما السلام، ومن تاهوا إلا رجلين، وهو ما سنبينه في النقاط التالية:

1- وفاة موسى عليه السلام

يُذكر أن وفاة موسى عليه السلام كانت بعد وفاة هارون عليه السلام[4]، وذكر البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ) [5].

---

(1) الركايا: جمع الركية وهي البئر. انظر: المعجم الوسيط، 371/1.

(2) الدر المنثور، 253/5.

(3) المصدر السابق، 253/5، 254.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، 79/3.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكر بعده، ح(3407) ، 157/4.

وتعليقاً على الحديث فقد أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليهما السلام رسالة ابتلاء واختبار، وأمره أن يقول له: أجب ربك، أمر اختبار وابتلاء، لا أمراً يريد الله إمضاءه، كما أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء، ولقد بعث الله الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول الملائكة على إبراهيم عليه السلام ولم يعرفهم حتى أوجس منهم خيفة، فكان مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيوراً فرأى في داره رجلاً لم يعرفه، فلطمه موسى ففقأ عينه على الصورة التي كان عليها لا الصورة التي خلقه الله عليها(1).

وفي المستدرك على الصحيحين، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ كَانَ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا، فَأَتَى مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ فَلَطَمَهُ مُوسَى فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَعَرَجَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ عَبْدَكَ مُوسَى فَعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلاَ كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ اللَّهُ إِيتِ عَبْدِي مُوسَى فَخَيِّرْهُ بَيْنَ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْهَا كَفُّهُ سَنَةٌ وَبَيْنَ أَنْ يَمُوتَ الآنَ، فَأَتَاهُ فَخَيَّرَهُ، فَقَالَ مُوسَى: فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ إِذًا، فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبَضَ رُوحَهُ وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّاسَ فِي خِفْيَةٍ) (2).

2- وفاة هارون عليه السلام

ذكر الحاكم في مستدركه كيفية موت هارون، فعن (عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ إِنِّي مُتَوَفِّي هَارُونَ، فَأْتِ بِهِ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا فَانْطَلَقَ مُوسَى وَهَارُونُ نَحْوَ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَإِذَا هُمْ بِشَجَرَةٍ مَثَّلَهَا بِبَيْتٍ مَبْنِيٍّ، وَإِذَا هُمْ فِيهِ بِسَرِيرٍ عَلَيْهِ فُرُشٌ، وَإِذَا فِيهِ رِيحٌ طَيِّبٌ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ وَالْبَيْتِ وَمَا فِيهِ أَعْجَبَهُ، وَقَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ أَنَامَ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ، قَالَ لَهُ مُوسَى: فَنَمْ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَغْضَبَ عَلَيَّ، قَالَ لَهُ مُوسَى: لاَ تَرْهَبْ أَنَا أَكْفِيكَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ فَنَمْ، فَقَالَ: يَا مُوسَى بَلْ نَمْ مَعِي، فَإِنْ جَاءَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ غَضِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ جَمِيعًا، فَلَمَّا نَامَا أَخَذَ هَارُونَ الْمَوْتُ، فَلَمَّا وَجَدَ حِسَّهُ، قَالَ: يَا مُوسَى خَدَعْتَنِي، فَلَمَّا قُبِضَ رُفِعَ ذَلِكَ الْبَيْتُ وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ وَرُفِعَ السَّرِيرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَيْسَ مَعَهُ هَارُونُ قَالُوا: إِنَّ مُوسَى قَتَلَ هَارُونَ وَحَسَدَهُ حُبَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ، وَكَانَ هَارُونُ آلَفَ عِنْدَهُمْ

---

(1) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت- شعيب الأرناؤوط، 114/14، 115، ط1(1408هـ - 1988م) ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر النبي الكليم موسى ابن عمران، وأخيه هارون بن عمران، ح(4107) ، 632/2، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. وأخرجه مسلم في صحيحه بنحو هذا اللفظ تقريباً، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ح(2372) ، 1843/4.

وَأَلْيَنَ لَهُمْ مِنْ مُوسَى، وكَانَ فِي مُوسَى بَعْضُ الْغِلَظِ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ، قَالَ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ إِنَّهُ كَانَ أَخِي أَفَتَرُونِي أَقْتُلُهُ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ فَنزلَ بِالسَّرِيرِ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَصَدَّقُوهُ) [(1)].

3-وفاة الذين تاهوا إلا رجلان

توفى الله في التيه كل من جاوز الأربعين، ولم يدخل الأرض المقدسة إلا رجلان كما ذكر المفسرون هما يوشع بن نون وهو الذي تولى قيادتهم من بعد موسى عليه السلام، والثاني هو كالب بن يوقنا[(2)].

ثالثاً: الآثار الواردة في النبي الذي خلصهم من التيه

الأثر الذي يتحدث عن النبي الذي خلصهم من التيه بعد قضاء مدة التيه هو أثر ابن عباس السابق والذي تحدث أن نبي الله يوشع بن نون هو الذي دخل معهم الأرض المقدسة، وقد حبست الشمس يوما عن الغروب، وقد أخرج البخاري ما يوافق أثر ابن عباس، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا، وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا) [(3)].

وفي مسند أحمد ذكر اسم النبي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ) [(4)].

---

(1) أخرجه الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر وفاة هارون بن عمران فإنه مات قبل موسى عليهما السلام، ح(4109) ، 632/2. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(2) انظر: الدر المنثور، 247/5.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحلت لكم الغنائم) ، ح(3124) ، 86/4.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ح(8315) ، 65/14. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده صحيح على شرط البخاري.

المطلب الخامس: المسخ قردة وخنازير

عاقب الله جماعة من بني إسرائيل لأنهم تجاوزوا في المعصية فمسخهم قردة وخنازير، وسنبين في هذا المطلب أسباب المسخ، وأن نسل الذين مسخوا انقطع، وبيان القول في الذين مسخوا خنازير.

أولاً: الآثار الواردة في سبب المسخ قردة

لقد أورد السيوطي رحمه عدداً من الآثار عند هذه الآية تبين سبب مسخ اليهود قردة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ البقرة {65}، ومن ذلك الآثار التالية:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ**﴾، قَالَ: عَرَفْتُمْ، وَهَذَا تحذير لَهُم من الْمعْصِيَة، يَقُول: احذروا أَن يُصِيبكُم مَا أصَاب أَصْحَاب السبت إِذْ عصوني. ﴿**اعتدوا**﴾ يَقُول: اجترؤوا فِي السبت بصيد السّمك، ﴿**فَقُلْنَا لَهُم كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ فمسخهم الله قردة بمعصيتهم، ولَم يَعش مسخ فَوق ثَلَاثَة أَيَّام، ولَم يَأْكُل، ولَم يشرب، ولَم ينسل"[(1)].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة ﷺفِي الْآيَة قَالَ: أحلّت لَهُم الْحيتَان، وَحرمت عَلَيْهِم يَوْم السبت، ليعلم من يطيعه مِمَّن يعصيه، فَكَانَ الْقَوْم فيهم ثَلَاثَة أَصْنَاف، وَأما صنف فَأمْسك وَنهى عَن الْمعْصِيَة وَأما صنف فَأمْسك عَن حُرْمَة الله، وَأما صنف فانتهك الْمعْصِيَة، ومرن على الْمعْصِيَة فَلَمَّا أَبَوا إِلَّا عتواً عَمَّا نَهَاهُم الله عَنهُ قُلْنَا لَهُمْ: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾، وَصَارَ الْقَوْم قردةً تعاوى، لَهَا أذنابٌ، بعد مَا كَانُوا رجَالًا وَنسَاء"[(2)].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: إِنَّمَا كَانَ الَّذين اعتدوا فِي السبت، فَجعلُوا قردة فواقاً[(3)]، ثمَّ هَلَكُوا مَا كَانَ للمسخ نسل"[(4)].

مما سبق من آثار يتضح أن الله سبحانه وتعالى حرم الصيد على اليهود يوم السبت، وذلك ليختبر من يطيعه ممن يعصيه، لكن اليهود كما هي عادتهم المعصية ومخالفة أمر الله لم

(1) الدر المنثور، 399/1.
(2) المصدر السابق، 400/1.
(3) الفواق: هو فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين، انظر: لسان العرب، 317/10.
(4) الدر المنثور، 400/1.

ينفذوا ما أمر الله به، وأخذوا بحيلة، يقول ابن كثير فيها: "فَتَحَيَّلُوا عَلَى اصطياد الحيتان في يوم السبت، بما وضعوا لَهَا مِنَ الشُّصُوص[1] وَالْحَبَائِلِ وَالْبِرَكِ قَبْلَ يَوْمِ السَّبْتِ، فَلَمَّا جَاءَتْ يَوْمَ السَّبْتِ عَلَى عَادَتِهَا فِي الْكَثْرَةِ نَشِبَتْ بِتِلْكَ الْحَبَائِلِ وَالْحِيَلِ، فَلَمْ تَخْلُصْ مِنْهَا يَوْمَهَا ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَخَذُوهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ السَّبْتِ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ مَسَخَهُمُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ"[2]، لذا استحقوا المسخ قردة ثم أماتهم الله عز وجل بعد ثلاثة أيام دون أن يعقبوا.

ومسخ اليهود كان من جنس أعمالهم كما يقول ابن كثير: "مَسَخَهُمُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ وَهِيَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْأَنَاسِيِّ فِي الشَّكْلِ الظَّاهِرِ وَلَيْسَتْ بِإِنْسَانٍ حَقِيقَةً، فَكَذَلِكَ أَعْمَالُ هَؤُلَاءِ وَحِيَلُهُمْ لَمَّا كَانَتْ مُشَابِهَةً لِلْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَمُخَالِفَةً لَهُ فِي الْبَاطِنِ، كَانَ جَزَاؤُهُمْ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِمْ"[3].

وتفاصيل القصة واضحة في سورة الأعراف، يقول تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الأعراف {163 – 166}.

ثانياً: الآثار الواردة في انقطاع نسل الذين مسخوا

"أخرج ابْن الْمُنْذر، عَن الْحسن قَالَ: انْقَطع ذَلِك النَّسْل"[4].

"أخرج مُسلم، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن مَسْعُود ﷺقَالَ: سُئِلَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن القردة والخنازير أَهِي مِمَّا مسخ الله؟ فَقَالَ: إِن الله لم يهْلك قوماً أَو يمسخ قوماً فَيجْعَل لَهُم نَسْلًا وَلا عاقبة، وَإِن القردة والخنازير قبل ذَلِك"[5].

---

(1) حديدة عقفاء يصاد بها السمك. انظر: لسان العرب،48/7.

(2) تفسير القرآن العظيم، 288/1.

(3) الدر المنثور، 288/1.

(4) المصدر السابق، 400/1.

(5) المصدر السابق، 367/5. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، ح(2663) ، 2051/4.

"وَأخرج الطَّيَالِسِيّ، وَأحمد، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن مَسْعُود ﷺ قَالَ: سَأَلنَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عَن القردة والخنازير أَهِي من نسل من الْيَهُود؟ فَقَالَ: لَا إِن الله لم يلعن قوماً قطّ فمسخم فَكَانَ لَهُم نسل، ولَكِن هَذَا خلق كان، فَلَمَّا غضب الله على الْيَهُود فمسخهم، جعلهم مثلهم"(1).

من الآثار السابقة نعلم أن نسل الذين مسخوا انقطع ولم يخرج منهم أي نسل.

ثالثا: الآثار الواردة في بيان الذين مُسخوا خنازير

لقد أورد السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار تبين من الذين مسخوا خنازير، عند قوله تعالى: ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ المائدة {114، 115}، ومن ذلك الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺفِي قَوْله: ﴿**فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ قَالَ: ذكر لنا أَنهم لما صَنَعُوا فِي الْمَائِدَة مَا صَنَعُوا حوِّلُوا خنازير"(2).

في حادثة المسخ خنازير أقوال، فالسيوطي رحمه الله يذكر آثاراً نقف معها على رأيين، فالأول منها: أن الذين مسخوا خنازير هم من الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام، وبالإضافة إلى الأثر السابق الذي ذكره، فقد أورد أثراً طويلاً نذكر منه ما يخص الموضوع، "أخرج الْحَكِيم التِّرْمِذِيّ فِي نَوَادِر الْأُصُول، وَابْن أبي حَاتِم، وأبو الشيخ فِي العظمة، وَأَبُو بكر الشَّافِعِي فِي فَوَائده الْمَعْرُوفَة بالغيلانيات عَن سلمَان الْفَارِسِي ﷺقَالَ: "قَالَ عِيسَى: هلكتم(3) وإله الْمَسِيح، طلبتم الْمَائِدَة إِلَى نَبِيكُم أَن يطْلبهَا لكم إِلَى ربكُم، فَلَمَّا أَن فعل وأنزلها الله عَلَيْكُم رَحْمَة وَرِزْقًا، وأراكم فِيهَا الْآيَات والعبر، كَذبْتُمْ بهَا وشككتم فِيهَا، فأبشروا بِالْعَذَاب فَإِنَّهُ نَازل بكم إِلَّا أَن يَرْحَمكُمْ الله، وَأوحى الله إِلَى عِيسَى: إِنِّي آخذ المكذبين بشرطي، فَإِنِّي معذب

---

(1) الدر المنثور، 367/5، 368. أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ح(3747)، 292/6، 293. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(2) الدر المنثور، 604/5.

(3) في نسخ أخرى: كذبتم. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، 235/3، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت.

مِنْهُم من كفر بالمائدة بعد نُزُولهَا عذَابا لَا أعذبه أحداً من الْعَالمين، فَلَمَّا أَمْسَى المرتابون بهَا، وَأخذُوا مضاجعهم فِي أحسن صُورَة من نِسَائِهِم آمِنين، فَلَمَّا كَانَ من آخر اللَّيْل مسخهم الله خنازير، وَأَصْبحُوا يتتبعون الأقذار فِي الكناسات"[1].

هذا الأثر قال عنه ابن كثير في تفسيره: "هذا أثر غريب جداً... والله تعالى أعلم"[2]، وقال القرطبي أيضاً: "فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَقَالٌ وَلَا يَصِحُّ مِنْ قِبَلِ إِسْنَادِهِ"[3].

وهذا البيان والتوضيح، يقوى الرأي الثاني الذي رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى: "﴿فقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فَجَعَلَ الله مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ، زعم أَنَّ شَبَابَ الْقَوْمِ صَارُوا قِرْدَةً، وَالْمَشْيَخَةَ صَارُوا خَنَازِير"[4].

---

(1) الدر المنثور، 599/5.
(2) تفسير القرآن العظيم، 230/3.
(3) الجامع لأحكام القرآن، 372/6.
(4) الدر المنثور، 401/1.

المطلب السادس: الآثار الواردة في إلقاء العداوة بين اليهود، وعقاب الله لهم في الآخرة

أولاً: الآثار الواردة في إلقاء العداوة بين اليهود

لقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى عدداً من الآثار التي توضح إلقاء العداوة بين اليهود ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ المائدة {14}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن الرّبيع قَالَ: إِن الله تقدم إِلَى بني إِسْرَائِيل أَن لا يشتروا بآيَات الله ثمنا قَلِيلاً، ويعلموا الْحِكْمَة ولا يأخذوا عَلَيْهَا أجراً، فَلم يفعل ذَلِك إِلَّا قَلِيل مِنْهُم، فَأَخذُوا الرِّشْوَة فِي الحكم، وجاوزوا الْحُدُود، فَقَالَ فِي الْيَهُود حَيْثُ حكمُوا بِغَيْر مَا أَمر الله: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ المائدة {64}. وَقَالَ فِي النَّصَارَى: ﴿**فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾"[(1)].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن الرّبيع قَالَ: قَالَت الْعلمَاء فِيمَا حفظوا وَعَلمُوا: إِنه لَيْسَ على الأَرْض قوم حكمُوا بِغَيْر مَا أنزل الله إِلَّا أَلْقى الله بَينهم الْعَدَاوَة والبغضاء وَقَالَ: ذَلِك فِي الْيَهُود حَيْثُ حكمُوا بِغَيْر ما أنزل الله: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾"[(2)].

لقد ألقى الله سبحانه وتعالى العداوة والبغضاء على اليهود عقوبة لهم بسبب عصيانهم، وحبهم للدنيا، وأخذهم الرشوة، وغير ذلك من التجاوزات، وهذه العداوة التي ألقاها الله عليهم إلى يوم القيامة بدليل قوله تعالى في الآية السابقة.

وقد قال الله تعالى في حقهم في سورة الحشر: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ الحشر {14}.

---

(1) الدر المنثور، 5/235، 236.

(2) المصدر السابق، 5/377.

ثانياً: عقاب الله لهم في الآخرة

لقد توعد الله اليهود بعقاب شديد في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة {174}، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران {77}، ولقد أورد السيوطي في هاتين الآيتين أثراً يبين أنهما نزلتا في اليهود، فعن ابْن جرير، عَن عِكْرِمَة، قَال فِي قَوْله: "﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ البقرة {174}، وَالَّتِي فِي آل عمرَان ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ آل عمران {77} نزلتا جَمِيعًا فِي يهود"(1).

ولقد توعد الله اليهود بالويل والخلود في النار، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة {79}، والويل كما ورد في السيوطي عن ابْن جرير، عَن عُثْمَان بن عَفَّان، عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي قَوْله: "﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قَالَ: الويل جبل فِي النَّار، وَهُوَ الَّذِي أنزل فِي الْيَهُود، لأَنهم حرفوا التَّوْرَاة زادوا فِيهَا مَا أحبُّوا، ومحوا مِنْهَا مَا كَانُوا يكْرهُونَ، ومحوا اسْم مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من التَّوْرَاة"(2).

أما بالنسبة للخلود في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة {6}.

---

(1) الدر المنثور، 134/2.

(2) المصدر السابق، 433/1.

المبحث الرابع

الآثار الواردة في صفات اليهود

إن صفات اليهود الواردة في كتاب الله تشخص الحالة النفسية اليهودية السيئة، والتي من بينها، حب الدنيا، وقسوة القلب، والغرور، والحسد، ونقض العهود، والكذب، وسيكون الحديث مفصلاً عن هذه النقاط من خلال القرآن، والآثار الواردة في تفسير السيوطي التي تتحدث عن صفاتهم السابقة في ستة مطالب.

المطلب الأول: حب الدنيا

من أبرز الصفات الملازمة لليهود في كل وقت حب الدنيا، وهذه الصفة يترتب عليها أمور، منها كراهية الموت، والخوف والجبن، والتجارة بآيات الله حباً وطلباً للدنيا، واتباع الهوى، وسنتحدث في هذا المطلب عن هذه الأمور.

أولاً: الآثار الواردة في كراهية الموت

سيتمحور الحديث في هذه المسألة في نقطتين:

1-الآثار الواردة في عدم تمنيهم الموت رغم زعمهم أن الجنة خاصة لهم

ذكر السيوطي عدداً من الآثار التي توضح كراهية اليهود للموت من خلال عدم تمنيهم الموت رغم زعمهم أن الجنة خاصة لهم، عند قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ البقرة {94 - 96}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن أبي الْعَالِيَة ﷺقَالَ: قالوا: ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ البقرة {111 }.وَقَالُوا: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ المائدة {18}. فَأنْزل الله: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ فَلم يَفْعَلُوا"[1].

---

(1) الدر المنثور، 472/1. أخرجه الطبري بسند حسن عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد أبي العالية، كما في الصحيح المسبور، 200/1.

"وَأخرج الْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس فِي هَذِه الْآيَة قَالَ: قل لَهُم يَا مُحَمَّد: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يَعْنِي الْجنَّة كَمَا زعمتم ﴿خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يَعْنِي الْمُؤمنِينَ ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنها لكم خَالِصَة من دون المؤمنين، فَقَالَ لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (إِن كُنْتُم فِي مَقَالَتكُمْ صَادِقين قُولُوا: اللَّهُمَّ أمتنَا فوالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولهَا رجل مِنْكُم إِلَّا غص بريقه فَمَاتَ مَكَانَهُ) فَأَبَوا أَن يَفْعَلُوا، وكرهوا مَا قَالَ لَهُم، فَنزل: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يَعْنِي عملته أَيْديهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أَنَّهُم لن يَتَمَنَّوْهُ، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عِنْد نزُول هَذِه الْآيَة: (وَالله لَا يتمنونه أبدا)"[1].

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ أَي: ادعوا بِالْمَوْتِ على أَي الْفَرِيقَيْنِ أكذب. فَأَبَوا ذَلِك، وَلَو تمنوه يَوْم قَالَ ذَلِك، مَا بَقِي على وَجه الأَرْض يَهُودِيّ إِلَّا مَاتَ"[2].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس، فِي قَوْله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يَعْنِي: الْجنَّة ﴿خَالِصَةً﴾ خَاصَّة، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ فاسألوا الْمَوْت، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، لأنعم يعلمُونَ أَنهم كاذبون، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ قَالَ: أسلفت"[3].

"وَأخرج أَحْمد، وَالْبُخَارِيّ، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مرْدَوَيْه، وَأَبُو نعيم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ، عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: (لَو أَن الْيَهُود تمنوا الْمَوْت لماتوا، ولرأوا مَقَاعِدهمْ من النَّار)"[4].

من أكثر الصفات الملازمة لليهود حب الدنيا وكراهية الموت، وفي الآيات والآثار السابقة تحدي لهم في أن يتمنوا الموت، حيث إنهم يزعمون أن الجنة خالصة لهم من دون الناس، وأنه لن يدخل الجنة إلا اليهود، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فإذا كانت هذه أحوالكم مع الله

(1) الدر المنثور، 472/1، 473. "هذه الأسانيد صحيحة إما بمجموعها أو أن بعضها تقوى من الحسن إلى الصحيح لغيره"، الصحيح المسبور، 42/1.
(2) الدر المنثور، 473/1.
(3) المصدر السابق، 473/1.
(4) المصدر السابق، 274/1. أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) ، ح(4958) ، 174/6.

سبحانه وتعالى، فلماذا لا تتمنون الموت؟! فهذا يدلل على كذبهم، وهم يعلمون أنهم كاذبون، فمن المستحيل أن يتمنوا الموت، لأن من كان حاله التقصير والتكذيب مع الله، سيكون كارهاً للقاء الله، وعندها حتماً سيكون كارهاً للموت، وهذه هي صفة اليهود كراهية الموت وحب الدنيا خوفاً من لقاء الله، لكن أنى لهم ذلك فالموت

لابد آتيهم، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ للهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجمعة {6 – 8 }.

والتحدي لليهود في تمني الموت فيه وجه من وجوه الإعجاز؛ لأنهم لن يتمنوا الموت أبداً، يقول الزمخشري: "وقوله: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب"(1).

2-الآثار الواردة في بيان حرصهم على أحقر حياة

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، وَالْحَاكِم وَصَححهُ، عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ قَالَ: الْيَهُود"(2).

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاسﷺ فِي قَوْله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ يَعْنِي: الْيَهُود"(3).

في الأثرين السابقين تخصيص أن الذين يحرصون على حياة هم اليهود، وهنا تتضح حقارة ودناءة اليهود في الحرص على الحياة، لأن كلمة حياة جاءت نكرة، يقول سيد قطب: "أية حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مميزة على الإطلاق، حياة فقط! حياة بهذا التنكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام! إنها يهود، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها

---

(1) الكشاف، 167/1.

(2) الدر المنثور، 474/1. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب سورة البقرة، ح(3043) ، 289/2. قال الحاكم: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم".

(3) الدر المنثور،474/1.

سواء، وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكست الرؤوس، وعنت الجباه جبناً وحرصاً على الحياة.. أي حياة"[1].

وسيد قطب رحمه الله يضع في قوله السابق سبب تعنت اليهود في عصرنا الحالي مع أنهم من أحقر الناس وأجبنهم، ألا وهو ضعفنا وغياب المطرقة التي تخيف اليهود، والمقصود غياب عنصر القوة الذي يخيف اليهود، فعادة اليهود متى وجدوا ضعفاً ممن يقابلهم تعنتوا واستكبروا، ومتى وجدوا القوة جبنوا وخافوا وأخذوا يبحثون عن أحقر حياة

وتنكير كلمة حياة له دلالات أشار إليها أرباب البلاغة والأدب، يقول المؤيد بالله: "فتنكير الحياة ههنا أحسن من تعريفها، وإنما وجب ذلك لأمرين، أما أولاً فلأنه لا يحرص إلّا الحى، وهو لا يستقيم حرصه على أصل الحياة المعهودة، وإنما يتوجه حرصه على الازدياد من الحياة فى الأزمنة المستقبلة، وهذا إنما يكون إذا كانت نكرة، لأن المعنى فيها على أنهم أحرص الناس على أن يزدادوا حياة إلى حياتهم، ولو عاشوا ما عاشوا، وأما ثانياً: فلأنها إذا كانت نكرة فالتنوين مصاحب لها، وعلى هذا يكون معناها، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، أى حياة لأنها مسوقة للمبالغة، ولن يكون كذلك إلا بالتقدير الذى ذكرناه"[2] .

واليهود أحرص الناس على الحياة، فهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم، وسبب ذلك لأنهم يعلمون ما قدمت أيديهم من كفر وخروج عن أمر الله، وقتلهم لأنبيائهم، وبالتالي هم يعلمون ما ينتظرهم في الآخرة من عذاب شديد، ومقت وغضب من الله، لذلك هم يتمنون أن يعيشوا دهراً طويلاً لكي يبعدهم ذلك عن لقاء الله ولو كان بأي ثمن، وأي حياة[3].

والوقائع الحالية الحاصلة معنا كشعب فلسطيني، تثبت حرص اليهود على الحياة، وخوفهم من الموت، فقد كشفت صحيفة هآرتس الصهيونية "أن الانهيار الحاصل في العملية السلمية بين (إسرائيل) والسلطة الفلسطينية بعث الحياة من جديد في ظاهرة رفض جنود إسرائيليين الخدمة العسكرية في المناطق الفلسطينية لأسباب ضميرية، وأشارت الصحيفة إلى أن الظاهرة آخذة في الاتساع وتعيد إلى الأذهان ظاهرة رفض الخدمة في لبنان إبان احتلاله، وفي المناطق الفلسطينية في الانتفاضة الأولى، وقد حكم على 350 جندياً بالسجن عقاباً على رفضهم هذا"[4].

---

(1) في ظلال القرآن، 92/1.

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الملقب بالمؤيد بالله، 9/2، ط1(1423هـ) ، المكتبة العصرية، بيروت.

(3) انظر: تفسير الوسيط، 42/1.

(4) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 238، المكتبة الشاملة.

ثانياً: الآثار الواردة في جبن وخوف اليهود

سأقسم هذه المسألة إلى ثلاث نقاط:

1-الآثار الواردة في جبن اليهود للقتال مع طالوت ضد جالوت

ذكر السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين جبن اليهود للقتال مع طالوت ضد جالوت، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَّ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهَّ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهَّ وَاللهُّ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ البقرة {249 }، ومن ذلك الآتي:

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن السّديّ ﷺقَالَ: خَرجُوا مَعَ طالوت، وهم ثَمَانُون ألفاً وَكَانَ جالوت من أعظم النَّاس وأشدهم بَأْساً، فَخرج يسير بَين يَدي الْجند، فَلَا تَجْتَمِع إِلَيْهِ أَصْحَابه حَتَّى يهْزم هُوَ من لَقِي، فَلَمَّا خَرجُوا قَالَ لَهُم طالوت: ﴿**إِنَّ اللهَّ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ فَشَرِبُوا مِنْهُ هَيْبَة من جالوت، فَعبر مِنْهُم أَرْبَعَة آلَاف وَرجع سِتَّة وَسَبْعُونَ ألفاً، فَمن شرب مِنْهُ عَطش، وَمن لم يشرب مِنْهُ إِلَّا غرفَة رُوِيَ، ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ فنظروا إِلَى جالوت رجعُوا أَيْضاً و ﴿**قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾ فَرجع عَنهُ ثَلَاثَة آلَاف وستِمِائَة وَبضْعَة وَثَمَانُونَ وَجلسَ فِي ثلثمِائَة وَبضْعَة عشر عدَّة أهل بدر"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ**﴾ غازياً إِلَى جالوت، قَالَ طالوت لبني إِسْرَائِيل: ﴿**إِنَّ اللهَّ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ**﴾ قال: بَين فلسطين والأردن، نهر عذب المَاء طيبه، فَشرب كل إِنْسَان كَقدْر الَّذِي فِي قلبه، فَمن اغترف غرفَة وأطاعه رُوِيَ بطَاعَتِهِ، وَمن شرب فَأَكْثر عصى فَلم يرو، ﴿**فلما جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ قَالَ الَّذين شربوا: ﴿**قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾ ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ**﴾: الَّذين اغترفوا"[2].

(1) الدر المنثور، 146/3.

(2) المصدر السابق، 146/3، 147.

هذه الآثار التي وردت في تفسير السيوطي، تبين رفض اليهود القتال مع طالوت ضد جالوت إلا فئة قليلة جداً منهم الذين بقوا، وهم الفئة المؤمنة الصابرة من بني إسرائيل، وتفاصيل القصة كالتالي[1] :

قال أكثر المفسرين كان نبي بني إسرائيل في تلك الفترة هو شمويل، وقيل شمعون، وقيل هما واحد، فبني إسرائيل لما أنهكتهم الحرب، وقهرهم الأعداء في أكثر من مرة، وأخرجهم الأعداء من بيوتهم، سألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يكونون تحت طاعته ويقاتلوا من ورائه الأعداء، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ البقرة {246 }.

فبعث الله سبحانه وتعالى طالوت عليه السلام لهم ملكاً، لكي يقاتلوا معه أعداءهم، قال تعالى: ﴿**وَقَال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً**﴾ البقرة {247 }.

لكن كما هي عادة بني إسرائيل التعنت، اعترضوا وطعنوا في إمارته عليهم وقالوا: نحن أولى بالملك منه، حيث يرون أن صاحب الملك يجب أن يكون من الأغنياء، وذكروا أنه فقير، لكن رد عليهم نبيهم أن هذه المواصفات التي ذكرتموها ليست مقياس الملك، وأن مواصفات الاصطفاء من عند الله، قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ البقرة {247، 248 }.

فلما فصل طالوت بالجنود، أراد أن يختبرهم بالنهر، وقد قال كثير من المفسرين إنه نهر الأردن، وكان هذا الاختبار من أمر نبي الله، عن أمر الله، اختباراً وامتحاناً لهم أن من شرب من هذا النهر فلا يشارك مع طالوت في هذه الغزوة، قال تعالى: ﴿**فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**﴾ البقرة {249 }.

(1) انظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت- عبد الله بن عبد المحسن التركي، 291/2 – 296، ط1(1418هـ – 1997م) ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

وبعد هذا الاختبار ومجاوزة النهر، ولم يبق معه إلا العدد القليل، جبن وتخاذل عدد آخر منهم، ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ البقرة {249 }.

وقد روى البخاري عدة الذين بقوا مع طالوت، فعَنِ البَرَاءِ، قَالَ: (كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَتَحَدَّثُ: أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَ مِائَةٍ) [1]

لكن المؤمنون منهم، والواثقون بنصر الله الذين بقوا وثبتوا، وقالوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ* وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة {249، 259 }.

وكتب الله سبحانه وتعالى النصر على يد الفئة المؤمنة القليلة، التي لم تجبن ولم تخاف، وقتل داود عليه السلام زعيم الأعداء جالوت فانهزموا، وقيل إنه قتله بحجر، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة {251 }.

2-الآثار الواردة في جبنهم ورفضهم القتال مع موسى عليه السلام ودخول الأرض المقدسة

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار التي توضح وتفسر جبن اليهود ورفضهم القتال مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة {24 }.

"أخرج أَحْمد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن حبَان، عَن أنس رضي الله عنه، أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لما سَار إِلَى بدر استَشَارَ الْمُسلمين، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبو بكر، ثمَّ استشارهم، فأشار عليه عمر، ثم استشارهم، فَقَالَت الْأَنْصَار: يا معشر الْأَنْصَار، إِيَّاكُمْ يُرِيد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، قَالُوا: لَا نقُول كمَا قَالَت بَنو إسرائيل لمُوسَى: ﴿اذْهَبْ أَنْت وَربك فَقَاتلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ وَالَّذِي بَعثك بِالْحَقِّ لَو ضربت أكبادها إِلَى برك الغماد لاتبعناك"[2] .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ح(3958) ، 73/5.

(2) الدر المنثور، 249/5، 250. أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ح(12022) ، 79/19. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وَأخرج أَحْمد، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن عتبَة بن عبد السّلمِيّ قَالَ: قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لأصحابه: (ألا تقاتلون؟) قَالُوا: نعم، ولا نقول كَمَا قَالَت بَنو إِسْرَائِيل لمُوسَى: ﴿**اذْهَبْ أَنْت وَرَبك فَقَاتلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ**﴾ ولَكِن اذْهَبْ أَنْت وَرَبك فَقَاتلا، إِنَّا مَعكُمْ مُقَاتِلُونَ"[1].

"وَأخرج البُخَارِيّ، وَالْحَاكِم، وَأَبُو نعيم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن مَسْعُود ﷺقَالَ: لقد شهِدت من الْمِقْدَاد مشهداً لِأَن أكون أَنا صَاحبه أحب إليَّ مِمَّا عدل بِهِ، أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ يَدْعُو على الْمُشْركين، قَالَ: وَالله يا رسول الله، لا نقول كَمَا قَالَت بَنو إِسْرَائِيل لمُوسَى: ﴿**اذْهَبْ أَنْت وَرَبك فَقَاتلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ**﴾، ولَكِن نُقَاتِل عَن يَمِينك، وَعَن يسارك، وَمن بَين يَديك، وَمن خَلفك، فَرَأَيْت وَجه رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يشرق لذَلِك، وسر بذلك"[2].

تبين الآية، والآثار السابقة جبن ورفض بني إسرائيل من دخول الأرض المقدسة، وتبين الآثار شجاعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، وأنهم ليسوا كبني إسرائيل، بل هم مع نبيهم، وتعبير الآثار السابق يغني عن سرد الكلام في موقف الصحابة.

وأما بالنسبة لدخول الأرض المقدسة، فقد أمر موسى عليه السلام قومه دخول الأرض المقدسة، والتي كان يسكنها الجبارين (وهم قوم كفار)، لكن قوم موسى أصابهم الجبن والخوف، ورفضوا دخول الأرض المقدسة خوفاً من أصحابها، فضرب الله سبحانه وتعالى عليهم التيه أربعين سنة عقوبة على رفضهم، والآيات التي في سورة المائدة ترسم الموقف بشكل كامل، قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي**

---

(1) الدر المنثور، 250/5. أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث طارق بن شهاب، ح(18827) ، 124/31. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: صحيح.

(2) الدر المنثور، 250/5، 251. أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين* وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) ، ح(4952) ، 73/5.

وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة {21 – 26 }.

ويعلق سيد قطب على الآيات السابقة في الظلال تعليقاً يلخص حالة اليهود: "إن جبلة يهود لتبدو هنا على حقيقتها، مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من التجمل، ذلك أنهم أمام الخطر فلا بقية إذن من تجمل ولا محاولة إذن للتشجع، ولا مجال كذلك للتمحل، إن الخطر ماثل قريب ومن ثم لا يعصمهم منه حتى وعد الله لهم بأنهم أصحاب هذه الأرض، وأن الله قد كتبها لهم، فهم يريدونه نصراً رخيصاً، لا ثمن له، ولا جهد فيه، نصراً مريحاً يتنزل عليهم تنزل المن والسلوى،... وهكذا يحرج الجبناء فيتوقحون ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون، والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين؛ بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان، يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن، فيحرج بأنه نكل عن الواجب، فيسب هذا الواجب ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لا يريد"[1].

وقول اليهود لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، فيه تأكيد على جبن اليهود، وإشارة واضحة على أن اليهود يحبوا أن يشعلوا نار الحرب بين الشعوب دون أن يتدخلوا يقول صلاح الخالدي في ذلك: "وألحظ من هذه الجملة أمراً ملفتاً للنظر وذا دلالة خاصة على جبن اليهود في الحروب، إنهم لا يريدون أن يحاربوا، ولا يحسنون الحرب، ومع ذلك هم حريصون على إشعال الحروب وإيقاد نارها في كل حين، لكن وقودها من غيرهم، إنهم يرسمون الحروب ويخططون لها بمكر شيطاني خبيث،... وعندما تنتهي هذه الحرب يتقدم يهود المتفرجون الجبناء لقطف الثمرة وجني الربح والاستحواذ على مكاسبها ومغانمها. الآخرون يحاربون ويدفعون الثمن ويهود يجنون الأرباح والنتائج"[2].

والواقع يصدق ما ذهب إليه الخالدي، فما حدث في العراق، وما حدث في أفغانستان، وغير ذلك من الدول يدل دلالة قاطعة أن لليهود يد في إشعال الحرب في هذه الدول.

3-الآثار الواردة في جبنهم في قتال الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد ذكر السيوطي رحمه الله أثراً يوضح ويفسر جبن اليهود في قتال الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

(1) في ظلال القرآن، 870/2.
(2) الشخصية اليهودية، 230.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر {2}، وهو كالتالي:

"أخرج الْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن عُرْوَة ﷺقَالَ: أَمر الله رَسُوله بإجلاء بني النَّضِير وإخراجهم من دِيَارهمْ[1]، وَقد كَانَ النِّفَاق كثيرا بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: أَيْن تخرجنا؟ قَالَ: أخرجكم إِلَى الْمَحْشَر، فَلَمَّا سمع الْمُنَافِقُونَ مَا يُرَاد بإخوانهم وأوليائهم من أهل الْكتاب أرسلُوا إِلَيْهِم، فَقَالُوا لَهُم: إِنَّا مَعكُمْ محيانا ومماتنا، إِن قوتلتم فلكم علينا النَّصْر، وَإِن أخرجتم لم نتخلف عَنْكُم، ومناهم الشَّيْطَان الظُّهُور، فَنَادوا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: إِنَّا وَالله لَا نخرج، وَلَئِن قَاتَلْتنَا لنقاتلنك، فَمضى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فيهم لأمر الله، وَأمر أَصْحَابه، فَأخذُوا السِّلَاح، ثمَّ مضى إِلَيْهِم وتحصنت الْيَهُود فِي دُورهمْ وحصونهم، فَلَمَّا انْتهى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِلَى أزقتهم أَمر بالأدنى من دُورهمْ أَن يهدم، وبالنخل أَن يحرق وَيقطع، وكفّ الله أَيْديهم وأيدي الْمُنَافِقين فَلم ينصروهم، وَألقى الله فِي قُلُوب الْفَرِيقَيْنِ الرعب، ثمَّ جعلت الْيَهُود كلما خلص رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من هدم مَا يَلِي مدينتهم أَلْقى الله فِي قُلُوبهم الرعب، فهدموا الدّور الَّتِي هم فِيهَا من أدبارها، وَلم يستطيعوا أَن يخرجُوا على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَلَمَّا كَادُوا أَن يبلغُوا آخر دُورهمْ، وهم ينتظرون الْمُنَافِقين وَمَا كَانُوا منوهم، فَلَمَّا يئسوا مِمَّا عِنْدهم سَأَلُوا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الَّذِي كَانَ عرض عَلَيْهِم قبل ذَلِك، فقاضاهم على أَن يجليهم وَلَهُم أَن يتحملوا بِمَا استقلت بِهِ الْإِبِل من الَّذِي كَانَ لَهُم، إِلَّا مَا كَانَ من حَلقَة السِّلَاح، فَذَهَبُوا كل مَذْهَب، وَكَانُوا قد عيروا الْمُسلمين حِين هدموا الدّور وَقَطعُوا النّخل فَقَالُوا: مَا ذَنْب شَجَرَة وَأَنْتُم تَزْعُمُونَ أَنكُمْ

(1) سبب غزوة بني النضير: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير لكي يطالبهم بدية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال بنو النضير نجيبك على ماطلبت، فجلس رسول صلى الله عليه وسلم بجانب جدار لهم لينتظر وفاءهم، فما كان منهم إلا أن خلا بعضهم إلى بعض، وتآمروا على قتل رسول صلى الله عليه وسلم، وقالوا أيكم يعلو سطح هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب، فصعد ليلقي الصخرة.
ونزل جبريل عليه السلام ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخبر الذي أراد بنو النضير أن يفعلوه، فرجع الرسول صلى الله عليه وسلم مسرعاً إلى المدينة، ، وأخبر أصحابه بالخبر وما كانت تنوي بنو النضير، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعداد لحربهم والسير إليهم. انظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ت- مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، 190/2، ط2(1375هـ - 1955م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

مصلحون؟! فَأنْزل الله: ﴿سبح لله مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وليخزي الْفَاسِقين﴾ ثمَّ جعلهَا نفلاً لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، ولَم يَجْعَل مِنْهَا سَهْماً لأحد غَيره، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَفَاء الله على رَسُوله مِنْهُم﴾ إِلَى قَوْله: ﴿قدير﴾ فَقَسمهَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِيمَن أرَاهُ الله من الْمُهَاجِرين الأوّلين"[1].

وقصة إجلاء بني النضير كما ذكرت في الأثر واضحة، وجبنهم واضح كذلك، لكن أريد أن أقف وقفات هامة مع آيات سورة الحشر وهي كالتالي[2] :

أ- اعتمد اليهود في غزوة بني النضير على حصونهم، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر {2 }، وهذا الاعتماد يلخص الجبن الموجود عندهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، أتاهم من داخل أنفسهم، لا من داخل حصونهم، أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم.

ب- تقرير القرابة بين المنافقين واليهود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ الحشر {11 }.

ج -إرادة الله فوق كل إرادة، فالمنافقون وعدوا إخوانهم الكفار من أهل الكتاب، لكن الله العالم بحقيقتهم يقرر غير ما يقررون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الحشر {11 }.

د- حقيقة نفوس المنافقين، والذين كفروا من أهل الكتاب تخاف من المؤمنين أكثر مما تخاف من الله، قال تعالى:﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر{13 }.

ه- خوف المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب من المؤمنين، رسخ عندهم مبدأ الرهبة والخوف في قتال المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر {14 }.

---

(1) الدر المنثور، 334/14 – 336.

(2) انظر: في ظلال القرآن،3521/6، 3528.

ثالثاً: الاتجار بآيات الله

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار التي توضح وتفسر تجارة اليهود بآيات الله، قال تعالى: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ البقرة {90 }، ومن ذلك الاثر التالي:

"أخرج الطستي فِي مسَائِله، عَن ابْن عَبَّاس، أن نَافِع بن الْأَزْرَق ﷺ قَالَ لَهُ: أَخْبرنِي عَن قَوْله عز وَجل: ﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوا بِهِ أنفسهم**﴾ قَالَ: بئس مَا باعوا بِهِ أنفسهم حَيْثُ باعوا نصيبهم من الْآخِرَة بطمع يسير من الدُّنْيَا..."[1]

إن حب الدنيا جلب لليهود كثيراً من الانحرافات، والتي منها الاتجار بآيات الله، فكذبوا على الله، وحرفوا التوراة، وكتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم حباً في الدنيا، قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ البقرة {79 }.

وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ آل عمران {187 }.

وقال أيضاً: ﴿**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ البقرة {41 }، ويعلق سيد قطب على هذه الآية فيقول: "والثمن والمال والكسب الدنيوي المادي، كله شنشنة يهود من قديم، وقد يكون المقصود بالنهي هنا هو ما يكسبه رؤساؤهم من ثمن الخدمات الدينية والفتاوى المكذوبة، وتحريف الأحكام حتى لا تقع العقوبة على الأغنياء منهم والكبراء، كما ورد في مواضع أخرى، واستبقاء هذا كله في أيديهم بصد شعبهم كله عن الدخول في الإسلام، حيث تفلت منهم القيادة والرياسة"[2].

ولقد توعد الله اليهود بعذاب شديد، لأنهم يتهاونون في آيات الله، بعرض من الدنيا زائل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ آل عمران {77 }.

---

(1) الدر المنثور، 470/1.
(2) في ظلال القرآن، 67/1.

رابعاً: اتباع الهوى

اتباع الهوى من توابع حب الدنيا لأنه لا يمكن أن يخلو حب الدنيا من اتباع الهوى، أو العكس، يقول الدكتور نور الدين عادل: "من رحم حب الدنيا والحرص على الحياة، أي حياة، يخرج مولود لا يعرف له غير الهوى إلهاً"[1]، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان {43 }.

وإن اتباع الهوى عند بني إسرائيل سبب لهم الكثير من الانحرافات، وهي[2]:

1- عدم القبول بالرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ* قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ القصص {48 – 50 }.

2- الكفر بآيات الله، والإعراض عن الحق: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة {101 }.

وقال أيضاً: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ آل عمران {70 }.

3- الغلو في الدين: وهي خاصة باليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة {77 }.

4- الكيد برسل الله: قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة {87 }.

---

(1) مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية، نور الدين عادل، 182، ط1(1428هـ – 2007م) ، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(2) انظر: المصدر السابق، 182 – 190.

ولقد حذرنا القرآن من اتباع أهواء اليهود، قـال تعـالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة {120 }.

المطلب الثاني: قسوة القلب

لقد من الله على بني إسرائيل بمعجزات كثيرة، تبين لهم قدرة الله وعظمته، وتؤيد رسله الذين أرسلوا إليهم، لكن قلوبهم لم تأخذ طريقها إلى الحق لقسوتها وغلظتها.

فبني إسرائيل اتصفوا بقسوة قلوبهم التي لا تلين للحق، وفي هذا المطلب سيكون الحديث عن قسوة قلوبهم.

أولاً: الآثار الواردة في قسوة قلوبهم بعد مشاهدة المعجزات

لقد أورد السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار عند هذه الآية تبين قسوة قلوب اليهود بعد مشاهدتهم المعجزات، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ البقرة {74 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة ﷺفِي قَوْله: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**﴾ قَالَ: من بعد مَا أَرَاهُم الله من إحْيَاء الْمَوْتَى، وَمن بعد مَا أَرَاهُم من أَمر الْقَتِيل مَا أراهم ﴿**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ ثمَّ عذر الله الْحِجَارَة وَلم يعْذر شقي ابْن آدم، فَقَالَ: ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾"(1).

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: ﴿**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ**﴾ الْآيَة، أَي: أَن من الْحِجَارَة لألين من قُلُوبكُمْ لما تدعون إِلَيْهِ من الْحق"(2).

قسوة القلب مرض خطير؛ بل هو عقاب من الله عز وجل، حيث إن القلب عادته إذا رأى معجزة، أو سمع آيات الله تتلى خشع لله طائعاً منيباً راجعاً إليه، أما إذا شاهد القلب ورأى أمامه المعجزات ثم لم يعتبر ولم يتعظ كما كان من بني إسرائيل، فهذه علامة دامغة على أن القلب أصبح قاسياً ومختوماً عليه.

---

(1) الدر المنثور، 426/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 177/1.

(2) المصدر السابق، 426/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 177/1.

وبنو إسرائيل شاهدوا معجزة إحياء الموتى، لكنهم لم يعتبروا، ولم يستجيبوا، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى قلوبهم بالحجارة من شدة قسوتها، لكن الله سبحانه وتعالى عذر الحجارة، لأن من الحجارة ما ﴿يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، أمـــا قلوب بني إسرائيل فلا، لذا استحقوا العقوبة وهو ما يمكن بيانه فيما يلي:

قصة إحياء الموتى التي قست قلوبهم من بعدها

وردت قصة الإحياء في سورة البقرة، وهذه القصة تبرز صفة ذميمة من صفات بني إسرائيل ألا وهي التشدد والتكلف في غير مكانه، حيث قتل شخص في بني إسرائيل، ولم يعرف قاتله، وتوجهوا إلى موسى ليدلهم على قاتله، فأمرهم الله على لسان نبيه أن يذبحوا بقرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة {67 }.

وهنا بدأ التشدد والتكلف، فلو ذبحوا أي بقرة لأجزأت، لكنهم سألوا عن أمور تبين مجادلتهم وكثرة أسئلتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ* قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ* قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ البقرة {68 – 71 }.

فذبحوا البقرة، وأمروا أن يضربوا القتيل ببعضها، فأحيا الله القتيل من قبره أمام أعينهم وقال: قاتلي فلان، ثم مات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ البقرة {72 – 73 }.

وقد ذكر في التفاصيل آثار كثيرة عند أهل التفسير لا داعي لذكرها، لأن العبرة والعظة تتضح من خلال سرد القرآن للقصة، ولو كان هناك فائدة في التفاصيل لذكرها الله في كتابه، أو الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ما نقل عنه من أحاديث.

لكن المهم بعد هذه الحادثة التي وقعت أمام أعين بني إسرائيل، لم تحرك في قلوبهم الإيمان والتقوى والخوف من الله، بل قست قلوبهم وتحجرت أكثر من الحجارة نفسها، يقول سيد

قطب رحمه الله: "والحجارة التي يقيس قلوبهم إليها، فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى، هي حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخر موسى صعقاً! ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى.. قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة"[1].

ثانياً: قسوة القلب عقاب من الله لهم

قسوة قلوب اليهود صفة ملازمة لليهود لا تكاد تنفصل عنهم، لكن هذه الصفة هي عقاب من الله عليهم، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ المائدة {13 }.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا أَحَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِمْ مِيثَاقَهُ وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ، فَقَالَ: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ**﴾ أَيْ: فَبِسَبَبِ نَقْضِهِمُ الميثاقَ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ لَعَنَّاهُمْ، أَيْ أَبْعَدْنَاهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَطَرَدْنَاهُمْ عَنِ الْهُدَى، ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾ أَيْ: فَلَا يَتَّعِظُونَ بِمَوْعِظَةٍ لِغِلَظِهَا وَقَسَاوَتِهَا"[2].

وقال تعالى:﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة {88 }.

قال ابن كثير: ليس الأمر كما ادعوا؛ بل قُلُوبُهُمْ مَلْعُونَةٌ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿**وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا**﴾ النساء{155 }"[3].

ويقول سيد قطب في هذه الآية: "قالوا: إن قلوبنا مغلفة لا تنفذ إليها دعوة جديدة، ولا تستمع إلى داعية جديد، قالوها تيئيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وللمسلمين، من دعوتهم إلى هذا الدين أو تعليلاً لعدم استجابتهم لدعوة الرسول، ويقول الله رداً على قولتهم: ﴿**بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ**﴾ أي إنه طردهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم، فهم قد كفروا ابتداء فجازاهم الله على الكفر بالطرد وبالحيلولة بينهم وبين الانتفاع بالهدى"[4].

---

(1) في ظلال القرآن، 80/1.
(2) تفسير القرآن العظيم، 66/3.
(3) المصدر السابق، 324/1، 325.
(4) في ظلال القرآن، 89/1، 90.

المطلب الثالث: الغرور

الغرور من أقبح الصفات التي يتصف بها يهود، ولقد كان من غرورهم أن زكوا أنفسهم بعدة أمور، سنتناولها في هذا المطلب بشيء من التفصيل من خلال النقاط التالية.

أولاً: الآثار الواردة في زعمهم محبة الله لهم

لقد أورد السيوطي رحمه الله عند هذه الآية وغيرها آثاراً توضح غرور اليهود وذلك بزعمهم محبة الله لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المائدة {18 }، ومن ذلك الآتي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نعمان بن أضا، وبحري بن عَمْرو، وشأس بن عدي، فَكَلَّمَهُمْ وكلموه، ودعاهم إِلَى الله، وحذرهم نقمته، فَقَالُوا: ما تخوفنا يا محمد، نَحن وَالله أَبنَاء الله وأحباؤه كَقَوْل النَّصَارَى، فَأنْزل الله فيهم: ﴿وَقَالَت الْيَهُود وَالنَّصَارَى﴾ إِلَى آخر الْآيَة"[1].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء {49 }.

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن الْحسن ﷺ فِي قَوْله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ قَالَ: هم الْيَهُود وَالنَّصَارَى ﴿قَالُوا نَحن أَبنَاء الله وأحباؤه﴾، ﴿وَقَالُوا لن يدْخل الْجنَّة إِلَّا من كَانَ هوداً أَو نَصَارَى﴾"[2].

الآية الكريمة من سورة المائدة، والآثار الواردة عند السيوطي، يظهر منهما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وليت أنهم يزعمون هذا فحسب، بل إنهم ينظرون إلى الشعوب الأخرى نظرة احتقار وتعال وتكبر، جاء في سفر التثنية: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ.... لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ

(1) الدر المنثور،238/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 169/2.
(2) الدر المنثور، 477/4.

لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[1].

لكن الله رد عليهم هذا الادعاء الباطل، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ المائدة {18 }.

يقول القرطبي: "وبالجملة، فإنّهم رَأَوا لأنْفسهم فضلًا، فردّ عليهم قولهم فقال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين، إما أن يقولوا: هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذًا أبناءه وأحبَّاءه، فإنَّ الحبيب لا يعذّب حبيبه، وأنتم تقرّون بعذابه، فذلك دليلٌ على كذبكم،... أو يقولوا: لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم، ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم"[2].

ومما ينبغي ذكره أيضاً أن الله رد عليهم في نفس الآية ببطلان ادعاؤهم، قال تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ المائدة {18 }.

ولقد بين لنا سبحانه وتعالى طريق المحبين له، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران {31 }.

يقول ابن كثير في هذه الآية: "هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ"[3] .

ثانياً: الآثار الواردة في قصرهم الجنة عليهم

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية أثراً يبين غرور اليهود بقصرهم الجنة على أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة {111 }، وهو كالتالي:

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن أبي الْعَالِيَة–رضي الله عنهما– فِي قَوْله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قَالَ: قَالَت الْيَهُود: لن يدْخل الْجنَّة إِلَّا من كَانَ يَهُودِيّا، وَقَالَت

(1) سفر التثنية، 14: 1، 2.
(2) الجامع لأحكام القرآن، 120/6.
(3) تفسير القرآن العظيم، 32/2.

النَّصَارَى: لن يدْخل الْجنَّة إِلَّا من كَانَ نَصْرَانِيّا ﴿تِلْكَ أمانيهم﴾ قَالَ: أماني يتمنونها على الله بغَيْر الْحق، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ يَعْنِي حجتكم ﴿إِن كُنْتُم صَادِقين﴾ بِمَا تَقولُونَ أَنَّهَ كَمَا تَقولُونَ ﴿بلَى من أسلم وَجهه لله﴾ يَقُول: أخْلص لله"(1).

زعم أعداء الله اليهود اختصاص الجنة لهم، كذلك النصارى زعموا أنها لهم لوحدهم، هذه الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين الموحدين، احتكروها لأنفسهم، مع أنهم ليسوا أهلاً لها، لا اليهود ولا النصارى، لأنهم كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر.

والقرآن الكريم بين لنا الرد على ادعائهم هذا من خلال قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ثم تبين لنا الآيات بعد هذه الآية صفة من يستحق الجنة، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة {112 }.

واليهود كما تحدثنا عنهم لم يسلموا وجهوههم لله، وإنما كانت طبيعتهم مبنية على الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة {78، 79 }.

ثالثاً: الآثار الواردة في قصرهم الهدى عليهم

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية أثراً يبين غرور اليهود بقصرهم الهدى على أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة {135 }، وهو كالتالي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: قَالَ عبد الله بن صوريا الْأَعْوَر للنَّبِي ﷺ: مَا الْهدى إِلَّا مَا نَحن عَلَيْهِ، فاتبعنا يَا مُحَمَّد تهتد وَقَالَت النَّصَارَى مثل ذَلِك، فَأنْزل الله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ الْآيَة"(2).

(1) الدر المنثور، 559/1. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 217/1.
(2) الدر المنثور، 722/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 244/1.

وهذا غرور وزعم آخر من مزاعم اليهود، ألا وهو قصر الهدى عليهم، لكن الرد كما هو من القرآن الذي يكشف زيفهم وكذبهم، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، يقول ابن كثير: "أَيْ: لَا نُرِيدُ مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، بَلْ نَتَّبِعُ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أَيْ: مُسْتَقِيمًا"[1].

كما ويبين لنا القرآن في الآية التي بعدها توضيحاً آخر لطريق الهداية رداً عليهم قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة {136 – 137 }.

رابعاً: الآثار الواردة في زعمهم النجاة من النار

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار تبين غرور اليهود وذلك بزعمهم النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة {80 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار التالية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، والواحدي، عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه، أَن يهود كَانُوا يَقُولُونَ: مُدَّة الدُّنْيَا سَبْعَة آلَاف سنة، وَإِنَّمَا نعذب لكل ألف سنة من أَيَّام الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا فِي النَّار، وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَة أَيَّام معدودات، ثمَّ يَنْقَطِع الْعَذَاب فَأنْزل الله فِي ذَلِك: ﴿وَقَالُوا لن تمسنا النَّار﴾ إِلَى قَوْله: ﴿هم فِيهَا خَالدُونَ﴾"[2].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس، أَن الْيَهُود قَالُوا: لن تمسنا النَّار إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مُدَّة عبَادَة الْعجل"[3].

(1) تفسير القرآن العظيم، 448/1.
(2) الدر المنثور، 447/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 184/1.
(3) الدر المنثور، 448/1.

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن عِكْرِمَة، قَالَ: اجْتمعت يهود يَوْمًا فخاصموا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالُوا: ﴿لن تمسنا النَّار إِلَّا أَيَّامًا معدودة﴾، وَسموا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثمَّ يخلفنا فِيهَا نَاس، وأشاروا إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ورد يَده على رؤوسهم:(كَذبْتُمْ بل أَنْتُم خَالدُونَ مخلدون فِيهَا لَا نخلفكم فِيهَا إِن شَاءَ الله تَعَالَى أبداً) ففيهم أنزلت هَذِه الْآيَة ﴿وَقَالُوا لن تمسنا النَّار إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَة﴾ يعنون أَرْبَعِينَ لَيْلَة"[1].

"أخرج أَحْمد، وَالْبُخَارِيّ، والدارمي، وَالنَّسَائِيّ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: لما افتتحت خَيْبَر أهديت لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم شَاة فِيهَا سم، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم:(اجْمَعُوا لي من كَانَ هَهُنَا من الْيَهُود) فَقَالَ لَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم:(من أبوكم؟) قَالوا: فلَان.

قَالَ:(كَذبْتُمْ بل أبوكم فلَان).

قَالُوا: صدقت وبررت.

ثمَّ قَالَ لَهُم: (هَل أَنْتُم صادقيّ عَن شَيْء إِن سألتكم عَنهُ؟) قَالُوا: نعم يَا أَبَا الْقَاسِم وَإِن كذبناك عرفت كذبنَا كَمَا عَرفته فِي أَبينَا.

فَقَالَ لَهُم: (من أهل النَّار؟)، قَالُوا: نَكُون فِيهَا يَسِيراً ثمَّ تخلفونا فِيهَا.

فَقَالَ لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (اخْسَئُوا، وَالله لَا نخلفكم فِيهَا أبداً)"[2].

هذا كذب آخر من أكاذيب يهود التي لا تعد ولا تحصى، حيث زعموا أنهم لن يعذبوا في النار إلا أياماً معدودة، قيل: إن هذه الأيام هي فترة عبادتهم للعجل ومدتها أربعون يوماً، وزعموا أيضاً أنه سيخلفهم في النار محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقد أجاب القرآن عليهم في نفس الآية، فقال: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِّ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُّ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِّ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وفي الآية التي تليها رد الله عليهم أيضاً، فقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة{81 }.

---

(1) الدر المنثور، 448/1.

(2) المصدر السابق،449/1، 450. أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين، هل يعفى عنها، ح(3169) ، 99/4. وأخرجه البخاري أيضاً، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم، ح(5777) ، 139/7. 209/1.

ولقد رد الله عليهم في مكان آخر من القرآن في سورة آل عمران، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ آل عمران {23 – 24 }.

يقول ابن كثير: "وَهُمُ الَّذِينَ افْتَرَوْا هَذَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَافْتَعَلُوهُ، وَلَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ بِهِ سُلْطَانًا"[1].

خامساً: الآثار الواردة في زعمهم براءتهم من الذنوب هم وأولادهم

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار تبين غرور اليهود وذلك بزعمهم براءتهم من الذنوب هم وأولادهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء {49 }، وهو ما يمكن بيانه من الآثار التالية:

"أخرج ابْن جرير، من طَرِيق الْعَوْفِيّ، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: إِن الْيَهُود قَالُوا: إِن أبناءنا قد توفوا، وهم لنا قربَة عِنْد الله، ويستشفعون لنا ويزكوننا، فَقَالَ الله لمُحَمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ألم تَرَ إِلَى الَّذين يزكون أنفسهم﴾ الْآيَة"[2].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن مُجَاهِد، فِي قَوْله: ﴿ألم تَرَ إِلَى الَّذين يزكون أنفسهم﴾ قَالَ: يَعْنِي يهود، كَانُوا يقدمُونَ صبياناً لَهُم أمامهم فِي الصَّلَاة، فيؤمونهم، يَزْعمُونَ أَنهم لَا ذنُوب لَهُم، قَالَ: فَتلك التَّزْكِيَة"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ فِي قَوْله: ﴿ألم تَرَ إِلَى الَّذين يزكون أنفسهم﴾ قَالَ: نزلت فِي الْيَهُود، قَالُوا: إِنَّا نعلم أبناءنا التَّوْرَاة صغَارًا فَلَا تكون لَهُم ذنُوب، وذنوبنا مثل ذنُوب أبنائنا، مَا عَملنَا بِالنَّهَارِ كفر عَنَّا بِاللَّيْلِ"[4].

هذا عهد كذب آخر من اليهود، إذ يزعمون أن لهم براءة من الذنوب هم وأولادهم، والآثار السابقة تبين كيفية زعمهم، لكن الله سبحانه وتعالى رد عليهم، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي

(1) تفسير القرآن العظيم،28/2.
(2) الدر المنثور، 476/4.
(3) المصدر السابق، 476/4، 477.
(4) المصدر السابق، 477/4.

مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، أي ليس أنتم الذين تزكون أنفسكم، بل الله هو الذي يزكي من يشاء، وفي الآية التي تليها مباشرة بين الله أن قولهم هذا كذب، قال تعالى: **﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾** النساء {50 }.

المطلب الرابع: الحسد

الحسد من الصفات الذميمة عند اليهود، فقد حسد اليهود المسلمين، لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان من العرب ولم يكن منهم، فكفروا وصدوا عن سبيل الله، وأوقعوا الفتنة بين المؤمنين حسداً من أنفسهم.

أولاً: الآثار الواردة في حسد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

"أخرج ابْن جرير، عَن الرّبيع بن أنس‬ﷺ، فِي قَوْله: ﴿**حسداً من عِنْد أنفسهم**﴾ قَالَ: من قبل أنفسهم ﴿**من بعد مَا تبين لَهُم الْحق**﴾ يَقُول: يتَبَيَّن لَهُم أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله"[1].

قال تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ آل عمران {73}.

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺ: ﴿**أَن يُؤْتى أحد مثل مَا أُوتِيتُمْ**﴾ حسداً من يهود أَن تكون النبوّة فِي غَيرهم، وَإِرَادَة أَن يتابعوا على دينهم"[2].

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ النساء {51 }.

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺ فِي الْآيَة قَالَ: ذكر لنا أَن هَذِه الْآيَة أنزلت فِي كَعْب بن الْأَشْرَف وحيي بن أَخطب، رجلَيْنِ من الْيَهُود من بني النَّضِير لقيا قُريْشًا بِالْمَوْسِمِ، فَقَالَ لَهُم الْمُشْركُونَ: أَنَحْنُ أهْدى أم مُحَمَّد وَأَصْحَابه؟ فَإنَّا أهل السدَانَة والسقاية وَأهل الْحرم فَقَالَا: لا، بل أَنْتُم أهْدى من مُحَمَّد وَأَصْحَابه، وهما يعلمَانِ أَنَّهُمَا كاذبان، إِنَّمَا حملهما على ذَلِك حسد مُحَمَّد وَأَصْحَابه"[3].

---

(1) الدر المنثور، 558/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 215/1.
(2) الدر المنثور، 627/3. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 426/1.
(3) الدر المنثور، 483/4، 484. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 66/2.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام {91 }.

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن مُحَمَّد بن كَعْب الْقرظِيّ قَالَ: أَمر الله مُحَمَّدًا أَن يسْأَل أهل الْكتاب عَن أمره، وَكَيف يجدونه فِي كتبهمْ فحملهم حسدهم أَن يكفروا بِكِتَاب الله وَرُسُله، فَقَالُوا: ﴿مَا أنزل الله على بشر من شَيْء﴾ فَأنْزل الله: ﴿وَمَا قدرُوا الله حق قدره﴾ الْآيَة..."[1].

قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ المائدة {64 }.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺ: ﴿وليزيدن كثيرا مِنْهُم مَا أنزل إِلَيْك من رَبك طغياناً وَكفراً﴾ قَالَ: حملهمْ حسد مُحَمَّد وَالْعرب على أَن تركُوا الْقُرْآن، وَكَفرُوا بِمُحَمد وَدينه، وهم يجدونه عِنْدهم مَكْتُوبًا"[2].

إن اليهود كانوا يعلمون أنه سيأتي نبي، وكانوا يتوقعون أنه سيكون منهم، فلما جاء من العرب، شنوا حملة واسعة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالصد عن دين الله، كل ذلك لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليس يهودياً، وهذا النظرة الموجودة عندهم تؤكد صفة الحسد الذميمة المتعلقة بهم.

فكل العداوة التي لاقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من اليهود نجد أنها حسد، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس منهم، فكفروا به وحرفوا ما كان موجوداً في التوراة ويدل على بعثته ونبوته.

لكن هنا وفي هذه المسألة لا بد أن نطرح سؤالاً مفاده، هل لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم من اليهود لآمنوا؟

والجواب حقيقة يتضح من خلال سردنا لما تم الحديث عنه سابقاً، وما سيأتي لاحقاً، فموسى عليه السلام كان منهم، لكننا وجدنا منهم في عهد موسى عليه السلام الكذب والافتراء والكفر بالله بعبادة العجل وطلب رؤية الله جهرة ورفض القتال مع طالوت وموسى وغير ذلك كثير مما لا يتسع المجال لذكره هنا.

---

(1) الدر المنثور، 127/6.

(2) المصدر السابق، 377/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 196/2.

وهذا يدلل على صفات الشخصية اليهودية التي نتحدث عنها في هذا المبحث في كل زمان ومكان.

ثانياً: الآثار الواردة في حسد اليهود بالصد عن دين الله

لقد ذكر السيوطي عدداً من الآثار التي توضح حسد اليهود بالصد عن دين الله، عند قوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ البقرة {109 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن إِسْحَق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: قَالَ: رَافع بن حُرَيْمِلَة ووهب بن زيد لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: يَا مُحَمَّد ائتنا بكِتَاب تنزله علينا من السَّمَاء نقرؤه، أَو فجر لنا أَنهَارًا نتبعك ونصدقك، فَأنْزل الله فِي ذَلِك: ﴿**أم تُرِيدُونَ أَن تسألوا رَسُولكُم**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**سَوَاء السَّبِيل**﴾ وَكَانَ حييّ بن أَخطب وَأَبُو يَاسر بن أَخطب من أَشد الْيَهُود حسداً للْعَرَب، إِذْ خصهم الله برَسُولِهِ، وَكَانَا جاهدين فِي رد النَّاس عَن الإِسلام مَا استطاعا، فَأنْزل الله فيهمَا ﴿**ودّ كثير من أهل الْكتاب**﴾"[1].

"وَأخرج البُخَارِيّ، وَمُسلم، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، وَالْبَيْهَقِيّ ﷺ فِي الدَّلَائِل، عَن أُسَامَة بن زيد قَالَ: كَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه يعفون عَن الْمُشْركين وَأهل الْكتاب كَمَا أَمرهم الله ويصبرون على الْأَذَى، قَالَ الله: ﴿**ولتسمعن من الَّذين أُوتُوا الْكتاب من قبلكُمْ وَمن الَّذين أشركوا أَذَى كثيراً**﴾ آل عمران {186 }، وَقَالَ: ﴿**ودّ كثير من أهل الْكتاب لَو يردونكم من بعد إِيمَانكُمْ كفَّارًا حسداً من عِنْد أنفسهم من بعد مَا تبين لَهُم الْحق فاعفوا واصفحوا حَتَّى يَأْتِي الله بِأَمْرِه**﴾ وَكَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يتأوّل فِي الْعَفو مَا أمره الله بِهِ، حَتَّى أذن الله فيهم بقتل، فَقتل الله بِهِ من قتل من صَنَادِيد قُرَيْش"[2].

---

(1) الدر المنثور، 554/1، 555. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 215/1.

(2) الدر المنثور، 557/1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ولتسمعن من الَّذين أُوتُوا الْكتاب من قبلكُمْ وَمن الَّذين أشركوا أَذَى كثيراً، ح(4566) ، 39/6.

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، عَن الزُّهْرِيّ، وَقَتَادَة ﷺ فِي قَوْله: ﴿ودّ كثير من أهل الْكتاب﴾ قَالَا: كَعْب بن الْأَشْرَف"[1].

صفة الحسد صفة ذميمة، وهي صفة تلتصق باليهود، وهذه الصفة جعلت اليهود يصدون عن دين الله، وليس أدل على ذلك من حدث شاس بن قيس في وقيعته بين الأوس والخزرج حتى يصدوهم عن دين الله.

ومن مظاهر صد اليهود عن دين الله الآتي[2]:

1- التشكيك في الإسلام، حيث يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران {72 }.

وفي الدر المنثور، عن "سعيد بن مَنْصُور، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن أبي مَالك قَالَ: قَالَت الْيَهُود بَعضهم لبَعض: آمنُوا مَعَهم بِمَا يَقُولُونَ أول النَّهَار وَارْتَدوا آخِره لَعَلَّهُم يرجعُونَ مَعكُمْ، فَاطلع الله على سرهم، فَأنْزل الله تَعَالَى: ﴿وَقَالَت طَائِفَة من أهل الْكتاب آمنُوا بِالَّذِي أنزل﴾ الْآيَة"[3].

يقول سيد قطب: "وهي طريقة ماكرة لئيمة كما قلنا، فإن إظهارهم الإسلام ثم الرجوع عنه، يوقع بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته، يوقعهم في بلبلة واضطراب، وبخاصة العرب الأميين، الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب، فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون، حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيئة ونقص في هذا الدين، وتأرجحوا بين اتجاهين فلم يكن لهم ثبات على حال"[4].

2- التحريف والطعن في الدين، حيث يقول تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء {46 }.

---

(1) الدر المنثور، 557/1. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 215/1.
(2) انظر: مجادلة أهل الكتاب، 207 – 212.
(3) الدر المنثور، 624/3.
(4) في ظلال القرآن، 415/1.

3- السعي إلى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويتبن ذلك من خلال سعيهم إلى إلقاء الصخرة عليه وقتله من يهود بني النضير[1]، وأيضاً من حادثة سم الشاة التي قدموها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في البخاري عن عائشة أنها قالت:(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ) [2]

4-إسلام كثير من أحبارهم نفاقاً: منهم سعد بن حنيف، وزيد بن الصليت وغيرهم كثير[3].

5-ما سأذكره في قصة شأس بن قيس من الوقيعة بين المؤمنين.

ثالثاً: الآثار الواردة في حسد اليهود بالوقيعة بين المؤمنين

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية أثراً يشرح حسد اليهود بالوقيعة بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ آل عمران {98 – 100 }، وهو كالتالي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن زيد بن أسلم ﷺ قَالَ: مر شَأْس بن قيس وَكَانَ شَيخا قد عسا[4] فِي الْجَاهِلِيَّة، عَظِيم الْكفْر، شَدِيد الضغن على الْمُسلمين، شَدِيد الْحَسَد لَهُم، على نفر من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم من الْأَوْس والخزرج، فِي مجْلِس قد جمعهم يتحدثون فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رأى من ألفتهم وجماعتهم، وَصَلَاح ذَات بَينهم على الْإِسْلَام، بعد الَّذِي كَانَ بَينهم من الْعَدَاوَة فِي الْجَاهِلِيَّة، فَقَالَ: قد اجْتمع مَلأ بني قيلة[5] بِهَذِهِ الْبِلَاد، وَالله مَا لنا مَعَهم إِذا اجْتمع ملؤهم بهَا من قَرَار، فَأمر فَتى شَابًّا مَعَه من

(1) انظر: 101، من هذا المبحث.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ح(4428) ، 9/6.

(3) انظر: السيرة النبوية لابن كثير، 349/2.

(4) "يُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا وَلَّى وكَبرَ"، لسان العرب، 54/15.

(5) الأوس والخزرج، انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت- إبراهيم الأنباري، 404، ط2(1400هـ – 1980م) ، دار الكتاب اللبنانين، بيروت.

يهود فَقَالَ: اعمد إِلَيْهِم فاجلس مَعَهم ثمَّ ذكرهم يَوْم بُعَاث وَمَا كَانَ قبله، وأنشدهم بعض مَا كَانُوا تقاولوا فِيهِ من الْأَشْعَار، وكَانَ يَوْم بُعَاث يَوْمًا اقْتتلَتْ فِيهِ الْأَوْس والخزرج، وكَانَ الظفر فِيهِ لِلْأَوْسِ على الْخَزْرَج، ففعل فَتكلم الْقَوْم عِنْد ذَلِك، وَتَنَازَعُوا وَتَفَاخَرُوا حَتَّى توَاثب رجلَانِ من الْحَيَّيْنِ على الركب، أَوْس بن قيظي أحد بني حَارِثَة من الْأَوْس، وجبار بن صَخْر أحد بني سَلمَة من الْخَزْرَج، فَتَقَاولَا ثمَّ قَالَ أَحدهمَا لصَاحبه: إِن شِئْتُم وَالله رددناها الْآن جَذَعَة[1]، وَغَضب الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا وَقَالُوا: قد فعلنَا السِّلَاح السِّلَاح، مَوْعدكُمْ الظَّاهِرَة وَالظَّاهِرَة الْحرَّة، فَخَرجُوا إِلَيْهَا، وانضمت الْأَوْس بَعْضهَا إِلَى بعض، والخزرج بَعْضهَا إِلَى بعض، على دَعوَاهُم الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّة، فَبلغ ذَلِك رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَخرج إِلَيْهِم فِيمَن مَعَه من الْمُهَاجِرين من أَصْحَابه حَتَّى جَاءَهُم فَقَالَ: يَا معشر الْمُسلمين الله الله، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّة، وَأَنا بَين أظْهركُم، بعد إِذْ هدَاكُمْ الله إِلَى الْإِسْلَام، وأكرمكم بِهِ، وَقطع بِهِ عَنْكُم أَمر الْجَاهِلِيَّة، واستنقذكم بِهِ من الْكفْر، وَألف بِهِ بَيْنكُم، ترجعون إِلَى مَا كُنْتُم عَلَيْهِ كفَّارًا؟ فَعرف الْقَوْم أَنَّهَا نزغة من الشَّيْطَان، وَكيد من عدوه لَهُم، فَأَلْقوا السِّلَاح، وَبكوا، وَعَانَقَ الرِّجَال بَعضهم بَعْضًا، ثمَّ انصرفوا مَعَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، سَامِعين مُطِيعِينَ، قد أطفأ الله عَنْهُم كيد عَدو الله شَأْس، وَأنزل الله فِي شَأْن شَأْس بن قيس وَمَا صنع: ﴿**قل يَا أهل الْكتاب لمَ تكفرون بآيَات الله وَالله شَهِيد على مَا تَعْمَلُونَ**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ وَأنزل فِي أَوْس بن قيظي، وجبار بن صَخْر، وَمن كَانَ مَعَهُمَا من قومهما الَّذين صَنَعُوا مَا صَنَعُوا: ﴿**يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا إِن تطيعوا فريقاً من الَّذين أُوتُوا الْكتاب يردوكم بعد إِيمَانكُمْ كَافِرين**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**وَأُولَئِكَ لَهُم عَذَاب عَظِيم**﴾"[2].

تثبت هذه القصة حسد اليهود الشديد للمسلمين، وأنهم يريدون دائماً أن تسود الفتنة والحرب بين المسلمين، كل ذلك حسداً من عند أنفسهم، لأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

والأصل من المسلمين في كل وقت وكل حين أن يكونوا متنبهين لكيد ومؤامرات الأعداء، فما نحياه اليوم من مؤامرات دنيئة ضد الإسلام والمسلمين من قبل أعداء الدين اليهود والنصارى، لهو راجع إلى حسدهم الأول أمثال اليهودي الملعون شأس بن قيس، فهم لا يحبوا أن يروا المسلمين متوحدين على صف واحد، لذلك علينا أن نبقى حريصين، يقول الزحيلي في تفسيره: "إن هذه الإثارة، وتأجيج الفتنة، وبذر بذور التفرقة بين المسلمين من قبل غيرهم، تعطينا

---

(1) "وفَرَّ الأَمْرَ جَذَعاً: أَيْ أَبْدَأَه. وإِذا طُفِئَتْ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمٍ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ: إِنْ شِئْتُم أَعَدْنَاهَا جَذَعَةً، أَي أَوّلَ مَا يُبْتَدَأُ فِيها"، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بالزبيدي، ت- مجموعة من المحققين، 427/20، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ دار الهداية.

(2) الدر المنثور، 698/3، 699.

دليلاً واضحاً وعبرةً وعظةً، وهو أن معطيات العقل والتجربة والمصلحة أسباب تقتضي الحذر من الأعداء، والتنبه للمخاطر وألوان المكر والمؤامرات، فإن سوء الظن قد يكون أحيانا عصمة من الوقوع في الشرور، وحسن الظن ورطة، والغفلة عن مكائد الأعداء نوع من البله والسذاجة، فهل نعتبر ونتعظ من حادث واحد، فضلاً عن تكرار العبر والدروس في تعاملنا مع الآخرين؟"[1].

رابعاً: الآثار الواردة في حسدهم لنا بثلاثة أشياء

لقد أورد السيوطي رحمه الله تعالى عدداً من الآثار تبين حسد اليهود لنا بثلاثة أشـياء، قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة {7 }، وهو ما يمكن بيانه من الآثار الآتية:

"أخرج أَحْمد، وَابْن ماجة، وَالْبَيْهَقِيّ فِي سنَنه، بسند صحيح، عَن عَائِشَة، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: (مَا حسدتكم الْيَهُود على شَيْء مَا حسدتكم على السلام والتَّأْمِين)"[2]

وَأخرج ابْن عدي فِي الْكَامِل، عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (إِن الْيَهُود قوم حسد، حسدوكم على ثَلَاثَة أَشْيَاء، إفشاء السَّلَام، وإقامة الصَّفّ، وآمين)"[3].

"وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط، عَن معَاذ بن جبل، أَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَـال: (إِن الْيَهُود قوم حسد، وَلم يحسدوا الْمُسلمين على أفضل من ثَلَاث، رد السَّلَام، وَإِقَامَة الـصُّفُوف، وَقَوْلهمْ خلف إمَامهمْ فِي الْمَكْتُوبَة آمين)"[4].

هذه ثلاثة أمور كما ورد في الآثار هي رد السلام وإقامة الصف وقول آمين خلف الإمام في الصلاة المكتوبة، ولعله والله تعالى أعلم أن حسد اليهود في هذه الثلاثة أمور للمسلمين، لأنه يتمثل في هذه الثلاثة وحدة المسلمين ومحبتهم، فرد السلام فيه انتشار للمحبة بـين المـسلمين والمحبة من خلالها تخرج الوحدة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّـةَ حَتَّـى

---

(1) تفسير الوسيط، 221/1.

(2) الدر المنثور، 90/1. أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، بـاب الجهـر بـآمين، ح(856) ، 278/1، قال محمد فؤاد عبد الباقي: هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات.

(3) الدر المنثور، 90/1. ذكره ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال، في حديثه عن سليمان بن أرقم، أبو معاذ الأنصاري. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت- عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، 229/4، ط1(1418هـ - 1997م) ، الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(4) الدر المنثور، 90/1، 91.

تُؤْمِنُوا، ولَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) [1]، وإقامة الصف خلف الإمام تظهر وحدة المسلمين فهم خلف إمام واحد، وبجانب بعضهم بعضاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلاَةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ)[2]. وفي قول آمين تظهر الوحدة أيضاً بأن كلمة المسلمين واحدة، وهذه الكلمة الموحدة هي ضد اليهود المغضوب عليهم والضالين النصارى.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ح(93) ، 74/1.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة، ح(722) ، 145/1.

المطلب الخامس: نقض العهود والمواثيق

نقض العهد والمواثيق من الصفات الخبيثة والدائمة عند اليهود، ولقد حدثنا القرآن الكريم في آيات عديدة عن هذه الصفة، والسيوطي رحمه الله أورد آثاراً تخص الموضوع، سنبينها من خلال النقاط التالية.

أولاً: نقض العهد مع الله

أ-الآثار الواردة في نقض العهد مع الله بعبادة غيره

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية وغيرها مجموعة من الآثار التي توضح نقض اليهود للعهد مع الله بعبادة غيره، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ البقرة {83 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"وَأخرج ابْن جرير، عَن أبي الْعَالِيَة- رضيالله عنهما، فِي قَوْله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ الْآيَة، قَالَ: أَخذ مواثيقهم أَن يخلصوا لَهُ، وَأَن لَا يعبدوا غَيره"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد، عَن قَتَادَة-رضي الله عنهما-، فِي قَوْله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ قَالَ: مِيثَاق أَخذه الله على بني إِسْرَائِيل، فَاسْمَعُوا على مَا أَخذ مِيثَاق الْقَوْم: ﴿**لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله وبالوالدين إحساناً**﴾ الْآيَة"[2].

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس﵁، فِي قَوْله: ﴿**ثمَّ توليتم**﴾ أَي: تركْتُم ذَلِك كُله"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس﵁، فِي قَوْله: ﴿**ثمَّ توليتم**﴾ قَالَ: أعرضتم عَن طَاعَتي ﴿**إِلَّا قَلِيلا مِنْكُم**﴾ وهم الَّذين اخترتهم لطاعتي"[4].

---

(1) الدر المنثور، 453/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 186/1.
(2) الدر المنثور، 453/1.
(3) المصدر السابق، 454/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 188/1.
(4) الدر المنثور، 454/1.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المائدة {12 }.

"أخرج ابْن جرير، عَن أبي الْعَالِيَة، فِي قَوْله: ﴿وَلَقَد أَخذ الله مِيثَاق بني إِسْرَائِيل﴾ قَالَ: أَخذ الله مواثيقهم أَن يخلصوا لَهُ وَلَا يعبدوا غَيره ﴿وبعثنا مِنْهُم اثْنَي عشر نَقِيبًا﴾ يَعْنِي بذلك وبعثنا مِنْهُم اثْنَي عشر كَفِيلاً فكفلوا عَلَيْهِم بِالْوَفَاءِ لله بِمَا وثقوا عَلَيْهِ من العهود فِيمَا أَمرهم به، وفيما نهاهم عنه"[1].

لقد أخذ الله العهد على بني إسرائيل ألا يعبدوا غيره، وأن يعبدوه مخلصين له، لكنهم كما تبين الآيات والآثار السابقة نقضوا هذا العهد مع الله وعبدوا العجل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة {51 }، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة {51 }.

وطلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء {153 }.

ب- الآثار الواردة في نقض العهد مع الله بتقتيل أنفسهم وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين نقض اليهود العهد مع الله بتقتيل أنفسهم وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ* ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ

(1) الدر المنثور، 227/5. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 166/2.

تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ البقرة {84، 85 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

"أخرج ابْن جرير، عَن أبي الْعَالِيَة، فِي قَوْله: **﴿وَإِذ أَخذنَا ميثاقكم لَا تسفكون دماءكم﴾** يَقُول: لَا يقتل بَعْضكُم بَعْضًا **﴿وَلَا تخرجُونَ أَنفسكُم من دِيَاركُمْ﴾**، يَقُول: لَا يخرج بَعْضكُم بَعْضًا من الديار **﴿ثمَّ أقررتم﴾**،بِهَذَا الْمِيثَاق **﴿وَأَنْتُم تَشْهَدُون﴾**، يقول: وأنتم شهود"[1].

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: **﴿ثمَّ أقررتم وَأَنْتُم تَشْهَدُون﴾** أن هَذَا حق من ميثاقي عَلَيْكُم **﴿ثمَّ أَنْتُم هَؤُلَاءِ تقتلون أَنفسكُم﴾** أَي: أهل الشّرك حتى يسفكوا دماءهم مَعَهم **﴿وتخرجون فريقاً مِنْكُم من دِيَارهمْ﴾** قَالَ: يخرجونهم من دِيَارهمْ مَعَهم **﴿تظاهرون عَلَيْهِم بالإثم والعدوان﴾** فَكَانُوا إِذا كَانَ بَين الْأَوْس والخزرج حَرْب، خرجت بَنو قينقاع مَعَ الْخَزْرَج، وَخرجت النَّضِير وَقُرَيْظَة من الْأَوْس، وَظَاهر كل وَاحِد من الْفَرِيقَيْنِ حلفاءه على إخوانه، حَتَّى تسافكوا دِمَاءَهُمْ، فَإِذا وضعت أَوزَارهَا افْتَدَوْا أَسْرَاهُم تَصْدِيقًا لما فِي التَّوْرَاة **﴿وَإِن يأتوكم أُسَارَى تفادوهم﴾** وَقد عَرَفْتُمْ أَن ذَلِك عَلَيْكُم فِي دينكُمْ **﴿وَهُوَ محرم عَلَيْكُم﴾** فِي كتابكُمْ **﴿إخراجهم أفتؤمنون بِبَعْض الْكتاب وتكفرون بِبَعْض﴾** أتفادونهم مُؤمنين بذلك وتخرجونهم كفراً بذلك"[2].

هذا نقض آخر لميثاق الله، فقبائل اليهود من بني قينقاع والنضير وقريظة، كان لكل منهم حلف مع الأوس والخزرج، فبني قينقاع مع الخزرج، وبنو النضير وقريظة مع الأوس، وكانت الأوس والخزرج تنشب بينهم حروب قبل الإسلام، فكان كل فريق من اليهود يشارك مع حلفه، ويقتل اليهود بعضهم بعضاً، والمنتصر يجلي الآخر من ديارهم، وعند الأسرى يفادوهم فيطلقوا سراح الأسرى اليهود منهم عملاً بنص التوراة القائل: "إنك لا تجد مملوكاً من بني إسرائيل إلا

(1) الدر المنثور، 455/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 188/1، 189.
(2) الدر المنثور، 455/1، 456. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 189/1، 190.

أخذته فأعتقته"[1]، مع أن الله أخذ عليهم الميثاق ألا يقتلوا بعضهم بعضاً، فأنزل الله فيهم: ﴿**أفتؤمنون بِبَعْض الْكتاب وتكفرون بِبَعْض**﴾.

ج- الآثار الواردة في نقض العهد مع الله بعدم الأخذ بما في التوراة

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار التي توضح نقض اليهود العهد مع الله بعدم الأخذ بما في التوراة، عند قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ البقرة {63، 64 }، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة‬ﷺ فِي قَوْله: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ** ﴾ فَقَالَ: جبل نزلُوا بِأَصْلِهِ فَرُفِعَ فَوْقهم فَقَالَ: لتأخذن أَمْرِي أَو لأرمينكم"[2].

"وَأخرج ابْن جرير،عَن ابْن عَبَّاس‬ﷺ، فِي قَوْله:﴿ **خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ** ﴾ قَالَ: بجد"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن أبي الْعَالِيَة‬ﷺ، ﴿**واذْكُرُوا مَا فِيهِ**﴾ يَقُول: اقرؤوا مَا فِي التَّوْرَاة واعملوا بِهِ"[4].

لقد نقض اليهود العهد مع الله بعدم الأخذ بما جاء في التوراة، ولقد ورد هذا النقض في سورة الأعراف أيضاً، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ الأعراف {171 }.

ويعلق سيد قطب على هذا العهد: "إنه ميثاق لا ينسى، فقد أخذ في ظرف لا ينسى، أخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، ولقد كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق فأعطوه في ظل خارقة هائلة كانت جديرة بأن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس، ولقد أمروا في ظل تلك الخارقة القوية أن يأخذوا ميثاقهم بقوة وجدية، وأن يستمسكوا به في شدة وصرامة، وألا يتخاذلوا ولا يتهاونوا ولا يتراجعوا في ميثاقهم الوثيق، وأن يظلوا ذاكرين لما

---

(1) تفسير القرآن العظيم، 320/1.
(2) الدر المنثور، 398/1. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 170/1.
(3) الدر المنثور، 399/1.
(4) المصدر السابق، 399/1. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 171/1.

فيه، لعل قلوبهم تخشع وتتقي، وتظل موصولة بالله لا تنساه، ولكن إسرائيل هي إسرائيل، نقضت الميثاق، ونسيت الله، ولجت في المعصية، حتى استحقت غضب الله ولعنته، وحق عليها القول، بعد ما اختارها الله على العالمين في زمانها، وأفاء عليها من عطاياه، فلم تشكر النعمة، ولم ترع العهد، ولم تذكر الميثاق، وما ربك بظلام للعبيد"[1].

د- الآثار الواردة في نقض العهد مع الله بعدم الإخبار بأمر محمد عند بعثته واتباعه

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية وغيرها عدداً من الآثار التي تبين نقض اليهود العهد مع الله بعدم الإخبار بأمر محمد صلى الله عليه وسلم عند بعثته واتباعه، قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾** آل عمران {187 }، وهو ما يمكن بيانه كالتالي:

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، من طَرِيق الْعَوْفِيّ، عَن ابْن عَبَّاس، فِي قَوْله: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾** قَالَ: كَانَ أَمرهم أَن يتبعوا النَّبِي الْأُمِّي الَّذِي يُؤمن بِاللَّه وكلماته، وَقَالَ: **﴿واتبعوه لَعَلَّكُمْ تهتدون﴾** الأعراف {158 }، فَلَمَّا بعث الله مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾** البقرة {40 }، عاهدهم على ذَلِك، فَقَالَ حِين بعث مُحَمَّدًا: صدقوه وتلقون عِنْدِي الَّذِي أَحْبَبْتُم"[2].

"وَأخرج ابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، من طَرِيق عَلْقَمَة بن وَقاص، عَن ابْن عَبَّاس، فِي الْآيَة قَالَ: فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل أَن الإِسلام دين الله الَّذِي افترضه على عباده، وَأَن مُحَمَّدًا رَسُول الله يجدونه مَكْتُوبًا عِنْدهم فِي التَّوْرَاة والإنجيل، فينبذونه"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن سعيد بن جُبَير، فِي الْآيَة: **﴿وَإِذ أَخذ الله مِيثَاق الَّذين أُوتُوا الْكتاب}** قَالَ: الْيَهُود **﴿لتبيننه للنَّاس﴾** قَالَ: مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم"[4].

---

(1) في ظلال القرآن، 1389/3.
(2) الدر المنثور،167/1.
(3) المصدر السابق، 167/1، 168.
(4) المصدر السابق، 168/1.

"وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ فِي الْآيَة قَالَ: إِن الله أَخذ مِيثَاق الْيَهُود ليبينن للنَّاس مُحَمَّدًا"(1).

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن جريج ﴿**فنبذوه**﴾ قَالَ: نبذوا الْمِيثَاق"(2).

"وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ: ﴿**واشتروا بِهِ ثمنا قَلِيلاً**﴾ أخذُوا طمعاً، وكتموا اسْم مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ"(3).

قال تعالى: ﴿**قل يَا أهل الْكتاب لَسْتُم على شَيْء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ المائدة {68 }.

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: جَاءَ رَافع بن حَارِثَة وَسَلام بن مشْكم وَمَالك بن الصَّيف وَرَافِع بن حَرْمَلَة، فَقَالُوا: يا محمد، أَلَسْت تزْعم أَنَّك على مِلَّة إِبْرَاهِيم وَدينه، وتؤمن بِمَا عندنَا من التَّوْرَاة، وَتشهد أَنَّهَا من حق الله؟ فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (بلَى وَلَكِنَّكُمْ أحدثتم وجحدتم ما فيها مِمَّا أَخذ عَلَيْكُم من الْمِيثَاق، وكتمتم مِنْهَا مَا أمرْتُم أَن تبينوا للنَّاس فبرئت من أحداثكم)، قَالُوا: فَإنَّا نَأْخُذ مِمَّا فِي أَيْدِينَا فَإنَّا على الْهدى وَالْحق، وَلَا نؤمن بك وَلَا نتبعك فَأنْزل الله فيهم: ﴿**قل يَا أهل الْكتاب لَسْتُم على شَيْء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل**﴾، إِلَى قَوْله ﴿**الْقَوْم الْكَافرين**﴾"(4).

مما ينبغي التنبيه عليه من خلال الآثار السابقة أن اليهود كانوا يعلمون بأمر نبي آخر الزمان، وكان الله أخذ عليهم الميثاق أنه عند بعثته عليهم أن يخبروا عنه ويتبعوه، لكنهم كما هو ديدنهم نقض العهود، فقد نقضوا العهد مع الله في هذه المرة أيضاً، قال تعالى: ﴿**فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ آل عمران {187 }.

(1) الدر المنثور، 168/1.
(2) المصدر السابق، 170/1.
(3) المصدر السابق،170/1.
(4) المصدر السابق، 389/5. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 200/2.

ثانياً: الآثار الواردة في تعود اليهود على نقض العهود

لقد ذكر السيوطي رحمه الله أثراً يفسر ويوضح تعود اليهود على نقض العهود، عند قوله تعالى: ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة {100 }، وهو كالآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن جريج، فِي قَوْله: ﴿**نبذه فريق مِنْهُم**﴾ قَالَ: لم يكن فِي الأَرْض عهد يعاهدون إِلَيْهِ إِلَّا نقضوه ويعاهدون الْيَوْم وينقضون غداً قَالَ: وَفِي قِرَاءَة عبد الله: نقضه فريق مِنْهُم"(1).

هذه الآية تلخص مطلب نقض العهد، حيث تبين أن نقض العهود هو ديدن اليهود، وأن هذه الصفة متأصلة في نفسيتهم، يقول الرازي: "الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الِاسْتِفْهَامِ، الْإِنْكَارُ وَإِعْظَامُ مَا يُقْدِمُونَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا قِيلَ بِهَذَا اللَّفْظِ كَانَ أَبْلَغَ فِي التَّنْكِيرِ وَالتَّبْكِيتِ، وَدَلَّ بقول: أَوَ كُلَّما عاهَدُوا عَلَى عَهْدٍ بَعْدَ عَهْدٍ نَقَضُوهُ وَنَبَذُوهُ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَالْعَادَةِ فِيهِمْ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ تَسْلِيَةَ الرَّسُولِ عِنْدَ كُفْرِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِبِدْعٍ مِنْهُمْ، بَلْ هُوَ سَجِيَّتُهُمْ وَعَادَتُهُمْ وَعَادَةُ سَلَفِهِمْ عَلَى مَا بَيَّنَهُ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنْ نَقْضِهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، لِأَنَّ مَنْ يُعْتَادُ مِنْهُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ لَا يَصْعُبُ عَلَى النَّفْسِ مُخَالَفَتُهُ كَصُعُوبَةِ مَنْ لَمْ تَجْرِ عَادَتُهُ بِذَلِكَ"(2).

ولعل ما نحياه اليوم من صراع مع اليهود يؤكد هذه الصفة الذميمة نقض العهود، فانظر وتأمل في التاريخ الفلسطيني! سترى العجب من اليهود في نقض العهود والتي منها، اتفاقية أوسلو، خارطة الطريق، اتفاقية جنيف، وغير ذلك الكثير.

لكن الغريب والعجيب أن هناك من يرتمي في أحضان اليهود، ويستجدي منهم نفعاً وعهداً وميثاقاً، وهذا يدلل على أنهم لم يقرءوا القرآن، ولم يعرفوا حقيقة اليهود أنهم شعب لا يفهم إلا لغة القوة يقول سيد قطب: "ما ينبغي أن تعرفه الأمة المسلمة في كل حين عن طبيعة اليهود وجبلتهم، ووسائلهم وطرائقهم ومدى وقوفهم للحق في ذاته سواء جاء من غيرهم أو نبع فيهم، فهم أعداء للحق وأهله، وللهدى وحملته، في كل أجيالهم وفي كل أزمانهم، مع أصدقائهم ومع أعدائهم، لأن جبلتهم عدوة للحق في ذاته جاسية قلوبهم، غليظة أكبادهم لا يحنون رؤوسهم إلا للمطرقة، ولا يسلمون للحق إلا وسيف القوة مصلت على رقابهم"(3).

---

(1) الدر المنثور، 498/1.

(2) مفاتيح الغيب، 615/3.

(3) في ظلال القرآن، 803/2.

المطلب السادس: الكذب

الكذب من أقبح الصفات التي يتصف بها اليهود، إذ من تجرأ الكذب، ليس بعيداً عليه أن ينقض العهود والمواثيق، وأن يحرف التوراة، ولقد كان من كذبهم الكذب على الله وهو الذي خلقهم ويعلم ما يسرون وما يعلنون، والكذب على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

أولاً: الآثار الواردة في كذبهم على الله

ذكر السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار عند هذه الآية وغيرها تبين كذب اليهود على الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران {75 }، ومن ذلك الآتي:

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن جريج ﷺ فِي الْآيَة قَالَ: بَايع اليهودَ رجالٌ من الْمُسلمين فِي الْجَاهِلِيَّة، فَلَمَّا أَسْلمُوا تقاضوهم ثمن بيوعهم، فَقَالُوا: لَيْسَ علينا أَمَانَة وَلَا قَضَاء لكم عندنَا، لأنكم تركْتُم دينكُمْ الَّذِي كُنْتُم عَلَيْهِ وَادعوا أَنهم وجدوا ذَلِك فِي كِتَابهمْ، فَقَالَ الله: ﴿وَيَقُولُونَ على الله الْكَذِب وهم يعلمُونَ﴾"[1].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنعام {100 }.

"أخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَجعلُوا لله شُرَكَاء الْجِنّ وخلقهم﴾قَالَ:وَالله خلقهمْ﴿وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات بِغَيْر علم﴾قَالَ: تخرصوا"[2].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات﴾ قَالَ: جعلُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات"[3].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺفِي قَوْله: ﴿وخرقوا﴾ قَالَ: كذبُوا"[4].

---

(1) الدرالمنثور، 631/3.

(2) المصدر السابق، 160/6. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 261/2.

(3) الدر المنثور، 160/6.

(4) المصدر السابق، 160/6.

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺ فِي قَوْله:﴿وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات﴾ قَالَ: كذبُوا لَهُ أما الْيَهُود وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحن أَبنَاء الله وأحباؤه، وَأما مُشْركُوا الْعَرَب فَكَانُوا يعْبدُونَ اللات والعزى، فَيَقُولُونَ: الْعُزَّى بَنَات الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يصفونَ﴾ أَي: عَمَّا يكذبُون"[1].

وَأخرج الطستي، عَن ابْن عَبَّاس، أَن نَافِع بن الْأَزْرَق قَالَ لَهُ: أَخْبرنِي عَن قَوْله: ﴿وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات﴾ قَالَ: وصفوا لله بَنِينَ وَبَنَات افتراء عَلَيْهِ..."[2].

إن الذي ينقض العهد مع الله ليس مستغرباً عليه أن يكذب على الله، فاليهود كذبوا على الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران {75 }، ومما كذبوا به على الله أن جعلوا لله شركاء وهم الجن، وجعلوا له بنين وبنات، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص {1 – 4 }.

وكذبوا حين حرفوا التوراة، فقالوا إنها من عند الله، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة {79 }.

ثانياً: الآثار الواردة في كذبهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم

أورد السيوطي رحمه الله عند هذه الآية وغيرها مجموعة من الآثار التي توضح كذب اليهود في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة {42 }، ومن ذلك الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ، فِي قَوْله: ﴿وَلَا تلبسوا الْحق بِالْبَاطِلِ﴾ قَالَ: لَا تخلطوا الصدْق بِالْكَذِبِ ﴿وتكتموا الْحق وَأَنْتُم تعلمُونَ﴾ قَالَ: لَا تكتموا الْحق وَأَنْتُم قد علمتُم أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله"[3].

(1) الدر المنثور، 161/6.
(2) المصدر السابق، 161/6.
(3) الدر المنثور، 341/1.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ البقرة {78 }.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن مُجَاهِد ﷺفِي قَوْله: ﴿إِلَّا أماني﴾ قَالَ: إِلَّا كذبا ﴿وَإِن هم إِلَّا يظنون﴾ قَالَ: إلا يكذبُون"[1].

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء {46 }.

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿واسمع غير مسمع﴾ قال: يَقُولُونَ: اسْمَع لَا سَمِعت، وَفِي قَوْله: ﴿وراعنا﴾ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: رَاعنا سَمعك وَإِنَّمَا رَاعنا كَقَوْلِك عاطنا، وَفِي قَوْله: ﴿لياً بألسنتهم﴾ قَالَ: تحريفاً بِالْكَذِبِ"[2].

لقد كذب اليهود في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فحرفوا ما كان في التوراة دالاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكتموا أمره، وكذبوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تم الحديث عن هذا الموضوع في نقضهم العهد مع الله بكتم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان من كذبهم أنهم قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ آل عمران {183 – 184 }.

ثالثاً: الآثار الواردة في كذبهم في أحكام التوراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تتحدث عن كذب اليهود في أحكام التوراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا

(1) الدر المنثور، 432/1، 433.
(2) المصدر السابق، 466/4.

يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾المائدة {41}، ومن ذلك الآتي:

"أخرج أَحْمد، وَمُسلم، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، والنحاس فِي ناسخه، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن الْبَراء بن عَازِب ﷺقَالَ: مر على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بيَهُودِيّ محمم[1] مجلود، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ: (أهكذا تجِدُونَ حد الزَّانِي فِي كتابكُمْ؟) قَالُوا: نعم فَدَعَا رجلاً من عُلَمَائهمْ فَقَالَ: (أنْشدك بِاللَّه الَّذِي أنزل التَّوْرَاة على مُوسَى، أهكذا تَجِدُونَ حد الزاني فِي كتابكم؟) قَالَ: اللَّهُمَّ لَا، وَلَوْلَا أَنَّك نشدتني بِهَذَا لم أخْبرك، نجد حد الزَّانِي فِي كتَابنَا الرَّجْم، ولَكنه كثر فِي أشرافنا، فَكُنَّا إِذا أَخذنَا الشريف تَركْنَاهُ، وَإِذا أَخذنَا الضَّعِيف أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَد، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نجْعَل شَيْئا نقيمه على الشريف والوضيع فَاجْتَمَعْنَا على التحميم وَالْجَلد، فَقَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أول من أَحْيَا أَمرك إِذْ أماتوه وَأمر بِهِ فرجم) فَأنْزل الله: **﴿يَا أَيهَا الرَّسُول لَا يحزنك الَّذين يُسَارِعُونَ فِي الْكفْر﴾** إِلَى قَوْله: **﴿إِن أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾** يقولون: ائتوا محمداً، فإِن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وَإِن أفتاكم بِالرَّجمِ فاحذروا إِلَى قَوْله: **﴿وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الْكَافِرُونَ﴾** قَالَ: فِي الْيَهُود: **﴿وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الظَّالِمُونَ﴾** المائدة {45 }، قَالَ: ثم صار إِلَى قَوْله: **﴿وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الْفَاسِقُونَ﴾** المائدة {47 }، قَالَ: فِي الْكفَّار كلهَا"[2].

"وَأخرج البُخَارِيّ، وَمُسلم، عَن ابْن عمر قَالَ: إِن الْيَهُود جاؤوا إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فذكرُوا لَهُ رجلا مِنْهُم وَامْرَأَة زَنَيَا فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (ما تجدون فِي التَّوْرَاة) قَالُوا: نفضحهم ويجلدون، قَالَ عبد الله بن سَلام: كَذبْتُمْ إِن فِيهَا آيَة الرَّجْم، فَأتوا بِالتَّوْرَاةِ فنشروها، فَوضع أحدهم يَده على آيَة الرَّجْم فَقَالَ ما قبلها وَمَا بعْدهَا فَقَالَ عبد الله بن

(1) المحمم هو: "المسود الْوَجْه"، كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت- علي حسين البواب، 260/2، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الوطن، الرياض.

(2) الدر المنثور، 302/5، 303. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، ح(1700) ، 1327/3.

سَلام: ارْفَعْ يدك فَرفع يَده فَإِذا آيَة الرَّجْم، قَالُوا: صدق فَأمر بهما رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَرُجِمَا"(1).

لم يكتم اليهود أمر النبي صلى الله عليه وسلم فحسب بل كتموا الأحكام التي جاءت في التوراة، وكذبوا على النبي في ذلك، وليس أدل على ذلك من الآثار السابقة يقول ابن حجر موضحاً ما في الحديث: "وَفِيهِ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَنْسُبُونَ إِلَى التَّوْرَاةِ مَا لَيْسَ فِيهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا أَقْدَمُوا عَلَى تَبْدِيلِهِ، وَإِلَّا لَكَانَ فِي الْجَوَابِ حَيْدَةٌ عَنِ السُّؤَالِ؛ لِأَنَّهُ سَأَلَ عَمَّا يَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ، فَعَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ لِمَا يَفْعَلُونَهُ، وَأَوْهَمُوا أَنَّ فِعْلَهُمْ مُوَافِقٌ لِمَا فِي التَّوْرَاةِ فَأَكْذَبَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ"(2).

ومن كذب اليهود في الأحكام ما روى أبو داود عن جَابِر، قال: (إِنَّ الْيَهُودَ يَقُولُونَ: إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ فِي فَرْجِهَا مِنْ وَرَائِهَا كَانَ وَلَدُهُ أَحْوَلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾ البقرة {223 })(3).

---

(1) الدر المنثور، 303/5، 304. أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قوله: (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ، ح(3635) ، 206/4.

(2) فتح الباري، 172/12.

(3) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، ح(2163) ، 249/2. قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر: صحيح أبوداود، الألباني، 376/6، ط1(1423هـ – 2002م) ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

الفصل الثاني

الآثار الواردة عن السلف في أصول الإيمان عند اليهود.

وفيه خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** الآثار الواردة في الإيمان بالله عند اليهود.
- **المبحث الثاني:** الآثار الواردة في الإيمان بالملائكة عند اليهود.
- **المبحث الثالث:** الآثار الواردة في الإيمان بالكتب عند اليهود.
- **المبحث الرابع:** الآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء عند اليهود.
- **المبحث الخامس:** الآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر عند اليهود.

المبحث الأول

الآثار الواردة في الإيمان بالله عند اليهود

الإيمان بالله هو الاعتقاد بوجود الله وتوحيده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[1]، ولقد اتصف الإيمان بالله عند اليهود بصفات توجب الوقوف معها ودراستها لبعدهم عن المنهج السليم في الإيمان، فمن هذه الأمور التي سنقف عليه في هذا المبحث، وصف اليهود لله بصفات بشرية كنسبة الولد والفقر والبخل والتعب لله، وأيضاً الشرك بالله كعبادة العجل والعزير وعبادة الأصنام والأحبار.

المطلب الأول: إيمان بعضهم بالله

من بني إسرائيل من آمن بالله سبحانه وتعالى والتزم مع أنبيائه لكن أعدادهم قليلة مع كثرة ما أرسل إليهم من أنبياء، وسنخصص هذا المطلب عن الذين آمنوا بالله من بني إسرائيل.

الآثار الواردة في إيمان بعضهم بالله

أورد السيوطي في الدر المنثور عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين إيمان بعض اليهود بالله، قال تعالى: ﴿**فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة {88}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿**فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾ قَالَ: لَا يُؤمن مِنْهُم إِلَّا قَلِيل"[2].

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ آل عمران {199}.

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿**وَإِن من أهل الْكتاب لمن يُؤمن بِاللَّه**﴾ الْآيَة

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت- سعد فواز الصميل، 55، ط5(1419هـ)، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(2) الدر المنثور، 465/1. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 194/1.

قَالَ: هم مسلمة أهل الْكتاب من الْيَهُود وَالنَّصَارَى"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن زيد فِي الْآيَة، قَالَ: هَؤُلَاءِ يهود"[2].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن الْحسن فِي الْآيَة، قَالَ: هم أهل الْكتاب الَّذين كَانُوا قبل مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَالَّذين اتبعُوا مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم"[3].

من باب الإنصاف للذين آمنوا من بني إسرائيل، وقبل الخوض فيما نسبه اليهود لله، أحببت أن يكون هذا المطلب هو الأول من هذا المبحث؛ لأننا عندما نتكلم عن اليهود لا ننظر بعين واحدة تلتقط السلبيات فحسب، بل ننظر بعين الحق البصيرة، التي تنصف الذين آمنوا منهم.

فمن بني إسرائيل من آمن بالله، لكنهم قليلون استثناهم الله من اللعن، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة {88}.

مع العلم أن المفسرين اختلفوا في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى رأيين:

أولاً: قلة المؤمنين من أهل الكتاب، وعليه الرازي وقتادة وغيرهما.

ثانياً: عدم انتفاع أهل الكتاب بالإيمان، لتعلقه بالكفر.

يقول ابن كثير ذاكراً وجوه الاختلاف: "وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً﴾، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَقَلِيلٌ مِنْ يُؤْمَنُ مِنْهُمْ (وَاخْتَارَهُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ وَحَكَاهُ عَنْ قَتَادَةَ وَالْأَصَمِّ وَأَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْبَهَانِي) وَقِيلَ: فَقَلِيلٌ إِيمَانُهُمْ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَلَكِنَّهُ إِيمَانٌ لَا يَنْفَعُهُمْ؛ لِأَنَّهُ مَغْمُورٌ بِمَا كَفَرُوا بِهِ مِنَ الذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُمْ كَانُوا غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَهُمْ بِالْجَمِيعِ كَافِرُونَ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: قَلَّمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ، تُرِيدُ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ"[4].

لكن أرى الوقوف مع الرأي الذي يقول: أن الذي يؤمن منهم قليل، بدليل آيات القرآن التي استثنت الذين آمنوا منهم في مواضع كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي

(1) الدر المنثور، 194/4. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 498/1.
(2) الدر المنثور، 194/4.
(3) المصدر السابق، 194/4، 195.
(4) تفسير القرآن العظيم، 325/1.

إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَّ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ البقـرة {83}، وقال أيضاً: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف {159}، وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهَّ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران {113، 114}، وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهَّ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهَّ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آل عمران {199}.

ولقد كتب الله للذين آمنوا من أهل الكتاب الأجر مرتين، قال تعـالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ القصص {54}.

ذكر السيوطي في الدر المنثور، عن ابْن أبي حَاتِم، عَن مقَاتل بن حَيَّان قَالَ: لما نزلت: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتونَ أجرهم مرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ فَخر مؤمنو أهل الْكتاب على أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا: لنا أَجْرَانِ، ولَكم أجر، فَاشْتَدَّ ذَلِك على الصَّحَابَة، فَأنْزل الله: ﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا اتَّقوا الله وآمنوا بِرَسُولِهِ يُؤْتكُم كِفْلَيْنِ من رَحمته﴾ الحديد{28} فَجعل لَهُم أَجْـرَيْنِ مثـل أجور مؤمني أهل الْكتاب، وَسوى بَينهم فِي الْأجر"(1).

كما ذُكر في الحديث أن قوم موسى عليه السلام سواد عظيم، فقد أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَـهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيـلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَـدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ "فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّـا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هُمُ الَّـذِينَ لاَ

(1) الدر المنثور، 294/14.

يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ) [1].

وفي ضوء ما تقدم فإن الذين آمنوا من أهل الكتاب قليلون، والغالبية العظمى منهم كفروا بالله، رغم كثرة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ المائدة {20}.

إن كثرة الأنبياء تعتبر نعمة من نعم الله على بني إسرائيل، لكنهم لم يحفظوا هذه النعمة، بل كذبوا وكفروا بما جاء به أنبياء الله وقتلوهم، قال تعـالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ البقرة {91}.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من لم يرق، ح(5752) ، 134/7.

المطلب الثاني: نسبة الصفات البشرية لله

نسب اليهود الصفات البشرية لله سبحانه وتعالى وهو ما لا يليق بجلاله وعظمته، فقد نسبوا إليه الولد، والفقر والبخل والتعب، تعالى الله عما يقولون علواً عظيماً، وهوما يمكن بيانه في النقاط التالية.

أولاً: نسبة الولد لله

1-الآثار الواردة في قولهم عزير بن الله

أورد السيوطي رحمه الله تعالى عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تتحدث عن قولهم أن عزيراً بن الله، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِّ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِّ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُّ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ التوبة {30}، وهو ما يمكن بيانه في الآثار الآتية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم سَلام بن مشْكم، ونعمان بن أوفى أَبُو أنس، وشأس بن قيس، وَمَالك بن الصَّيف، فَقَالُوا: كَيفَ نتبعك وَقد تركت قبلتنا، وَأَنت لَا تزْعم أَن عُزَيْرًا ابْن الله؟ فأنزل الله في ذلك: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ**﴾ الآية"[1].

"أخرج ابْن الْمُنْذر، عَن ابْن جريج رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**وَقَالَت الْيَهُود عُزَيْر ابْن الله**﴾ قَالَ: قَالَهَا رجل وَاحِد اسْمه فنحَاص"[2].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن كَعْب رَضِي الله عَنهُ قَالَ: دَعَا عُزَيْر ربه عز وَجل أَن يلقِي التَّوْرَاة كَمَا أنزل على مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فِي قلبه، فأنزلها الله تَعَالَى عَلَيْهِ فَبعد ذَلِك قَالُوا: عُزَيْر ابن الله"[3].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ عَن الزُّهْرِيّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: كَانَ عُزَيْر يقْرَأ التَّوْرَاة ظَاهراً، وَكَانَ قد أعطي من الْقُوَّة مَا إِن كَانَ لينظر فِي البدر في شرف السَّحَاب، فَعِنْدَ ذَلِك قَالَت الْيَهُود: عُزَيْر بن الله"[4].

---

(1) الدر المنثور، 317/7، 318. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 442/2.
(2) الدر المنثور، 319/7.
(3) المصدر السابق، 320/7.
(4) المصدر السابق، 320/7.

"وَأخرج ابن النجار فِي تَارِيخه، عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: لما كَانَ يَوْم أحد شج رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي وَجهه، وكسرت رباعيته، فَقَامَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْمئِذٍ رَافعاً يَدَيْهِ يَقُول: (إِن الله عز وَجل اشْتَدَّ غَضَبه على الْيَهُود أَن قَالُوا: عُزَيْر ابْن الله، وَاشْتَدَّ غَضَبه على النَّصَارَى أن قَالُوا: أَن الْمَسِيح ابْن الله، وَإِن الله اشْتَدَّ غَضَبه على من أراق دمي وَآذَانِي فِي عِتْرَتِي"[1].

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران{186}.

"أخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن جريج: ﴿**ولتسمعن من الَّذين أُوتُوا الْكتاب**﴾: يَعْنِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى، فَكَانَ الْمُسلمُونَ يسمعُونَ من الْيَهُود قَوْلهم: عُزَيْر ابْن الله، وَمن النَّصَارَى قَوْلهم: الْمَسِيح ابْن الله، وَكَانَ الْمُسلمُونَ ينصبون لَهُم الْحَرْب ويسمعون إشراكهم بِاللَّه..."[2].

بعد سرد بعض الآثار التي وردت في الدر المنثور، سينتظم حديثنا في هذه المسألة في عدة نقاط كالتالي:

أ-من هو العزير؟

ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين من هو عزير، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة {259}.
وهو ما يمكن بيانه في الآثار التالية:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْحَاكِم وَصَححهُ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي البعث، عَن عَليّ بن أبي طَالب فِي قَوْله: ﴿**أَو كَالَّذِي مر على قَرْيَة**﴾ قَالَ: خرج عُزَيْر نَبِي الله من مدينته وَهُوَ شَاب، فَمر على قَرْيَة خربة وَهِي خاوية على عروشها، فَقَالَ: أَنى يحيى هَذِه الله

(1) الدر المنثور، 321/7، 322.
(2) المصدر السابق، 166/4.

بعد مَوتهَا، فأماته الله مائَة عَام ثمَّ بَعثه، فَأول مَا خلق مِنْهُ عَيناهُ فَجعل ينظر إِلَى عِظَامه ينضم بَعْضهَا إِلَى بعض، ثمَّ كُسِيت لَحْمًا ثمَّ نفخ فِيهِ الرّوح فَقيل لَهُ: ﴿**كم لَبِثت**﴾ قَالَ: ﴿**لَبِثت يَوْمًا أَو بعض يَوْم**﴾، قَالَ: ﴿**بل لَبِثت مائَة عَام**﴾ فَأتى مدينته وَقد ترك جاراً لَهُ إسكافاً شَابًّا، فجَاء وَهُوَ شيخ كَبِير"[1].

"وَأخرج إِسْحَاق بن بشر، وَابْن عَسَاكِر، من طرق عَن ابْن عَبَّاس، وَكَعب، وَالْحسن، ووهب، يزِيد بَعضهم على بعض، أَن عُزَيْرًا كَانَ عبدا صَالحا حكيماً..."[2].

يقول ابن عثيمين في شرحه للقول المفيد: "عزير هو رجل صالح، ادعى اليهود أنه ابن الله، وهذا من كذبهم، وهو كفر صريح، واليهود لهم مثالب كثيرة، لكن خُصَّت هذه، لأنها من أعظمها، وأشهرها عندهم"[3].

وأما الروايات التي تجزم أنه نبي فلا صحة لها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجزم بنبوته، فقد أخرج أبوداود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لَا، وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لَا) [4].

وقيل هو الذي أخبر الله عنه في آية: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...**﴾ البقرة{259}، وقيل إنه ليس هو المقصود في الآية وإنما أورميا، لكن الطبري بعد أن يذكر الأقوال في تفسيره عن من الذي أحياه الله مائة عام ثم بعثه يقول: "ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قِبَلِهِ البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف

(1) الدر المنثور، 206/3، 207. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، ح(3117) ، 310/2. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم"

(2) الدر المنثور، 207/3.

(3) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، 232/2، ط2(محرم، 1424هـ) ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ح(4674) ، 218/4. قال عنه الألباني: صحيح.

المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت"(1).

نخلص من هذه المسألة أن عزيراً رجل صالح ولا نجزم بنبوته لعدم ورود الدليل الصريح بنبوته، بل ورد توقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، كما ورد قبل ذلك في حديث أبي هريرة الصحيح الذي أخرجه أبوداود في سننه.

ب-ما السبب في زعم بني إسرائيل عزير ابن الله؟

والجواب يتضح من خلال قولي ابن عباس اللذين ذكرهما السيوطي في الدر المنثور، وابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير، حيث ذُكر أن ابن عباس قال: "وَإِنَّمَا قَالُوا: هُوَ ابْن الله من أجل أَن عُزَيْرًا كَانَ فِي أهل الْكتاب، وَكَانَت التَّوْرَاة عِنْدهم فعملوا بهَا مَا شَاءَ الله أَن يعملوا، ثمَّ أضاعوها وَعمِلُوا بِغَيْر الْحق، وَكَانَ التابوت فيهم، فَلَمَّا رأى الله أَنهم قد أضاعوا التَّوْرَاة، وَعمِلُوا بالأهواء رفع الله عَنْهُم التابوت، وأنساهم التَّوْرَاة، ونسخها من صُدُورهمْ، وَأرْسل عَلَيْهِم مَرضاً، فاستطلقت بطونهم مِنْهُ، حَتَّى جعل الرجل يمشي كبده، حَتَّى نسوا التَّوْرَاة، وَنسخت من صُدُورهمْ وَفِيهِمْ عُزَيْر، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعدما نسخت التوراة من صدورهم، وكَانَ عزير قبل من علمائهم، فَدَعَا عُزَيْر الله وابتهل إِلَيْهِ أَن يرد إِلَيْهِ الَّذِي نسخ من صَدره، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي مبتهلاً إِلَى الله نزل نور من الله فَدخل جَوْفه، فَعَاد إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ذهب من جَوْفه من التَّوْرَاة فَأذن فِي قومه، فَقَالَ: يَا قوم قد آتَانِي الله التَّوْرَاة وردهَا إِليّ فعلق يعلمهُمْ، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ الله أَن يمكثوا وَهُوَ يعلمهُمْ، ثمَّ إِن التابوت نزل عَلَيْهِم بعد ذَلِك وَبعد ذَهَابه مِنْهُم، فَلَمَّا رَأَوْا التابوت عرضوا مَا كَانُوا فِيهِ على الَّذِي كَانَ عُزَيْر يعلمهُمْ فَوَجَدَهُ مثله، فَقَالُوا: وَالله مَا أُوتِيَ عُزَيْر هَذَا إِلَّا أَنه ابْن الله"(2).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، فلما توفي عزير ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني اسرائيل، فقال: أنا عزير فكذَّبوه، فقالوا له: إن كنتَ عزيراً فاكتب علينا التوراة فكتبها لهم فقالوا: هذا ابن الله (3).

---

(1) جامع البيان، 441/5، 442.

(2) الدر المنثور، 318/7، 319. وانظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت- عبد الرزاق المهدي، 251/2، ط1(1422هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(3) انظر: الدر المنثور: 207/3 – 211. وانظر: زاد المسير، 251/2.

ج-من الذين قالوا عزير ابن الله؟

من خلال الآثار السابقة[1] يتبين أن هناك عدة أقوال حول من زعم أن العزير ابن الله يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف.

ثانياً: فنحاص.

أما الروايتان الثالثة والرابعة فقد ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير[2]

ثالثاً: طائفة من سلفهم.

رابعاً: اليهود عموماً دون تحديد.

فإن قيل إن كان من الأقوال من يقول أن بعض بني إسرائيل هو الذي زعم أن عزيراً ابن الله، فلماذا جمعهم الله في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾؟

يقول ابن الجوزي مجيباً عن هذا السؤال من ناحيتن: "أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جئت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلاً واحداً، والثاني: أن من لم يقله، لم ينكره"[3].

د-الرد على زعمهم أن عزيراً ابن الله.

إن طبيعة الرد ستكون من خلال القرآن والسنة النبوية، فالقرآن الكريم الكاشف لكذب اليهود وافتراءاتهم هو الحكم في الرد عليهم وعلى النصارى بزعمهم المسيح ابن الله، وعلى كل من زعم ولداً لله أيضاً من خلال عدد من الآيات.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ التوبة {30}.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**﴾ البقرة {116}.

---

(1) انظر: رواية ابن عباس، وابن جريج رضي الله عنهما، 141 من البحث.
(2) انظر: زاد المسير، 252/2.
(3) المصدر السابق، 252/2.

ويوضح ابن كثير ما اشتملت عليه هذه الآية فيقول: "اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَالتِي تَلِيهَا عَلَى الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ وَكَذَا مَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، مِمَّنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ، فَأَكْذَبَ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ فِي دَعْوَاهُمْ وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ لِلَّهِ وَلَدًا. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أَيْ: تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا افْتَرَوْا، وَإِنَّمَا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، ومُقَدِّرهم وَمُسَخِّرُهُمْ، وَمُسَيِّرُهُمْ وَمُصَرِّفُهُمْ، كَمَا يَشَاءُ، وَالْجَمِيعُ عَبِيدٌ لَهُ وَمِلْكٌ لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ مِنْهُمْ، وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مُتَوَلِّدًا مِنْ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ، وَلَا مُشَارِكٌ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ! كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام {101}"[1].

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ النساء {171}.

ويتبين أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي لا تنسبوا لله زوجة ولا شريك ولا ولد[2].

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ* بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام {100، 101}.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مريم {35}.

(1) تفسير القرآن العظيم، 396/1.
(2) انظر: زاد المسير، 501/1.

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون {91}.

وفي الآية السابعة وصف الله المشركين بالكذب لادعائهم أن لله ولد[1] وهو رد لكل من ادعى لله ولد، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الصافات {151، 152}.

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ* سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الزخرف {81، 82}.

الآية التاسعة: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص {1 – 4}.

ثم نجمل ذلك بالآية العاشرة، وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى {11}.

فهذه الآية تجمل الرد على اليهود والنصارى وكل من وصف الله بصفة من صفات البشر، وهو ما بينه ابن تيمية في مجموع الفتاوى مبيناً منهج أهل السنة والجماعة راداً على المخالفين، حيث يقول: "فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كُفُوَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ وَأَصْدَقُ قِيلًا وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ..."[2].

أما الرد من خلال السنة النبوية فسيكون في حديثين من صحيح البخاري، أما الأول فهو عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ تعالى في الحديث القدسي: (كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ

(1) انظر: جامع البيان، 118/21.

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 130/3، بدون رقم طبعة(1416هـ – 1995م) ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا) [(1)].

ولقد سمى الله نسبة الولد إليه شتماً؛ لأن فيه تنقيص لله سبحانه وتعالى؛ لأن الولد يكون من والدة تحمله ثم تضعه، وهذا يستلزم النكاح، والناكح يستدعي باعثاً له، والله سبحانه وتعالى منزه عن كل ذلك[(2)].

وأما الحديث الثاني ففيه تكذيب لليهود بادعائهم عزير بن الله، وكذلك للنصارى بادعائهم المسيح بن الله، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ، قَالُوا: لاَ، قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا) [(3)]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وقالوا اتخذ الله ولداً) ، ح(4482) ، 19/6.

(2) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، 473/4، ط1(1356هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله لايظلم مثقال ذرة) النساء }40{، ح(4581) ، 44/6.

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ فيها نفي اللازم وهو كونه ابن الله، ليلزم بذلك نفي الملزوم وهو عبادة ابن الله[1].

2-الآثار الواردة في قولهم نحن أبناء الله

القرآن الكريم أشار إلى هذه الفرية التي زعمها اليهود، والسيوطي رحمه الله تعالى أورد عدداً من الآثار التي تبين قولهم نحن أبناء الله، عند قوله تعـالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ المائدة {18}، وهو مـا يمكـن بيانه في الآثار الآتية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نعمان بن أضا، وبحـري بـن عمْـرو، وشأس بن عدي، فَكَلَّمَهُمْ وكلموه، ودعاهم إِلَى الله وحذرهم نقمته، فَقَالُوا: ما تخوفنا يا محمـد، نَحن وَالله أَبنَاء الله وأحباؤه، كَقَوْل النَّصَارَى فَأنْزل الله فيهم: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى**﴾ إِلَـى آخر الْآيَة"[2].

قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ آل عمران{24}.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة ﷺ: ﴿**وغرهم فِي دينهم مَا كَانُوا يفترون**﴾ حِين قَالُوا: نَحن أَبنَاء الله وأحباؤه"[3].

قال تعـالى: ﴿**وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ الأنعام{100}.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺفِي قَوْله: ﴿**وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات**﴾ قَالَ: كذبُوا لَهُ، أما الْيَهُود وَالنَّصَارَى فَقَالُوا: نَحن أَبنَاء الله وأحباؤه، وَأما مُشْرِكُوا الْعَرَب فَكَانُوا

(1) انظر: فتح الباري، 449/11.
(2) الدر المنثور، 238/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 169/2.
(3) الدر المنثور، 495/3. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 408/1.

يعْبدُونَ اللات والعزى فَيَقُولُونَ: الْعُزَّى بَنَـات الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يصفونَ﴾ أَي: عَمَّا يكذبُون"[1].

تم الحديث عن قولهم نحن أبناء الله عند الحديث عن الغرور في زعمهم محبة الله لهم، ولقد بينت الرد على هذه الفرية التي افتراها اليهود في زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه في موضع الغرور[2].

ثانياً: الآثار الواردة في نسبة الفقر لله

القرآن الكريم تحدث عن هذه الفرية التي افتراها اليهود على الله، ولقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين فرية اليهود بنسبة الفقر لله، قال تعالى: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾** آل عمران {181}، وهو ما يمكن بيانه في الآثار الآتية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، من طَرِيق عِكْرِمَة، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: دخل أَبُو بكر بَيت الْمِدْرَاس[3]، فَوجدَ يهود قد اجْتَمعُوا إِلَى رجل مِنْهُم يُقَال لَهُ: فنحَاص وَكَانَ من عُلَمَائهمْ وَأَحْبَارهمْ، فَقَالَ أَبُو بكر: وَيحك يَا فنحَاص، اتَّق الله وَأسلم فوَاللَّه إِنَّك لتعلم أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله، تجدونه مَكْتُوبًا عنْدكُمْ فِي التَّوْرَاة، فَقَالَ فنحاص: وَالله يَا أَبَا بكر مَا بنَا إِلَى الله من فقر، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لفقير وَمَا نتضرَّع إِلَيْهِ كَمَا يتضرَّع إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنهُ لأغنياء، وَلَو كَانَ غَنِياً عَنَّا مَا استقرض منا كَمَا يزْعم صَاحبكُم، يَنْهَاكُم عَن الرِّبَا ويُعْطِينَا، وَلَو كَانَ غنيا عَنَّا مَا أَعْطَانَا الرِّبَا، فَغَضب أَبُو بكر فَضرب وَجه فنحَاص ضَرْبَة شَدِيدَة، وَقَالَ: وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَوْلَا الْعَهْد الَّذِي بَيْننَا وَبَيْنك لضَرَبْت عُنُقك يَا عدوّ الله، فَذهب فنحَاص إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ: يَا مُحَمَّد انْظُر مَا صنع صَاحبك بِي، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لأبي بكر: مَا حملك على مَا صنعت؟ قَالَ: يَا رَسُول الله قَالَ قولاً عَظِيماً: يزْعم أَن الله فَقير وَأَنَّهُمْ عَنهُ أَغْنِيَاء، فَلَمَّا قَالَ ذَلِك غضِبت لله مِمَّا قَالَ فَضربت وَجهه، فَجحد فنحَاص فَقَالَ: مَا قلت ذَلِك، فَأنْزل الله فِيمَا قَالَ فنحَاص تَصْدِيقًا لأبي بكر: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾**

(1) الدر المنثور، 161/6.
(2) انظر: 109، 110 من هذا البحث.
(3) الْمِدْرَاس: "هُوَ الْبَيْت الَّذِي يقْرَأ فِيهِ أهل الْكتاب كتبهمْ"، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، 256/1، المكتبة العتيقة، ودار التراث.

الْآيَة، وَنزل فِي أبي بكر وَمَا بلغه فِي ذَلِك من الْغَضَب ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا** ﴾"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن مُجَاهِد ﷺقَالَ: صك أَبُو بكر رجلاً مِنْهُم: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنحْنُ أَغْنِيَاء**﴾ لم يستقرضنا وَهُوَ غَنِي وهم يهود"[2].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، وابن مردويه، والضياء في المختارة، من طَرِيق سعيد بن جُبَير، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: أَتَت الْيَهُود مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حِين أنزل الله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضَاً حَسَنَاً**﴾ البقرة{245} فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد أفقير رَبنَا يسْأَل عباده الْقَرْض؟ فَأنْزل الله: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذينَ قَالُوْا**﴾ الْآيَة"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة ﷺفِي قَوْله ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللهُ** ﴾ الْآيَة، قَالَ: ذكر لنا أَنَّهَا نزلت فِي حييّ بن أَخطب، لما أنزل الله: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضَاً حَسَنَاً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافَاً كَثِيرَة**﴾ قَالَ: يستقرضنا رَبنَا؟ إِنَّمَا يستقرض الْفَقِير الْغَنِي"[4].

هذا وصف لا يليق بخالق البشر، والذي بيديه مقاليد كل شيء، ولقد ذم الله اليهود على هذا الوصف وتوعدهم بعذاب شديد في نار جهنم على هذه الفرية بحقه، قال تعالى: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ آل عمران {181}.

وتبين الآثار السابقة سبب قول اليهود عن الله فقير سبحانه وتعالى عما يقولون ويكذبون، فالله تعالى هو الرزاق وهو الذي بيده خزائن السماوات والأرض وهو خلقنا وليس بحاجة لنا إنما نحن البشر بحاجته ونفتقر إليه، وهو خلقنا لعبادته قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ الذاريات {56 – 58}.

---

(1) الدر المنثور، 158/4. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 485/1.
(2) الدر المنثور، 159/4.
(3) المصدر السابق، 160/4.
(4) المصدر السابق، 160/4.

كل المخلوقات تحتاج إلى الله، والله سبحانه غني عن كل خلقه قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الإخلاص {1، 2}.

فالصمد هو الذي يصمد: أي (يقصد) [1] إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم[2].

والله سبحانه وتعالى توعد اليهود بعذاب شديد على قولهم هذا، يقول عبد الكريم الخطيب في تعليقه على آية ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: "وعيد لليهود، ونذير بالعذاب الشديد لهم، إذ كان ما قالوه تجديفاً على الله، ومحاربة له، والله سبحانه وتعالى قد سمع هذا القول المنكر منهم، والمراد أنه سبحانه وتعالى قد علم ما قالوا، والتعبير عن العلم بالسّمع أبلغ وأقوى فى حسابنا وتقديرنا نحن، أما علم الله وسمع الله، وما لله من صفات، فهى جميعاً على الكمال المطلق الذي لا يقبل زيادة أو نقصاً، وقوله سبحانه: ﴿سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ هو مبالغة فى تغليظ هذا الجرم وتهويله، فقد كتبه الله عليهم ووثّقه، كما يكتبون هم ما يستدينه الدائنون منهم ويوثّقونه، فلا سبيل إلى الضياع أو الإنكار"[3].

ثالثاً: الآثار الواردة في نسبة البخل لله

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عدداً من الآثار عند هذه الآية تبين فرية اليهود بنسبة البخل لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة {64}. وهو ما يمكن بيانه في الآثار التالية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَالطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: قَال رجل من الْيَهُود يُقَال لَهُ: شأس بن قيس: إِن رَبك بخيل لا ينفق، فَأنْزل الله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾"[4].

---

(1) انظر: لسان العرب، 258/3.
(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، 528/8.
(3) التفسير القرآني للقرآن، 658/2.
(4) الدر المنثور، 374/5. قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ"، مجمع الزوائد، 17/7.

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن ابْن عَبَّاس: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُود يَد الله مغلولة﴾ نزلت فِي فنحَاص رَأس يهود قينقاع"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن عِكْرِمَة فِي قَوْله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُود يَد الله مغلولة﴾ الْآيَة قَالَ: نزلت فِي فنحَاص الْيَهُودِيّ"[2].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس﵄: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُود يَد الله مغلولة﴾ قَالَ: أَي بخيلة"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﵄فِي قَوْله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُود يَد الله مغلولة﴾ قَالَ: لا يعنون بذلك أَن يَد الله موثوقة، وَلَكِن يَقُولُونَ: إِنَّه بخيل أمسك مَا عِنْده تَعَالَى عَمَّا الله يَقُولُونَ علواً كَبِيراً"[4].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن الضَّحَّاك ﵀ فِي قَوْله: ﴿مغلولة﴾ يَقُولُونَ: إِنَّه بخيل لَيْسَ بجواد، وَفِي قَوْله: ﴿غلت أَيْديهم﴾ قَالَ: أَمْسَكت عَن النَّفَقَة وَالْخَيْر"[5].

يلاحظ مما تقدم أن اليهود ينسبون لله عز وجل ما لا يليق من الأوصاف، كالبخل وفي ذلك من سوء الأدب وعدم الخوف من الله ما لا يخفى، فالله سبحانه بيده خزائن السماوات والأرض، فمن أسمائه الرزاق، الكريم، المعطي، ومع ذلك يصفونه بالبخل تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وبسبب هذا القول كتب الله عليهم لعنته وغضبه وألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

وقد رد الله عز وجل عليهم في نفس الآية، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة {64}.

---

(1) الدر المنثور، 374/5.
(2) المصدر السابق، 374/5.
(3) المصدر السابق، 375/5.
(4) المصدر السابق، 375/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 195/2.
(5) الدر المنثور، 375/5.

ويوضح القرآن أيضاً أنهم هم البخلاء في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وأيضاً في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ النساء{53}.

"فقد أخرج ابْن الْمُنْذر،وَابْن أبي حَاتِم،عَن مُجَاهِد ﷺ فِي قَوْله:﴿أم لَهُم نصيب من الْملك﴾ قَالَ: فَلَيْسَ لَهُم نصيب، وَلَو كَانَ لَهُم نصيب لم يؤتوا النَّاس نقيراً"[1].

والنقير كما "أخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم من طرق خَمْسَة، عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: النقير: النقطة الَّتِي فِي ظهر النواة"[2].

ولقد ذمهم الله أيضاً بأمرهم الناس بالبخل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ النساء{37}.

فقد "أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺ فِي قَوْله: ﴿الَّذين يَبْخلُونَ﴾ الْآيَة، قَالَ: نزلت فِي يهود"[3].

ثم بين القرآن أن الناس لو بيدهم الملك لبخلوا ولم ينفقوا، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ الإسراء{100}.

وقد أخرج البخاري في صحيحه حديثاً يبين كرم الله سبحانه وتعالى فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:(يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) [4].

---

(1) الدر المنثور، 486/4.
(2) المصدر السابق، 487/4. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 66/2.
(3) الدر المنثور، 437/4. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 52/2.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله: (لما خلقت بيدي) ص{75}، ح(7411) ، 122/9. وأخرجه البخاري أيضاً، كتاب تفسير القرآن، باب قوله:(وكان عرشه على الماء) هود{7}، ح(4684) ، 73/6.

قوله: لا يغيضها أي: لا ينقصها، وقوله سحاء أي: دائمة الصب والسيلان[1] وبالتوضيح السابق يتبين لنا عظمة كرم الله عز وجل، ومن عظيم الافتراء نسبة البخل بحقه كما نسب اليهود تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

رابعاً: الآثار الواردة في نسبة التعب لله

لقد نسب اليهود التعب لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، والسيوطي رحمه الله ذكر عدداً من الآثار التي تبين فريتهم بنسبة التعب لله، عند قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ فصلت{**9**}، وهو ما يمكن بيانه في الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن أبي بكر رَضِي الله عَنهُ قَالَ: جَاءَ الْيَهُود إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد أخبرنَا مَا خلق الله من الْخلق فِي هَذِه الْأَيَّام السِّتَّة؟ فَقَالَ: خلق الله الأَرْض يَوْم الْأَحَد والإثنين، وَخلق الْجبَال يَوْم الثُّلَاثَاء، وَخلق الْمَدَائِن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يَوْم الْأَرْبَعَاء، وَخلق السَّمَوَات وَالْمَلَائِكَة يَوْم الْخَمِيس إِلَى ثَلَاث سَاعَات يَعْنِي: من يَوْم الْجُمُعَة، وَخلق فِي أول سَاعَة الْآجَال، وَفِي الثَّانِيَة الآفة، وَفِي الثَّالِثَة آدم، قَالُوا: صدقت إن تممت، فَعرف النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَا يُرِيدُونَ فَغَضب، فَأنْزل الله: ﴿**وَمَا مسنا من لغوب* فاصبر على مَا يَقُولُونَ**﴾ ق{38، 39}"[2].

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾ ق{38}.

---

(1) انظر: عمدة القاري، 106/25.

(2) الدر المنثور، 95/13. ورد هذا الأثر بنحو هذا اللفظ عن ابن عباس، وقال فيه ابن كثير: "هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ غَرَابَةٌ، فَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ جُرَيْجٍ،... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ"فَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابَيْهِمَا، عَنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِهِ، وَهُوَ مِنْ غَرَائِبِ الصَّحِيحِ". تفسير القرآن العظيم، 168/7. وأورد الألباني الراوية بنحوها وقال فيها: منكر. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، 945/12.

"أخرج ابْن الْمُنْذر، عَن الضَّحَّاك –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَت الْيَهُود: ابْتَدأَ الله الْخلق يَوْم الْأَحَد، والإثنين، وَالثُّلَاثَاء، وَالْأَرْبعَاء، وَالْخَمِيس، وَالْجُمُعَة، واستراح يَوْم السبت، فَأنْزل الله: ﴿وَلَقَد خلقنَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا فِي سِتَّة أَيَّام وَمَا مسنا من لغوب﴾"(1).

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة ﷺ قَالَ: قَالَت الْيَهُود: إِن الله خلق الْخلق فِي سِتَّة أَيَّام، وَفرغ من الْخلق يَوْم الْجُمُعَة، واستراح يَوْم السبت، فأكذبهم الله فِي ذَلِك فَقَالَ: ﴿وَمَا مسنا من لغوب﴾"(2).

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَمَا مسنا من لغوب﴾ قَالَ: من نصب"(3).

"وَأخرج آدم بن أبي إِيَاس، وَالْفِرْيَابِي، وَابْن جرير، وَالْبَيْهَقِيّ ﷺ فِي الْأَسْمَاء وَالصِّفَات، عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿وَمَا مسنا من لغوب﴾ قَالَ: اللغوب النصب، تَقول الْيَهُود: إِنَّه أعيا بعد مَا خلقهما"(4).

"وَأخرج الْخَطِيب فِي تَارِيخه، عَن العوّام بن حَوْشَب قَالَ: سَأَلت أَبَا مجلز عَن الرجل يجلس فَيَضَع إِحْدَى رجلَيْهِ على الْأُخْرَى، فَقَالَ: لَا بَأْس بِهِ إِنَّمَا كره ذَلِك الْيَهُود، زَعَمُوا أَن الله خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض فِي سِتَّة أَيَّام ثمَّ استراح يَوْم السبت فَجَلَسَ تِلْكَ الجلسة، فَأنْزل الله: ﴿وَلَقَد خلقنَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا فِي سِتَّة أَيَّام وَمَا مسنا من لغوب﴾"(5).

هذه الصفة التي نسبها اليهود إلى الله سبحانه عما يقولون، وردت أيضاً في توراتهم المحرفة، فقد جاء في سفر التكوين: "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الّذِي عَمِل. وبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقاً"(6).

(1) الدر المنثور، 654/13.
(2) المصدر السابق، 654/13.
(3) المصدر السابق، 654/13.
(4) المصدر السابق، 655/13.
(5) المصدر السابق، 655/13.
(6) سفر التكوين، 2:2، 3.

الله الذي قدرته مطلقة، والذي إذا قال للشيء كن فيكون، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ البقرة{117}، يتهمه أعداء الله اليهود بالتعب عند خلق السماوات والأرض وما بينهما لكن الله يقول لهم: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ق{38}. أي تعب ونصب.

فهذه الصفة التي زعمها اليهود تبين أنهم لم يقدروا الله حق قدره، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر{67}.

وقد أخرج البخاري في هذه الآية حديثاً يبين قدرة الله سبحانه وتعالى، وترد على اليهود زعمهم فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾)(1).

يقول ابن بطال موضحاً المقصود والفائدة من قوله على إصبع: "ويحتمل أن يكون المراد بالإصبع إذا أراد الإخبار عن جريان قدرته عليه فذكر معظم المخلوقات، وأخبر عن قدرة الله على جميعها معظمًا لشأن الرب تعالى فى قدرته وسلطانه، فضحك رسول الله كالمتعجب منه أنه يستعظم ذلك فى قدرته، وأنه ليسير فى جنب ما يقدر عليه"(2).

والله سبحانه تعالى يقول لكل من لا يعظم قدرته: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأحقاف{33}، ويقول: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ غافر{57} وقَالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ النازعات{27}.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الأنعام{91}، ح(4811) ، 126/6.

(2) شرح صحيح البخارى، لابن بطال، ت- أبو تميم ياسر بن إبراهيم، 441/10، ط2(1423هـ - 2003م)، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

خامساً: الآثار الواردة في سؤالهم النبي من خلق الله وما هو وصفه؟

لقد ورد في سبب نزول سورة الإخلاص عدداً من الآثار، والتي من بينها قول اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك، والسيوطي رحمه ذكر مجموعة من هذه الآثار تحت هذه السورة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ الإخلاص{1 – 4}، هي كما يلي:

"أخرج الطَّبَرَانِيّ فِي السّنة، عَن الضَّحَّاك قَالَ: قَالَت الْيَهُود: يَا مُحَمَّد، صف لنا رَبك فَأنْزل الله: ﴿**قل هُوَ الله أحد* الله الصَّمد**﴾ فَقَالُوا: أما الْأَحَد فقد عرفْنَاهُ، فَمَا الصَّمد؟ قَالَ: الَّذِي لَا جَوف لَهُ"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن سعيد بن جُبَير ﷺ قَالَ: أَتَى رَهْط من الْيَهُود النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّد هَذَا الله خلق الْخلق فَمن خلقه؟ فَغَضب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَتَّى انتقع لَونه، ثمَّ ساورهم غَضباً لرَبه، فَجَاءَهُ جِبْرِيل فسكنه، وَقَالَ: اخْفِضْ عَلَيْك جناحك، وجاءه من الله جَوَاب مَا سَأَلُوهُ عَنهُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَد* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلم يكن لَهُ كفواً أحد**﴾ فَلَمَّا تَلَاهَا عَلَيْهِم قَالُوا: صف لنا رَبك كَيفَ خلقه، وَكَيف عضده، وَكَيف ذراعه؟ فَغَضب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَشد من غَضَبه الأول وساورهم غَضباً، فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَقَالَ لَهُ مثل مقَالَته، وَأَتَاهُ جَوَاب مَا سَأَلُوهُ عَنهُ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبضته يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ الزمر{67}"[2].

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ قَالَ: جَاءَ نَاس من الْيَهُود إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا: أنسب لنا رَبك وَفِي لفظ: صف لنا رَبك، فَلم يدر مَا يرد عَلَيْهِم، فَنزلت: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ حَتَّى ختم السُّورَة"[3].

هذا السبب الذي نزلت بسببه سورة الإخلاص يعكس سوء أدب اليهود مع الله عز وجل، وجدالهم المذموم لرسوله صلى الله عليه وسلم، يقول ابن عثيمين: "سواء صح السبب أم لم يصح، فعلينا إذا سئلنا أي سؤال عن الله، نقول: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾"[4].

---

(1) الدر المنثور، 744/15.
(2) المصدر السابق، 744/15، 745.
(3) المصدر السابق، 745/15.
(4) شرح العقيدة الواسطية، 159.

والله هو العلم على ذات الله، المختص بالله عز وجل، لا يتسمى به غيره وكل ما يـأتي بعده من أسماء الله فهو تابع له إلا نادراً، ومعنى أحد أي: لا ثاني له ولا نظير له ولا نـد لـه، والصمد هو: الكامل في علمه، في قدرته، في حكمته، في عزته، في سؤدده، في كـل صـفاته، وقيل: الصمد: الذي لا جوف له، يعني لا أمعاء ولا بطن، ولهذا قيل: الملائكة صمد؛ لأنهم ليس لهم أجواف، لا يأكلون ولا يشربون، وقيل: الصمد يمعنى المفعول، أي: المصمود إليه، أي الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، بمعنى: تميل إليه وتنتهي إليه وترفع إليه حوائجها، فهو بمعنى الذي يحتاج إليه كل أحد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ هـذا تأكيـد للـصمدية والوحدانية[1].

فسورة الإخلاص لأهميتها تعدل ثلث القرآن فقد أخرج البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: (أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ) [2].

سادساً: صفات بشرية أخرى زعموها لله وردت في التوراة

هناك صفات أخرى كثيرة في توراتهم المحرفة نسبها أعداء الله اليهود إلى الله، منها:

1- أن الله يستيقظ وينام، جاء في سفر زكريا: "تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي هأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ، فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ، وَالرَّبُّ يَرِثُ يَهُوذَا نَصِيبَهُ فِـي الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَيَخْتَارُ أُورُشَلِيمَ بَعْدُ، اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِـنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ"[3].

2- رؤية الله على هيئة البشر، جاء في سفر الخروج: "ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَـنْعَةٍ مِـنَ الْعَقِيـقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا."[4]

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية، 159 – 162.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، ح(5013) ، 189/6.

(3) سفر زكريا، 2: 10 – 13.

(4) سفر الخروج، 24: 9 –11.

3- الله يسير أمام بني إسرائيل في الليل والنهار، جاء في سفر الخروج: "وَكَانَ الـرَّبُّ يَـسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ .لِكَـيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً ، لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ"[1].

4- الله يأمر أشيعاء أن يتعرى: "فِي ذلِكَ الْوَقْتِ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشَعْيَاءَ بْنِ آمُـوصَ قَـائِلاً: «اذْهَبْ وَحُلَّ الْمِسْحَ عَنْ حَقْوَيْكَ وَاخْلَعْ حِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ فَفَعَلَ هكَذَا وَمَشَى مُعَرًّى وَحَافِيًا فَقَالَ الرَّبُّ: «كَمَا مَشَى عَبْدِي إِشَعْيَاءُ مُعَرًّى وَحَافِيًا ثَلاَثَ سِنِينٍ، آيَةً وَأُعْجُوبَةً "[2].

5- الله يندم كما يزعمون، جاء في سفر صموئيل الأول: وكان كلام الرب إلى صموئيل قـائلاً نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ ."[3].

نكتفي بهذا القدر وهناك صفات أخرى كثيرة وردت في توراتهم المحرفة، يمكن الرجوع إليها من خلال الكتب التي نقضت التوراة[4].

(1) سفر الخروج، 13: 21، 22.
(2) سفر أشيعاء، 20: 2، 3.
(3) سفر صموئيل الأول، 15: 10، 11.
(4) انظر: للتفاصيل عن هذا الموضوع كتاب الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، د. محمد علـي البار، 11- 40، ط1(1410هـ - 1990م) ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. وانظر: مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، 423 - 439، بدون رقم طبعـة، بـدون تاريخ، دار القلم، دمشق.

المطلب الثالث: الشرك بالله

قبل البدء والخوض في تفاصيل شرك اليهود بالله سنعرف الشرك والتوحيد لغةً واصطلاحاً:

الشرك لغةً واصطلاحاً:

1- الشرك لغةً: من الفعل شرك، والشريك يجمع على شركاء وأشراك، فالمرأة شريكة، والنساء شرائك، وشاركت فلاناً: صرت شريكه، والشرك أيضاً: الكفر وقد أشرك فلان بالله فهو مشرك، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ طه{32}، أي: اجعله شريكي فيه، وأشرك نعله وشركها تشريكاً أي جعل لها شراكاً، والشَّرَكُ بِفَتْحَتَيْنِ حِبَالَةُ الصَّائِدِ الْوَاحِدَةُ شَرَكَةٌ[1].

2- الشرك اصطلاحاً: "الشِّرْكُ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ، وَإِنْ اعْتَرَفَ الْمُشْرِكُ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ"[2].

التوحيد لغةً واصطلاحاً:

1- التوحيد لغةً: وحد يوحد بقي مفرداً، ووحد الله سبحانه أقر وآمن بأنه واحد، والشيء جعله واحداً[3].

2- التوحيد اصطلاحاً: يعرف على "أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له"[4].

وبعد هذا التوضيح لمصطلحي الشرك والتوحيد، نقول أن بني إسرائيل أشركوا بالله سبحانه وتعالى، فعبدوا العجل، وعزير، والأصنام، وعبدوا الأحبار بما حللوا وحرموا لهم.

وسيدور الحديث عن شرك اليهود بالله تعالى في أربع مسائل:

---

(1) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت- يوسف الشيخ محمد، 164، ط5(1420هـ - 1999م) ، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

(2) مجموع الفتاوى، 682/11.

(3) انظر: المعجم الوسيط، 1016/2.

(4) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت- زهير الشاويش، 17، ط1(1423هـ - 2002م) ، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

أولاً: الآثار الواردة في عبادة العجل

لقد أورد السيوطي عند هذه الآية وغيرها مجموعة من الآثار التي تتحدث عن عبادة اليهود للعجل، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ البقرة{93}، وهو ما يمكن بيانه في الآتي:

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿**وأشربوا فِي قُلُوبهم الْعجل**﴾ قَالَ: أشربوا حبه حَتَّى خلص ذَلِك إِلَى قُلُوبهم"[1].

قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ الأعراف{138}.

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن ابْن أبي جريج فِي قَوْله: ﴿ **فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ** ﴾ قَالَ: تماثيل بقر من نُحَاس، فَلَمَّا كَانَ عجل السامري شبه لَهُم أَنه من تِلْكَ الْبَقر، فَذَلِك كَانَ أول شَأْن الْعجل، لتَكون لله عَلَيْهِم حجَّة فينتقم مِنْهُم بعد ذَلِك"[2].

لقد كانت عبادة بنو إسرائيل للعجل بعد أن أنعم الله عليهم بنعمة نجاتهم من فرعون وفلق البحر، فموسى عليه السلام وهو معهم وهم خارجون من مشاهد ومعجزات واضحة تدل دلالة قاطعة على قدرة الله، فإذا هم يطلبون أن تكون لهم آلهة، قال تعالى: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ الأعراف{138}[3].

ويعلق الدكتور محمد صالح أديب على قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿**إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ فيقول: "لقد كشف تطلعهم إلى اتخاذ إله مع الله، أنهم ما يزالون بعد تلك الأعوام الطويلة غارقين في الجهل والعماية، لم تستنر قلوبهم بكلمة التوحيد على الوجه الذي ينبغي، ولا

(1) الدر المنثور، 472/1. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 199/1.
(2) الدر المنثور، 536/6.
(3) انظر: للاطلاع أكثر، اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، د. محمد أديب الصالح، 81، 82، ط1(1413هـ - 1993) ، دار الهدى للنشر والتوزيع.

حركت عقولهم وقائع ما جرى من صراع بين الكلمة الطيبة لا إله إلا الله، وبين الشرك، في معركة قادها نبيهم وزعيمهم موسى عليه السلام، في مواجهة مدع الألوهية فرعون، أجل إنهم قوم يجهلون"[1].

فلما ذهب موسى عليه السلام بعد نجاتهم من عدوهم فرعون لميقات ربه، كانت المصيبة من ورائه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة{51}.

وكان الذي أضلهم بعبادة العجل هو السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ طه{85}.

ومن شدة حبهم للعجل صور القرآن الكريم الموقف بقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة{93}.

ثم تاب الله عليهم بتقتيل بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة{54}.

ثانياً: الآثار الواردة في عبادة العزير

لقد ذكر السيوطي عدداً من الآثار عند هذه الآية أثراً يبين عبادة اليهود للعزير، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم{42}، وهو ما يمكن بيانه في الآتي:

"أخرج ابْن أبي شيبَة، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، وَالْحَاكِم ﷺ وَصَححهُ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الْبَعْث والنشور، عَن ابْن مَسْعُود أَنه ذكر عِنْده الدَّجَّال فَقَالَ: يفْتَرق ثَلَاث فرق تتبعه، فرقة تتبعه، وَفرْقَة تلْحق بِأَرْض آبائها منابت الشّيح[2]، وَفرْقَة تَأْخُذ شط الْفُرَات فيقاتلهم ويقاتلونه، حَتَّى يجْتَمع الْمُؤمنُونَ بقرى الشَّام، فيبعثون إِلَيْهِ طَلِيعَة فيهم فَارس على فرس أشقر أَو أبلق، فيقتتلون لَا يرجع إِلَيْهِم شَيْء، ثمَّ إِن الْمَسِيح ينزل فيقتله، ثمَّ يخرج يَأْجُوج وَمَأْجُوج

(1) اليهود في القرآن والسنة، 87.
(2) جزيرة العرب، انظر الدر المنثور، 654/14.

فيموجون فِي الأَرْض فيفسدون فِيهَا، ثمَّ قَرَأَ عبد الله ﴿**وهم من كل حدب يَنْسلونَ**﴾ الأنبياء{96}، ثمَّ يبْعَث الله عَلَيْهِم دَابَّة مثل هَذِه النغفة[1] فَتدخل فِي أسماعهم ومناخرهم فيموتون مِنْهَا، فتنتن الأَرْض مِنْهُم، فيجأر أهل الأَرْض إِلَى الله، فَيُرْسل الله مَاء فيطهرها مِنْهُم، ثمَّ يبْعَث ريحًا فِيهَا زمهرير بَارِدَة فَلَا تدع على وَجه الأَرْض مؤمناً إِلَّا كفئت بِتِلْكَ الرّيح، ثمَّ تقوم السَّاعَة على شرار النَّاس، ثمَّ يقوم ملك الصُّور بَين السَّمَاء وَالْأَرْض فينفخ فِيهِ فَلَا يبْقى خلق الله فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض إِلَّا مَاتَ إِلَّا من شَاءَ رَبك، ثمَّ يكون بَين النفختين مَا شَاءَ الله أَن يكون فَلَيْسَ من ابْن آدم خلق إِلَّا وَفِي الأَرْض مِنْهُ شَيْء، ثمَّ يُرْسل الله مَاء من تَحت الْعَرْش، منياً كمني الرِّجَال فتنبت جسمانهم ولحمانهم من ذَلِك المَاء كَمَا تنْبت الأَرْض من الثرى، ثمَّ قَرَأَ عبد الله ﴿**وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾فاطر{9}، ثمَّ يقوم ملك بالصور بَين السَّمَاء وَالْأَرْض فينفخ فِيهِ، فتنطلق كل نفس إِلَى جَسدهَا حَتَّى تدخل فِيهِ، فَيقومُونَ فيجيئون مجيئة رجل وَاحِد قيَاما لرب الْعَالمين، ثمَّ يتَمَثَّل الله للْخلق فيلقاهم فَلَيْسَ أحد من الْخلق يعبد من دون الله شَيْئاً إِلَّا هُوَ مُتبع لَهُ يتبعهُ، فَيلقى الْيَهُود فَيَقُول: مَا تَعْبدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نعْبد عُزَيْرًا فَيَقُول: هَل يسركم المَاء؟ قَالُوا: نعم، فيريهم جَهَنَّم كَهَيئَةِ السراب، ثمَّ قَرَأَ عبد الله ﴿**وعرضنا جَهَنَّم يَوْمئِذٍ للْكَافِرِينَ عرضاً**﴾الكهف{100}، ثمَّ يلقى النَّصَارَى فَيَقُولُونَ: مَا كُنْتُم تَعْبدُونَ؟ قَالُوا: الْمَسِيح فَيَقُول: هَل يسركم المَاء؟ قَالُوا: نعم، فيريهم جَهَنَّم كَهَيئَةِ السراب، وَكَذَلِكَ كل من يعبد من دون الله شَيْئاً، ثمَّ قَرَأَ عبد الله ﴿**وقفوهم إِنَّهُم مسؤولون**﴾ الصافات{24}، حَتَّى يمر الْمُسلمُونَ فيلقاهم فَيَقُول: من تَعْبدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نعْبد الله وَلَا نشْرك بِهِ شَيْئاً، فينتهرهم مرّة أَو مرَّتَيْنِ من تَعْبدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نعْبد الله وَلَا نشْرك بِهِ شَيْئاً، فَيَقُول: هَل تعرفُون ربكُم؟ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَ الله إِذا تعرف لنا عَرفْنَاهُ فَعِنْدَ ذَلِك ﴿**يكْشف عَن سَاق**﴾ فَلَا يبْقى مُؤمن إلاّ خر لله سَاجِداً، وَيبقى الْمُنَافِقُونَ ظُهُورهمْ طبق وَاحِد كَأَنَّمَا فِيهَا السَّفَافِيد، فَيَقُولُونَ: رَبنَا فيقول: ﴿**قد كُنْتُم تدعون إِلَى السُّجُود وَأَنْتُم سَالِمُونَ**﴾..."[2].

---

(1) "دودة تكون في أنف البعير والشاة"، الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، ت- حاتم صالح الضامن، 459/1، ط1(1412هـ - 1992م) ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(2) الدر المنثور، 654/14 – 657. أخرجه الحاكم، كتاب الأهوال، ح(8772) ، 641/4. قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

هذا الأثر يبين أن اليهود عبدوا عزيراً وهو ما يتبين من الأثر حيث جاء فيه "ثمَّ يتَمَثَّل الله لِلْخلق فيلقاهم فَلَيْسَ أحد من الْخلق يعبد من دون الله شَيْئاً إِلَّا هُوَ مُتبع لَهُ يتبعهُ، فَيلقى الْيَهُود فَيَقُول: مَا تَعْبدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نعْبد عُزَيْرًا"، والنصارى المسيح وهو ما يوضحه ما جاء في الأثر "ثمَّ يلقى النَّصَارَى فَيَقُولُونَ: مَا كُنْتُم تَعْبدُونَ؟ قَالُوا: الْمَسِيح"، ولقد أخرج البخاري ما يدل على ذلك فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ، قَالُوا: لاَ، قَالَ: وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، وَغُبَّرَاتُ أَهْلِ الكِتَابِ فَيُدْعَى اليَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الأَوَّلِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا) (1).

ثالثاً: الآثار الواردة في عبادتهم الأحبار والرهبان

الآثار الواردة عند هذه الآية تبين اتخاذ اليهود أحبارهم أرباباً من دون الله في التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ التوبة{31}، وهو ما يمكن بيانه في الآثار الآتية:

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) النساء{40}، ح(4581) ، 44/6.

"أخرج ابْن سعد، وَعبد بن حميد، وَالتِّرْمِذِيّ وَحسنه، وَابْن الْمُنْذر، وَابْــن أبــي حَــاتِم، وَالطَّبَرَانِي، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مردَوَيْه، وَالْبَيْهَقِيّ فِي سنَنه، عَن عدي بن حَاتِم رَضِي الله عَنــهُ قَالَ: أتيت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ يقْرَأ فِي سُورَة بَرَاءَة: ﴿اتَّخذُوا أَحْبَارهم وَرُهْبَانهمْ أَرْبَابًا من دون الله﴾ فَقَالَ: أما إنهم لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكنهُمْ كَانُوا إِذا أحلُّوا لَهُم شَيْئاً استَحلُّوهُ، وَإِذا حرمُوا عَلَيْهِم شَيْئا حرمُوهُ"[1].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإِيمان، عَن حُذَيْفَة رَضِي الله عَنــهُ: ﴿اتَّخذُوا أَحْبَارهم وَرُهْبَانهمْ﴾ قَالَ: أما أَنهم لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكنهُمْ أطاعوهم فِي مَعْصِيّة الله"[2].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنــهُ: ﴿اتَّخذُوا أَحْبَارهم﴾: الْيَهُــود ﴿وَرُهْبَانهمْ﴾: النَّصَارَى ﴿وَمَا أمروا﴾ فِي الْكتاب الَّذِي أَتَاهُم وعهد إِلَيْهِم ﴿إِلَّا ليعبدوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَه إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يشركُونَ﴾ سبح نَفسه أَن يُقَال عَلَيْهِ الْبُهْتَان"[3].

إن من ادعى حق التحريم والتحليل كما فعل أحبار اليهود ورهبان النصارى، فقد نصب نفسه إلهاً من دون الله، ومن سمع وأطاع لهم من الناس فكأنما عبدهم من دون الله، مع أنــه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فحق التحريم والتحليل والتشريع هو لله سبحانه وتعالى، يقول صالح الفوزان: "ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم وتشريع الأحكام، التي يسير عليها العباد في عبادتهم ومعاملاتهم وسائر شئونُهم، والتي تفصل النزاع بينهم، وتنهي الخصومات، حــقٌ لله تعالى رب الناس وخالق الخلق: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾الأعــراف{54}، وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرعّ لهم، وبحكم عبوديتهم له يقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾النــساء{59}، وقــال

---

(1) الدر المنثور، 323/7. أخرجه الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ح(3095) ، 278/5. قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقال عنه الألباني: حسن، وقد فسر الألباني اختلاف الترمــذي في الحديث بقوله حسن، ثم غريب، من جهتين، الأول: أن التحسين زيادة من الدر المنثور وغيره، الثاني: من أجل الشاهد الذي يرويه أبو البختري انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقههــا وفوائــدها، الألباني، 864/7، 865، ط1(1422هــ – 2002م) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
(2) الدر المنثور، 323/7، 324.
(3) المصدر السابق، 324/7.

تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾الشورى{10}، واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مُشرّعاً غيره فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾الشورى{21}، فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله فقد أشرك بالله تعالى"[1].

ويقول محمد رشيد رضا في بيان الشرك المتعلق بالربوبية فيقول هو: "إسناد الخلق والتدبير إلى غيره معه، أو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره، أي: غير كتابه ووحيه الذي بلغه عنه رسله"[2]

لذلك يجب إفراد الله سبحانه وتعالى بالطاعة، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾يوسف{40}.

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾القصص{70}.

ويقول ابن تيمية: "فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده"[3].

---

(1) كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، 71، 72، ط4(1423هـ) ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(2) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا، 45/2، بدون رقم طبعة، (1990) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(3) مجموع الفتاوى، 91/3.

المبحث الثاني

الآثار الواردة في الإيمان بالملائكة عند اليهود

لقد افترى اليهود على الملائكة افتراءات عدة، منها قولهم هـم ومـشركي العـرب أن الملائكة بنات الله، ثم زعموا أن جبريل عليه السلام هو عدوهم من الملائكة، ولقد ذكر السيوطي مجموعة من الآثار التي تبين موقف اليهود من الملائكة عن موقف اليهود من الملائكة متمـثلاً بما قالوه ونسبوه إليهم، وسيكون الحديث منتظماً في مطلبين.

المطلب الأول: زعمهم أن الملائكة بنات الله

الآثار الواردة في زعم اليهود أن الملائكة بنات الله ذكرها السيوطي تحت عدد من الآيات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ الأنبياء{26}، وهـو يمكن بيانه في الآتي:

"أخرج ابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَت الْيَهُود: إِن الله عز وَجل صاهر الْجِنّ فَكَانَت بَينهم الْمَلَائِكَة، فقال الله لهم تكذيباً: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ أي الملائكة، ليس كما قالوا..."[1].

قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ الزخرف{19}.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ: ﴿**وَجعلُوا الْمَلَائِكَة الَّذين هم عباد الرَّحْمَن إِنَاثًا**﴾ قَالَ: قد قَالَ ذَلِك أنَاس من النَّاس وَلَا نعلمهُمْ إِلَّا الْيَهُود: أن الله عز وَجل صاهر الْجِنّ فَخرجت من بنيه الْمَلَائِكَة"[2].

قال تعالى: ﴿**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا**﴾ الإسراء{40}.

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**وَاتخذ من الْمَلَائِكَة إِنَاثًا**﴾ قَالَت الْيَهُود: الْمَلَائِكَة بَنَات الْحق..."[3].

(1) الدر المنثور، 283/10.
(2) المصدر السابق، 194/13، 195.
(3) المصدر السابق، 349/9.

لقد اشترك في قول اليهود أن الملائكة بنات الله مشركي العرب، ويغلب نسبة قول الجن بنات الله من مشركي العرب أكثر من اليهود، فقد جاء في الأثر عند السيوطي عن "آدم بن أبي إِيَاس، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإِيمان عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿وَجعلُوا بَينه وَبَين الْجِنَّة نسباً﴾ الصافات{158}، قَالَ: قَالَ كفار قُرَيْش الْمَلَائِكَة بَنَات الله..."[1].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن السّديّ فِي قَوْله: ﴿وخرقوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَات﴾ الأنعام{100}، قَالَ: قَالَت الْعَرَب: الْمَلَائِكَة بَنَات الله وَقَالَت الْيَهُود وَالنَّصَارَى: الْمَسِيح وعُزير ابْنا الله"[2].

والله سبحانه وتعالى رد عليهم من خلال القرآن:

1-قال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ الإسراء{40}.

"الْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ لِلْإِنْكَارِ، وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَفَخَصَّكُمْ رَبُّكُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ وَالصَّفَاءِ بِأَفْضَلِ الْأَوْلَادِ وَهُمُ الْبَنُونَ، لَمْ يَجْعَلْ فِيهِمْ نَصِيبًا لِنَفْسِهِ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أَدْوَنَهُمْ وَهِيَ الْبَنَاتُ، وَهَذَا خِلَافُ الْمَعْقُولِ وَالْعَادَةِ، فَإِنَّ السَّادَةَ لَا يُؤْثِرُونَ عَبِيدَهُمْ بِأَجْوَدِ الْأَشْيَاءِ وَأَصْفَاهَا مِنَ الشَّوْبِ، وَيَتَّخِذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَرْدَأَهَا وَأَدْوَنَهَا، فَلَوْ كَانَ جَلَّ وَعَلَا مُتَّخِذًا وَلَدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا لَاتَّخَذَ أَجْوَدَ النَّصِيبَيْنِ وَلَمْ يَتَّخِذْ أَرْدَأَهُمَا، وَلَمْ يَصْطَفِكُمْ دُونَ نَفْسِهِ بِأَفْضَلِهِمَا، وَهَذَا الْإِنْكَارُ مُتَوَجِّهٌ عَلَى الْكُفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَقَدْ جَعَلُوا لَهُ الْأَوْلَادَ، وَمَعَ ذَلِكَ جَعَلُوا لَهُ أَضْعَفَهَا وَأَرْدَأَهَا وَهُوَ الْإِنَاثُ، وَهُمْ لَا يَرْضَوْنَهَا لِأَنْفُسِهِمْ"[3].

2-قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الأنبياء{26}.

لقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية مكانة وحقيقة الملائكة بقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ في منازل علية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولاً وعملاً[4].

---

(1) الدر المنثور، 484/12.
(2) المصدر السابق، 160/6.
(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، 157/3، بدون رقم طبعة، (1415هـ - 1995م) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان.
(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، 338/5.

3- قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ* أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ* وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الصافات{149 - 152}.

تبين الآية الكريمة عدة أنواع من الكفر، والتي ارتكبها من زعم أن الملائكة بنات الله يبين ذلك الزمخشري بقوله: "ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر، أحدها: التجسيم، لأن الولادة مختصة بالأجسام والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، كما قال وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصامِ غَيْرُ مُبِينٍ، والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم..."[1].

4-قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات{158، 159}.

أكثر أهل التفسير على أن الجنة هم الملائكة حيث ذكر ذلك القرطبي في تفسيره، ولقد بين الله كذب الذين زعموا أن الملائكة بنات الله بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

5-قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف{19}.

الهمزة في قوله أشهدوا خلقهم للتهكم بكل من زعم أن الملائكة بنات الله، وذلك لأنهم لم يستندوا في قولهم إلى علم، وهذه الشهادة التي شهدوا بها على الملائكة بأنوثتهم ستكتب عليهم وهذا وعيد من الله لهم[3].

6- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى* وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ النجم{27، 28}.

(1) الكشاف، 63/4.
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، 134/15.
(3) انظر: الكشاف، 4 ،244.

وفي صحيح البخاري، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) (1).

صبر الله في الحديث الشريف بمعنى الحلم وحبس العقوبة عن مستحقها، حيث يقول العيني: "وَإِطْلَاق الصَّبْر على الله بِمَعْنى الْحلم يَعْنِي حبس الْعقُوبَة عَن مستحقها إِلَى زمن آخر وتأخيرها"(2).

ويقول ابن تيمية في نطاق رده على مشركي العرب والذي يصلح أن يكون رداً على اليهود أيضاً: "وَأَمَّا الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ مِنْ الْعَرَبِ: إنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ وَمَا نُقِلَ عَنْهُمْ مِنْ أَنَّهُ صَاهَرَ الْجِنَّ فَوَلَدَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةَ فَقَدْ نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُ بِامْتِنَاعِ الصَّاحِبَةِ وَبِامْتِنَاعِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ جُزْءٌ فَإِنَّهُ صَمَدٌ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾، وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الْوِلَادَةَ لَا تَكُونُ إلَّا مِنْ أَصْلَيْنِ سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ تَوَلُّدُ الْأَعْيَانِ الَّتِي تُسَمَّى الْجَوَاهِرَ وَتَوَلُّدُ الْأَعْرَاضِ وَالصِّفَاتِ بَلْ وَلَا يَكُونُ تَوَلُّدُ الْأَعْيَانِ إلَّا بِانْفِصَالِ جُزْءٍ مِنْ الْوَالِدِ فَإِذَا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَقَدْ عَلِمُوا كُلُّهُمْ أَنْ لَا صَاحِبَةَ لَهُ لَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَلَا مِنْ الْجِنِّ وَلَا مِنْ الْإِنْسِ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ لَهُ صَاحِبَةً فَلِهَذَا احْتَجَّ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ"(3).

والردود التي سردناها في نفي الولد عن الله يحتج بها أيضاً في هذه المسألة(4).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، ح(6099) ، 25/8.
(2) عمدة القاري، 155/22.
(3) مجموع الفتاوى، 272/17.
(4) انظر: 145-149 من البحث.

المطلب الثاني: عداوتهم لجبريل عليه السلام وسببها

لقد عادى اليهود جبريل عليه السلام؛ لأنه ينزل بالعذاب والهلاك والنقمة بحسب زعمهم، وسالموا ميكائيل عليه السلام؛ لأنهم يقولون ينزل بالرحمة والقطر لذلك فهم صاحبهم، وفي هذا المطلب سنبين موقفهم المعادي لجبريل عليه السلام من خلال النقاط التالية.

أولاً: الآثار الواردة في عداوتهم لجبريل عليه السلام

لقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ البقرة{97}، وهو ما يمكن بيانه في الآثار الآتية:

"أخرج الطَّيَالِسِيّ، وَالْفِرْيَابِي، وَأحمد، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، وَأَبُو نعيم، وَالْبَيْهَقِيّ ﷺ كِلَاهُمَا فِي الدَّلَائِل عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: حضرت عِصَابَة من الْيَهُود نَبِي الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِم حَدثنَا عَن خلال نَسْأَلك عَنْهُن لَا يعلمهُنَّ إِلَّا نَبِي، قَالَ: سلوني عَمَّا شِئْتُم...، قَالُوا: أَنْت الْآن فحدثنا من وليك من الْمَلَائِكَة فَعندهَا نتابعك أَو نُفَارِقك، قَالَ: وليي جِبْرِيل وَلم يبْعَث الله نَبيا قطّ إِلَّا وَهُوَ وليه، قَالُوا: فَعندهَا نُفَارِقك لَو كَانَ وليك سواهُ من الْمَلَائِكَة لاتبعناك وَصدقناك، قَالَ: فَمَا يمنعكم أَن تُصَدِّقُوهُ قَالُوا: هُوَ عدونا، فَأنْزل الله تَعَالَى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ البقرة {101}، فَعِنْدَ ذَلِك باؤوا بغضب على غضب"[1].

"وَأخرج ابْن أبي شيبَة، وَأحمد، وَعبد بن حميد، وَالْبُخَارِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَأَبُو يعلى، وَابْن حبَان ﷺ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن أنس قَالَ: سمع عبد الله بن سَلام بمقدم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ بِأَرْض يخْتَرف[2]؛ فَأتى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ: إِنِّي سَائِلك عَن ثَلَاث لَا يعلمهُنَّ إِلَّا نَبِي، مَا أول أَشْرَاط السَّاعَة؟ وَمَا أول طَعَام أهل الْجنَّة؟ وَمَا ينْزع الْوَلَد إِلَى أَبِيه أَو إِلَى أمه؟ قَالَ: أَخْبرنِي جِبْرِيل بِهن آنِفا، قَالَ: جِبْرِيل؟ قَالَ: نعم، قَالَ: ذَاك عَدو الْيَهُود من الْمَلَائِكَة، فَقَرَأَ هَذِه الْآيَة ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَه عَلَى قَلْبِكَ**﴾ قَالَ: أما أول أَشْرَاط السَّاعَة فَنَار تخرج من الْمشرق فتحشر النَّاس إِلَى الْمغرب، وَأما أول مَا يَأْكُل أهل الْجنَّة فَزِيَادَة

---

(1) الدر المنثور، 475/1 – 477. أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، ح(2471) ، 277/4، ح(2524) ، 310/4 – 312، بنفس اللفظ، وقال الألباني: صحيح.

(2) خرف الثمار أي: جناها، انظر: تاج العروس، 186/23.

كبد حوت، وَأما مَا ينْزع الْوَلَد إِلَى أَبِيه وَأمه فَإِذا سبق مَاء الرجل مَاء الْمَرْأَة نزع إِلَيْهِ الْوَلَد، وَإِذا سبق مَاء الْمَرْأَة مَاء الرجل نزع إِلَيْهَا قَالَ: أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَنَّك رَسُول الله"[1].

هذه الآثار التي وردت في تفسير السيوطي تبين عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، وقد ذكر الطبري إجماع المفسرين على أن آية: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَه عَلَى قَلْبِكَ ﴾ أنها نزلت في اليهود حيث يقول: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدوٌ لهم، وأن ميكائيل ولي لهم"[2].

ويعلق محمد الطاهر صاحب تفسير التحرير والتنوير على عدواتهم لجبريل عليه السلام فيقول: "وَمِنْ عَجِيبِ تَهَافُتِ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ أَنَّهُ مَلَكٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ وَيُبْغِضُونَهُ، وَهَذَا مِنْ أَحَطِّ دَرَكَاتِ الِانْحِطَاطِ فِي الْعَقْلِ وَالْعَقِيدَةِ وَلَا شَكَّ أَنَّ اضْطِرَابَ الْعَقِيدَةِ مِنْ أَكْبَرِ مَظَاهِرِ انْحِطَاطِ الْأمة لِأَنَّهُ ينبىء عَن تظاهر آرَائِهِمْ عَلَى الْخَطَأِ وَالْأَوْهَام"[3].

ثانياً: سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام

"أخرج ابْن أبي شيبَة فِي المُصَنّف، وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه فِي مُسْنده، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن الشّعبِيّ ﷺقَالَ: نزل عمر رَضِي الله عَنهُ بِالرَّوْحَاءِ[4] فَرَأى نَاساً يبتدرون أحجاراً، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: يَقُولُونَ: إن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم صلى إِلَى هَذِه الْأَحْجَار، فَقَالَ: سُبْحَانَ الله، مَا كَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إلاَّ رَاكِبًا، مر بواد فَحَضَرت الصَّلَاة فصلَّى، ثمَّ حدث فَقَالَ: إِنِّي كنت أغشى الْيَهُود يَوْم دراستهم، فَقَالُوا: مَا من أَصْحَابك أحد أكْرم علينا مِنْك، لِأَنَّك تَأْتِينَا قلت: وَمَا ذَاك إِلَّا أَنِّي أعجب من كتب الله كَيفَ يصدق بَعْضهَا بَعْضًا، كَيفَ تصدق التَّوْرَاة الفرقان، وَالْفرْقَان التَّوْرَاة، فَمر بِي النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْمًا وَأَنا أكلمهم فَقلت: أنْشدكُمْ بِاللَّه وَمَا تقرؤون من كِتَابه أتعلمون أَنه رَسُول الله قَالُوا: نعم، فَقلت: هلكتم

---

(1) الدر المنثور، 481/1. أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ح(3329) ، 132/4. وأخرجه أيضاً في كتاب المناقب، ح(3938) ، 69/5. وأخرجه في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (من كان عدواً لجبريل) ، ح(4480) ، 19/6.

(2) جامع البيان، 377/2.

(3) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، 621/1، بدون رقم طبعة، (1984م) ، الدار التونسية للنشر، تونس.

(4) "بينها وبين مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة وثلاثون ميلاً"، تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت- شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، 132/3،بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وَالله تعلمُونَ أَنه رَسُول الله ثمَّ لَا تتبعونه، فَقَالُوا: لم نهلك وَلَكِن سألناه من يَأْتِيهِ بنبوّته، فَقَالَ: عدوّنا جِبْرِيل؛ لِأَنَّهُ ينزل بالغلظة والشدة وَالْحَرب والهلاك وَنَحْو هَذَا، فَقلت: فَمن سلمكم من الْمَلَائِكَة؟ فَقَالُوا: مِيكَائِيل ينزل بالقطر وَالرَّحْمَة وَكَذَا قلت: وَكَيف منزلتهما من ربهما؟ فَقَالُوا: أَحدهمَا عَن يَمِينه وَالْآخر من الْجَانِب الآخر، قلت: فَإِنَّهُ لَا يحل لجبريل أَن يعادي مِيكَائِيل، وَلَا يحل لميكائيل أَن يسالم عدوّ جِبْرِيل، وَإِنِّي أشهد أَنَّهُمَا وربهما سلم لمن سالموا، وَحرب لمن حَاربُوا، ثمَّ أتيت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَنا أُرِيد أَن أخبرهُ فَلَمَّا لَقيته قَالَ: أَلا أخْبرك بآيَات أنزلت عليّ قلت: بلَى يَا رَسُول الله فَقَرَأَ: ﴿**من كَانَ عدواً لجبريل**﴾ حَتَّى بلغ: ﴿**الْكَافرين**﴾ قلت: وَالله يَا رَسُول الله مَا قُمْت من عِنْد الْيَهُود إِلَّا إِلَيْك لأخبرك بِمَا قَالُوا إِلَيّ وَقلت لَهُم فَوجدت الله قد سبقني"(1).

"وَأخرج سُفْيَان بن عُيَيْنَة، عَن عِكْرِمَة، قَالَ: كَانَ عمر يَأْتِي يهود يكلمهم فَقَالُوا: إِنَّه لَيْسَ من أَصْحَابك أحد أَكثر إتياناً إِلَيْنَا مِنْك، فَأخْبرنَا من صَاحب صَاحبك الَّذِي يَأْتِيهِ بِالْوَحْي؟ فَقَالَ: جِبْرِيل، قَالُوا: ذَاك عدونا من الْمَلَائِكَة، وَلَو أَن صَاحبه صَاحب صاحبنا لاتبعناه، فَقَالَ عمر: وَمن صَاحب صَاحبكُم؟ قَالُوا: مِيكَائِيل، قَالَ: وَمَا هما؟ قَالُوا: أما جِبْرِيل فينزل بِالْعَذَابِ والنقمة، وَأما مِيكَائِيل فَينزل بالغيث وَالرَّحْمَة، وَأَحَدهمَا عَدو لصَاحبه، فَقَالَ عمر: وَمَا منزلتهما؟ قَالُوا: إنَّهُمَا من أقرب الْمَلَائِكَة مِنْهُ أَحدهمَا عَن يَمِينه وكلتا يَدَيْهِ يَمِين، وَالْآخر على الشق الآخر فَقَالَ عمر: لَئِن كَانَا كَمَا تَقولُونَ مَا هما بعدوّين، ثمَّ خرج من عِنْدهم فَمر بِالنَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَدَعَاهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿**من كَانَ عدواً لجبريل**﴾ الْآيَة، فَقَالَ عمر: وَالَّذِي بَعثك بِالْحَقِّ أَنه الَّذِي خاصمتهم بِهِ آنِفا"(2).

وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ قَالَ: لما كَانَ لعمر أَرض بِأَعْلَى الْمَدِينَة يَأْتِيهَا وَكَانَ مَمَره على مدارس الْيَهُود، وَكَانَ كلما مر دخل عَلَيْهِم، فَسمع مِنْهُم وَإنَّهُ دخل عَلَيْهِم ذَات يَوْم فَقَالَ لَهُم: أنْشدكُمْ بالرحمن الَّذِي أنزل التَّوْرَاة على مُوسَى بطور سيناء أتجدون مُحَمَّدًا عنْدكُمْ؟ قَالُوا: نعم إِنَّا نجده مَكْتُوبًا عندنَا وَلَكِن صَاحبه من الْمَلَائِكَة الَّذِي يَأْتِيهِ بِالْوَحْي جِبْرِيل، وَجِبْرِيل عدونا، وَهُوَ صَاحب كل عَذَاب وقتال وَخسف وَلَو كَانَ وليه مِيكَائِيل لآمَنَّا بِهِ فَإِن مِيكَائِيل صَاحب كل رَحْمَة وكل غيث، قَالَ عمر: فَأَيْنَ مَكَان جِبْرِيل من الله؟ قَالُوا: جِبْرِيل عَن يَمِينه وَمِيكَائِيل عَن يسَاره، قَالَ عمر: فأشهدكم أَن الَّذِي عدوّ للَّذي عَن يَمِينه عدوّ للَّذي هُوَ عَن يسَاره، وَالَّذِي عَدو للَّذي عَن يسَاره عدوّ للَّذي هُوَ عَن يَمِينه، وَأَنه من كَانَ عدوّهما فَإِنَّهُ عدوّ لله، ثمَّ رَجَعَ عمر ليخبر النَّبِي

(1) الدر المنثور، 477/1، 478. قال السيوطي: صَحِيح الإسناد وَلَكِن الشّعبيّ لم يدْرك عمر.

(2) المصدر السابق، 478/1، 479.

صلى الله عَلَيْهِ وَسلمَ، فَوجدَ جِبْرِيل قد سبقه بِالْوَحْي فَدَعَاهُ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَرَأَ: ﴿من كَانَ عدواً لجبريل﴾ الْآيَة، فَقَالَ عمر: وَالَّذِي بَعثك بِالْحَقِّ لقد جِئْت وَمَا أُرِيد إِلَّا أَن أخْبرك"(1).

يتضح من الآثار السابقة سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام، وهو زعمهم أنه ينزل بالغلظة والشدة وَالْحَرب والهلاك والنقمة، وأنه صاحب كل عذاب وقتال وخسف، ويتضح من الآثار أيضاً موقفهم من ميكائيل عليه السلام فهو صاحبهم وسلمهم لأنه ينزل بالقطر وَالرَّحْمَة وهو صاحب كل رحمة وكل غيث.

ولقد رد عليهم المولى سبحانه وتعالى بذكر اسم جبريل عليه السلام الذي يزعمون أنه عدوهم، واسم ميكائيل عليه السلام الذي يزعمون أنه وليهم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة{98}.

يقول الطبري: "وهذا خبر من الله جل ثناؤه من كان عدواً لله، من عاداه، وعادى جميع ملائكته ورسله، وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل، وعادى جميع ملائكته ورسله، لأن الذين سماهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته، ومن عادى لله ولياً فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته، لأن العدو لله عدو لأوليائه، والعدو لأولياء الله عدو له، فكذلك قال لليهود، الذين قالوا: إن جبريل عدونا من الملائكة، وميكائيل ولينا منهم: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله، فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدواً لجبريل، فهو لكل من ذكره من ملائكته ورسله وميكال عدو، وكذلك عدو بعض رسل الله، عدو لله ولكل ولي"(2).

ويعلق الطبري على تخصيص ذكر اسم جبريل وميكائيل فقط مع أنهم من الملائكة فيقول: "فإن قال قائل أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة؟ قيل: بلى، فإن قال: فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما، وقد مضى ذكرهما في الآية في جملة أسماء الملائكة؟ قيل: معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما، أن اليهود لما قالت: جبريل عدونا، وميكائيل ولينا، وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، من أجل أن جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم، أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدواً، فإن الله له عدو، وأنه من الكافرين، فنص عليه باسمه وعلى ميكائيل

(1) الدر المنثور، 480/1.

(2) جامع البيان، 394/2.

باسمه، لئلا يقول منهم قائل: إنما قال الله: من كان عدواً لله وملائكته ورسله، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداء، لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصاً، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه، وكذلك قوله: (ورسله)، فلست يا محمد داخلاً فيهم، فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم، ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم، ويحسم تمويههم أمورهم على المنافقين"[1].

وأما العبرة من إظهار اسم الله في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَّ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة{98}، فيقول الزمخشري: "عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ أراد عدوّ لهم فجاء بالظاهر، ليدل على أنّ اللَّه إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر"[2].

(1) جامع البيان، 395/2، 396.
(2) الكشاف، 170/1.

المبحث الثالث

الآثار الواردة في الإيمان بالكتب عند اليهود

اليهود هم أهل كتاب، فقد نزلت عليهم التوراة، ولهم موقف من الكتب الأخرى، حتى من التوراة، وسأبين في هذا المبحث موقف اليهود منها، وذلك في أربعة مطالب.

المطلب الأول: إنكارهم نزول كتب من عند الله

ورد عند السيوطي في تفسيره آثار تبين إنكار اليهود للقرآن الكريم والكتب الأخرى المنزلة من عند الله، وفي هذا المطلب سندرسها ونبين الصواب فيها؛ لأن اليهود كما هو معروف أهل كتاب، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: الآثار الواردة في إنكارهم القرآن الكريم

لقد ذكر السيوطي ت عدداً من الآثار التي تبين إنكار اليهود للقرآن الكريم وللكتب الأخرى، عند قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ الأنعام{91}، وهو ما يمكن بيانه في الآتي:

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن السّديّ ﷺفِي قَوْله: ﴿**إِذْ قَالُوا مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ قَالَ: قَالَ فنحَاص الْيَهُودِيّ: مَا أنزل الله على مُحَمَّد من شَيْء"(1).

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن مُحَمَّد بن كَعْب الْقرظِيّ ﷺ قَالَ: أَمر الله مُحَمَّدًا أَن يسْأَل أهل الْكتاب عَن أمره، وَكَيف يجدونه فِي كتبهمْ، فحملهم حسدهم أَن يكفروا بِكِتَاب الله وَرُسُله، فَقَالُوا: ﴿**مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ فَأنْزل الله: ﴿**وَمَا قدرُوا الله حق قدره**﴾ الْآيَة..."(2).

توضح الآثار السابقة إنكار اليهود للقرآن الكريم وذلك بنفيهم نزوله من عند الله، ومن ذلك قولهم كما جاء في الآثار ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من شيء، وسبب هذا الإنكار كما توضح الآثار الحسد، فقد حملهم حسدهم على أن يكفروا بكتاب الله ورسله.

---

(1) الدر المنثور، 126/6.

(2) المصدر السابق، 127/6.

ثانياً: الآثار الواردة في إنكارهم الكتب بشكل عام

"أخرج ابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿**وَمَا قدرُوا الله حق قدره**﴾ قَالَ: هم الْكفَّار الَّذين لم يُؤمنُوا بقدرة الله عَلَيْهِم فَمن آمن أَن الله على كل شَيْء قدير فقد قدر الله حق قدره وَمن لم يُؤمن بذلك فَلم يُؤمن بِاللَّه حق قدره: ﴿**إِذْ قَالُوا مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ يَعْنِي من بني إِسْرَائِيل قَالَت الْيَهُود: يَا مُحَمَّد أنزل الله عَلَيْك كتاباً؟ قَالَ: نعم قَالُوا: وَالله مَا أنزل الله من السَّمَاء كتاباً فَأنْزل الله: ﴿**قل**﴾ يَا مُحَمَّد، ﴿**من أنزل الْكتاب الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نوراً وَهدى للنَّاس**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**وَلَا آبَاؤُكم**﴾ قل: الله أنزلهُ"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عن مُحَمَّد بن كَعْب الْقرظِيّ﷜، قَالَ: جَاءَ نَاس من يهود إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَهُوَ محتب فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِم، أَلا تَأْتِينَا بِكِتَاب من السَّمَاء، كَمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى ألواحاً؟ فَأنْزل الله تَعَالَى: ﴿**يَسْأَلك أهل الْكتاب أَن تنزل عَلَيْهِم كتاباً من السَّمَاء**﴾ الْآيَة، النساء{153}، فَجَثَا رجل من الْيَهُود فَقَالَ: مَا أنزل الله عَلَيْك، وَلَا على مُوسَى، وَلَا على عِيسَى، وَلَا على أحد شَيْئاً، فَأنْزل الله: ﴿**وَمَا قدرُوا الله حق قدره**﴾ الْآيَة"[2].

الآثار السابقة توضح موقف اليهود من الكتب السماوية بشكل عام، والموقف الذي يتضح من الآثار إنكار اليهود في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نزول كتب سماوية من عند الله، وهذا ما يؤيده أثر ابن عباس حيث أنه أثر حسن، وما ذكره السيوطي أيضاً عن "أَبُو الشَّيْخ، عَن الْكَلْبِيّ قَالَ: نزلت الْأَنْعَام كلهَا بِمَكَّة، إِلَّا آيَتَيْنِ نزلتا بِالْمَدِينَةِ فِي رجل من الْيَهُود، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: ﴿**مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ الْآيَة، الْأَنْعَام{91}"[3].

ولقد بين السيوطي في أثر آخر من هو الرجل اليهودي الذي نزلت فيه الآية السابقة حيث ذكر عن "أَبُو الشَّيْخ، عَن سُفْيَان قَالَ: نزلت الْأَنْعَام كلهَا بِمَكَّة إِلَّا آيَتَيْنِ نزلتا بِالْمَدِينَةِ فِي رجل من الْيَهُود، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: ﴿**مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ الْآيَة، الْأَنْعَام{91}، وَهُوَ فنحَاص الْيَهُودِيّ، أَو مَالك بن الصَّيف"[4].

---

(1) الدر المنثور، 125/6، 126. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 256/2.
(2) الدر المنثور، 127/6.
(3) المصدر السابق، 9/6.
(4) المصدر السابق، 9/6.

ومما ينبغي ذكره أن أهل التفسير لم يجمعوا على أن هذه الآية نزلت في اليهود، فمنهم من روى أنها نزلت في كفار قريش، يقول ابن كثير موضحاً الموقف: "وَمَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، إِذْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ: نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَقِيلَ: فِي فِنْحَاصَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَقِيلَ: فِي مَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ ﴿**قَالُوا مَا أَنزلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَظْهَرُ، لِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وَالْيَهُودُ لَا يُنْكِرُونَ إِنْزَالَ الْكُتُبِ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ قَاطِبَةً كَانُوا يُبْعِدُونَ إِرْسَالَ رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يونس{2}،... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ**﴾؟ أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ لِإِنْزَالِ شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فِي جَوَابِ سَلْبِهِمُ الْعَامِّ بِإِثْبَاتِ قَضِيَّةٍ جُزْئِيَّةٍ مُوجِبَةٍ: ﴿**مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى**﴾ يَعْنِي: التَّوْرَاةَ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمْ وَكُلُّ أَحَدٍ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ، أَيْ: لِيُسْتَضَاءَ بِهَا فِي كَشْفِ الْمُشْكِلَاتِ، وَيُهْتَدَى بِهَا مِنْ ظُلَمِ الشُّبُهَاتِ"[1].

والسيوطي رحمه الله ذكر من الآثار التي رواها أيضاً ما يؤيد قول أنها نزلت في كفار قريش، حيث ذكر عن "ابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿**وَمَا قدرُوا الله حق قدره إِذْ قَالُوا مَا أنزل الله على بشر من شَيْء**﴾ قَالَ: قَالَهَا مُشْرِكُو قُرَيْش".

ومن الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب من يقول أنها نزلت في كفار قريش قراءة من القراءات العشر وهي قوله تعالى: ﴿**قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ﴿يجعلونه﴾ قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً**﴾[2].

يقول سيد قطب: "فهي على هذه القراءة خبر عن اليهود وليست خطاباً لهم، وسياق الآية كله عن المشركين"[3]، ويقول الطبري: "والأصوب من القراءة في قوله: ﴿**يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ**

---

(1) تفسير القرآن العظيم، 300/3.

(2) انظر: التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت- أوتو تريزل، 105، ط2(1404هـ - 1984) ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(3) في ظلال القرآن، 1021/2.

﴿يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى: أنّ اليهود يجعلونــه قــراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا، ويكون الخطاب بقوله: ﴿قل من أنزل الكتاب﴾، لمشركي قريش"[1].

ويعلق الطبري في نهاية حديثه مرجحاً أنها نزلت في كفار قريش، ولم تنزل في اليهود لأنهم لا ينكرون نزول الكتب حيث يقول: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قــال: عني بقوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾، مشركو قريش، وذلك أن ذلك في سياق الخبر عــنهم أولاً، فأن يكون ذلك أيضًا خبرًا عنهم، أشبهُ من أن يكون خبرًا عن اليهود، ولما يجر لهم ذكــرٌ يكون هذا به متصلاً، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئًا من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود؛ بل المعروف من دين اليهــود: الإقرار بصُحُف إبراهيم وموسى، وزبور داود"[2].

---

(1) جامع البيان، 525/11.
(2) المصدر السابق، 524/11.

المطلب الثاني: موقفهم من التوراة

التوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، وقد كان لليهود موقف من التوراة التي أنزلت عليهم، تجلى هذا الموقف من خلال تحريف التوراة، ومتاجرتهم بها، وكتمان ما فيها من الحق في شأن محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما يمكن بيانه في النقاط التالية:

أولاً: الآثار الواردة في تحريف التوراة

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية وغيرها من الآيات التي سأذكرها مجموعة من الآثار التي تبين تحريف اليهود للتوراة، قال تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾البقرة{75}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

"وَأخرج عبد بن حميد،وَابْن جرير، عَن مُجَاهِد ﷺفِي قَوْله:﴿**أفتطمعون أَن يُؤمنُوا لكم**﴾ الْآيَة قَالَ: فَالَّذِينَ يحرفونه وَالَّذين يكتبونه هم الْعلمَاء مِنْهُم، وَالَّذين نبذوا كتاب الله وَرَاء ظُهُورهمْ هَؤُلَاءِ كلهم يهود"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ فِي قَوْله: ﴿**يسمعُونَ كَلَام الله**﴾ قَالَ: هِيَ التَّوْرَاة، حرفوها"[2].

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾آل عمران{78}.

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم،من طَرِيق الْعَوْفِيّ،عَن ابْن عَبَّاس﵄ فِي قَوْله: ﴿**وَإِن مِنْهُم لفريقاً يلوون ألسنتهم بِالْكتاب**﴾ قَالَ:هم الْيَهُود، كَانُوا يزِيدُونَ فِي كتاب الله مَا لم ينزل الله"[3].

"وَأخرج الْفرْيَابِيّ، وَعبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد: ﴿**يلوون ألسنتهم بِالْكتاب**﴾ قَالَ: يحرّفونه"[4].

---

(1) الدر المنثور، 428/1. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 178/1.

(2) الدر المنثور، 428/1.

(3) المصدر السابق، 641/3.

(4) المصدر السابق، 641/3. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 429/1.

قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾النساء{46}.

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، من طَرِيق عَليّ، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ يَعْنِي: يحرفُونَ حُدُود الله فِي التَّوْرَاة"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد ﷺفِي قَوْله: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ قَالَ: تَبْدِيل الْيَهُود التَّوْرَاة..."[2].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن زيد ﷺفِي قَوْله: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ قَالَ: لَا يضعونه على مَا أنزلهُ الله"[3].

القرآن الكريم والآثار السابقة يؤكدان تحريف اليهود للتوراة، وسنسرد أيضاً بعض الأدلة الأخرى التي تؤكد تحريف اليهود للتوراة وهي كالآتي[4] :

أ- انقطاع سند التوراة عن موسى عليه السلام، فليس لها سند متصل بموسى، يقول رحمت الله الهندي "لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرّد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه"[5].

ب- التناقض بين أسفار التوراة

ويدلل على هذه النقطة ما ورد في سفر التكوين عند غضب الله في عهد نوح على الإنسان فجعل أعمار البشر لا تتجاوز(120) سنة: "لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ

(1) الدر المنثور، 465/4. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 60/2.
(2) الدر المنثور، 465/4، 466.
(3) المصدر السابق، 466/4.
(4) انظر: للاطلاع أكثر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، ت- د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، 109/1- 540/2، ط1(1410هـ - 1989م) ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية. وانظر أيضاً: بنو إسرائيل، 74 – 77.
(5) إظهار الحق، 109/1.

بَشَرٌ .وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً"[1]، ثم جاء في نفس السفر ما يناقض ذلك: "هذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ، بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ وَعَاشَ سَامٌ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ خَمْسًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ شَالَحَ. وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ بَعْدَ مَا وَلَدَ شَالَحَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ"[2].

ففي الفقرة الأولى حدد عمر الإنسان ب (120) سنة، ثم في الفقرة الثانية ذكر أن من أبناء سام من عاش خمس مائة سنة، فيتضح من الفقرتين التناقض وهذا يدلل على تحريف التوراة، وصدق الله حين قال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾النساء{82}.

ج-الأخطاء التي ورد ذكرها في التوراة

ذكر الهندي في كتابه إظهار الحق ما يقارب من (110) خطأ وقعت في التوراة[3]، منها "في الآية الخامسة من الباب الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام هكذا بيت شوع بنت عمي إيل والصحيح بت شباع بنت اليعام"[4].

د- ذكر كثير من القصص التي تتنزه الكتب السماوية عن ذكرها

مثل القصص المنسوبة لله سبحانه من التعب والنوم، وقصص الأنبياء مثل قصة يعقوب ومصارعته مع الله كما وردت في سفر التكوين: "وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ بَعْدَ مَا وَلَدَ شَالَحَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ولَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ .فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ"[5].

هـ-ما اشتملت عليه بعض الأسفار من غزل ماجن يستحيل أن يكون هذا الكلام من عند الله، جاء في سفر نشيد الأناشيد: "ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى اجذبني وراءك فنجري أدخلني الملك إلى حجاله نبتهج

---

(1) سفر التكوين، 6: 3.
(2) سفر التكوين، 11: 10-13.
(3) انظر: إظهار الحق، 257/2 – 350..
(4) المصدر السابق، 263/2.
(5) سفر التكوين، 32: 24 – 28.

ونفرح بك نذكر حبك أكثر من الخمر بالحق يحبونك أنا سوداء و جميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان..."[1].

ثانياً: الآثار الواردة في متاجرة اليهود بالتوراة

لقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى عدداً من الآثار عند هذه الآية تبين متاجرة اليهود بالتوراة، قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾البقرة{79}، وهو ما يمكن بيانه في الآتي:

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن السّديّ فِي الْآيَة، قَالَ: كَانَ نَاس من الْيَهُود يَكْتُبُونَ كتاباً من عِنْدهم، ويبيعونه من الْعَرَب، ويحدثونهم أَنه من عِنْد الله، فَيَأْخُذُونَ ثمنا قَلِيلاً"[2].

"وَأخرج عبد الرَّزَّاق، وَابْن الْمُنْذر، واين أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة ﷺفِي الْآيَة قَالَ: كَانَ نَاس من بني إِسْرَائِيل كتبُوا كتاباً بِأَيْدِيهِم، ليتأكلوا النَّاس، فَقَالُوا: هَذِه من عِنْد الله، وَمَا هِيَ من عِنْد الله"[3].

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاسﷺ فِي قَوْله: ﴿**ليشتروا بِهِ ثمنا قَلِيلاً**﴾ قَالَ: عرضاً من عرض الدُّنْيَا..."[4].

الآيات والآثار السابقة تبين متاجرة اليهود بآيات الله تعالى، فآيات القرآن الكريم بينة واضحة تبين هذا الخلق المذموم عند اليهود، ولقد توعدهم القرآن بعذاب شديد في الآخرة قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾البقرة{79}.

مع أن الله سبحانه وتعالى أخذ عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس آيات الله قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾آل عمران{187}.

---

(1) سفر نشيد الأناشيد، 1: 2 – 5.

(2) الدر المنثور، 437/1.

(3) المصدر السابق، 437/1.

(4) الشخصية اليهودية، 222.

يقول صلاح الخالدي: "إن اليهود يتاجرون بالحق والخير، ويبيعون عهد الله وميثاقه وشرعه، فماذا لهم يوم القيامة؟ يجيبنا القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾آل عمران{77}"[1].

ويعقب الخالدي على هذا الخلق الذميم من اليهود فيقول: "ما أكثر غباءهم وما أبلغ خسارتهم، ويا لبئس تجارتهم، ويا لطول صبرهم على النار وعذابها الدائم!!"[2].

ثالثاً: الآثار الواردة في كتمان ما في التوراة من الحق

الآثار الواردة تحت الآية هذه الآية وغيرها تبين كتمان اليهود للحق الموجود في التوراة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾البقرة{174}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار التالية:

"أخرج ابْن جرير، عَن عِكْرِمَة فِي قَوْله: ﴿إِن الَّذين يكتمون مَا أنزل الله من الْكتاب﴾ وَالَّتِي فِي آل عمرَان ﴿إِن الَّذين يشْتَرُونَ بِعَهْد الله وَأَيْمَانهمْ ثمنا قَلِيلاً﴾آل عمران{77} نزلتا جَمِيعًا فِي يهود"[3].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن السّديّ فِي الْآيَة، قَالَ: كتموا اسْم مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأخذُوا عَلَيْهِ طَمَعاً قَلِيلاً"[4].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن أبي الْعَالِيَة فِي قَوْله: ﴿إِن الَّذين يكتمون مَا أنزل الله من الْكتاب﴾ قَالَ: أهل الْكتاب كتموا مَا أنزل الله عَلَيْهِم فِي كِتَابهمْ من الْحق وَالْهدى وَالإِسْلَام، وشأن مُحَمَّد ونعته، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُون فِي بطونهم إِلَّا النَّار﴾ يَقُول: مَا أخذُوا عَلَيْهِ من الْأجر فَهُوَ نَار فِي بطونهم"[5].

---

(1) الشخصية اليهودية، 222..
(2) المصدر السابق، 223.
(3) المصدر السابق، 134/2.
(4) الدر المنثور، 134/2.
(5) المصدر السابق، 134/2، 135.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾آل عمران{187}.

"أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن: ﴿ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ قَالَ: كتموا وَبَاعُوا، فَلم يبدوا شَيْئاً إِلَّا بِثمن"[1].

يتضح من الآثار السابقة كتمان اليهود للحق، والذي منه كتمان أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كتموا صفته التي وردت في التوراة، وكذلك صحة رسالته، يقول القرطبي: "كَتَمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِحَّةِ رِسَالَتِهِ"[2].

ولقد أخذ الله عليهم موثقاً أن يبنوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، والخطاب في هذه الآية موجه لليهود وغيرهم من أهل الكتاب، لكنهم نبذوا العهد والميثاق وراء ظهرهم، فتركوا أمر الله وضيعوه، وكذبوا في أمره صلى الله عليه وسلم[3].

ولقد كان سبب كتمانهم لأمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم دافعه حب الرياسة وبقاء المكانة والتعظيم لهم حيث بين ذلك ابن كثير بقوله: "فَكَتَمُوا ذَلِكَ لِئَلَّا تَذْهَبَ رِيَاسَتُهُمْ وَمَا كَانُوا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الْعَرَبِ مِنَ الْهَدَايَا وَالتُّحَفِ عَلَى تَعْظِيمِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَخَشُوا لَعَنَهُمُ اللَّهُ إِنْ أَظْهَرُوا ذَلِكَ أَنْ يَتَّبِعه النَّاسُ وَيَتْرُكُوهُمْ فَكَتَمُوا ذَلِكَ إِبْقَاءً عَلَى مَا كَانَ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ نزرٌ يَسِيرٌ، فَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ، وَاعْتَاضُوا عَنِ الْهُدَى وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَتَصْدِيقِ الرَّسُولِ وَالْإِيمَانِ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ النَّزْرِ الْيَسِيرِ، فَخَابُوا وَخَسِرُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[4].

وما قاله ابن كثير يؤكد ما ورد في الآثار أن كتمان اليهود لأمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن دافعه تصديق الرسالة المحمدية، وإنما كان لأهواء شخصية بدافع حب المناصب والرياسة وعلو المكانة الدنيوية.

---

(1) الدر المنثور، 170/4.
(2) الجامع لأحكام القرآن، 234/2.
(3) انظر: جامع البيان، 458/7، 459.
(4) تفسير القرآن العظيم، 483/1.

المطلب الثالث: موقفهم من الإنجيل

لم يقف أعداء الله اليهود عند كتابهم التوراة ليحرفوه فحسب، بل حرفوا أيضاً الإنجيل، وفي هذا المطلب سأقف مع تحريف اليهود للإنجيل.

أولاً: الآثار الواردة في موقف اليهود من الإنجيل

الآثار التي أوردها السيوطي عند هذه الآية وغيرها من الآيات التي سأذكرها تشخص موقف اليهود من الإنجيل، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾البقرة{113}، وهذا ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ: لما قدم أهل نَجْرَان من النَّصَارَى على رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَتَتْهُم أَحْبَار الْيَهُود، فتنازعوا عِنْد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالَ رَافع بن حُرَيْمِلَة: مَا أَنْتُم على شَيْء، وَكفر بِعِيسَى والإِنجيل، فَقَالَ رجل من أهل نَجْرَان للْيَهُود: مَا أَنْتُم على شَيْء، وَجحد نبوّة مُوسَى، وَكفر بِالتَّوْرَاةِ فَأنْزل الله فِي ذَلِك ﴿**وَقَالَت الْيَهُود لَيست النَّصَارَى على شَيْء وَقَالَت النَّصَارَى لَيست الْيَهُود على شَيْء وهم يَتلون الْكتاب**﴾ أَي: كل يَتْلُو فِي كِتَابه تَصْدِيق مَا كفر بِهِ"(1).

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن أبي الْعَالِيَة فِي قَوْله: ﴿**وَقَالَت الْيَهُود لَيست النَّصَارَى على شَيْء**﴾ الْآيَة، قَالَ: هَؤُلَاءِ أهل الْكتاب الَّذين كَانُوا على عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم"(2).

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ**﴾القصص{48}.

"أخرج الْفرْيَابِيّ، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن أبي رزين رَضِي الله عَنهُ أَنه كَانَ يقْرَأهَا: ﴿**سحران تظاهرا**﴾ يَقُول: كِتَابَانِ، التَّوْرَاة والإِنجيل"(3).

(1) الدر المنثور، 560/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 218/1.
(2) الدر المنثور، 560/1، 561. إسناده جيد، انظر: الصحيح المسبور، 218/1.
(3) الدر المنثور، 477/11.

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم، عَن قَتَادَة رَضِي الله عَنهُ: ﴿**قَالُوا سحران تظاهرا**﴾ قَالَ: ذَلِك أعداء الله الْيَهُود للإنجيل وَالْقُرْآن قَالَ: وَمن قرأها ﴿**ساحران**﴾ يَقُول: مُحَمَّد وَعِيسَى"(1).

بعث الله عيسى عليه السلام مصدقاً ومكملاً ومتمماً لما جاء به موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾المائدة{46}.

لكن كما هي عادة اليهود التكذيب بالرسل والرسالات، فقد كذبوا بما جاء به عيسى من بينات ومعجزات قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾الصف{6}.

وقال أيضاً: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾المائدة{59}.

وقد ذكر السيوطي أثراً عند هذه الآية تبين جحودهم لنبوة عيسى عليه السلام، وهو ما ذكره عن "ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نفر من يهود فيهم، أَبُو يَاسر بن أَخطب، وَنَافِع بن أبي نَافِع، وعازر بن عَمْرو، وَزيد بن خَالِد، وإزار بن أبي إزار، وأشيع، فَسَأَلُوهُ عَمَّن يُؤمن بِهِ من الرُّسُل قَالَ: (أُؤْمِن بِاللَّه وَمَا أنزل إِلَيْنَا وَمَا أنزل إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب والأسباط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ من رَبهم لَا نفرّق بَين أحد مِنْهُم وَنحن لَهُ مُسلمُونَ)، فَلَمَّا ذكر عِيسَى جَحَدُوا نبوّته، وَقَالُوا: لا نؤمن بِعِيسَى، ولا نؤمن بمن آمن معه، فَأنْزل الله فيهم: ﴿**قل يَا أهل الْكتاب هَل تَنْقِمُونَ منا إِلَّا أَن آمنا بِاللَّه وَمَا أنزل إِلَيْنَا**﴾ إِلَى قَوْله: ﴿**فَاسِقُونَ**﴾"(2).

---

(1) الدر المنثور، 477/11، 478. صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 53/4.

(2) الدر المنثور، 366/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 193/2.

ثانياً: دور اليهود في تحريف الإنجيل

لليهود دور كبير في تحريف الإنجيل، وذلك من خلال بولس يقول أحمد عبد الوهاب: "ومما لا شك فيه أن بولس هو مبشر المسيحية الأول بصورتها الراهنة، وإليه ينسب نصف أسفار العهد الجديد وهو لم يكن قط من تلاميذ المسيح، ولم يحظ برؤيته، والحديث إليه ولو مرة واحدة في حياته، لكن ما اشتهر به بولس شيئان: الأول: أنه كان من أشد اليهود عداوة للمسيحية والمسيحيين، عداوة بلغت حد القتل،... وأما الثاني: فهو أن بولس أعلن فجأة سماعه لصوت المسيح من السماء أثناء ذهابه إلى دمشق، ومن تلك الساعة تحول إلى المسيحية، وصار أكبر دعاتها"[1].

يقول سفر أعمال الرسل عن بولس (شاول): "أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ"[2].

وقد كان تلاميذ عيسى عليه السلام يشكون في بولس جاء في أعمال الرسل أيضاً: "وَلَمَّا جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلاَمِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ"[3].

يتضح مما سبق أن بولس من اليهود، والذي ينسب إليه نصف أسفار العهد الجديد، وهذا يدلل على أن لليهود دور كبير في تحريف الإنجيل، لأن بولس ليس من تلامذة عيسى عليه السلام.

وسنفصل أكثر عند موقفهم من عيسى في المبحث القادم.

وحديثاً أيضاً حرفوا الأناجيل، من خلال النسخة الإسرائيلية التي صدرت لأسفار العهد الجديد عن دار النشر اليهودية بالقدس في عام 1970م، ووضعوا خطة لذلك، كانت على النحو التالي[4]:

---

(1) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، 268، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة وهبة.

(2) سفر أعمال الرسل، 9: 1، 2.

(3) سفر أعمال الرسل، 9: 26.

(4) انظر: محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة، سامى عامرى، 142، 143، ط1(1426هـ – 2006م) ، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة، وانظر: الصهيونية تحرف الإنجيل، سهيل التغلبي، 60 – 62، بدون رقم طبعة(1999م) ، بدون دار نشر.

1-محو كلمة اليهود من أسفار العهد الجديد، وقد تكرر ذكرها في الأناجيل (159) تقريباً.

2-محو ما يتعلق بالشعب اليهودي.

3-التخلص من كلمة الصليب، وما يتعلق بها.

4-تجنب كلمة القتل بكلمات أقل منها حدة.

5-محو الفقرات التي تلقي مسؤولية دم يسوع على اليهود.

6-تحميل الرومان مسؤولية حادثة الصلب بعد تخليص اليهود منه.

7-تحريف الفقرات التي تخاطب تلاميذ المسيح من اليهود بالضمير هم بدلاً من أنتم.

المطلب الرابع: موقفهم من القرآن

اتسم موقف اليهود من القرآن الكريم بالتشكيك فيه، وتجزئته بالإيمان ببعضه والكفر بالبعض الآخر، وإنكاره بالكلية، وهذا ما سنقف عليه من خلال النقاط التالية:

أولاً: الآثار الواردة في تشكيكهم بالقرآن

ذكر السيوطي أثراً يبين تشكيك اليهود بالقرآن الكريم، عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾الإسراء{88}، وهو كما يلي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَحْمُود بن سيحان، ونعمان بن أُضا، وبحري بن عمرو، وَسَلام بن مشْكم، فَقَالُوا: أخبرنا يَا مُحَمَّد بهَذَا الَّذِي جِئْت بِهِ أَحَق من عِنْد الله؟ فإنا لَا نرَاهُ متناسقاً كَمَا تتناسق التَّوْرَاة، فَقَالَ لَهُم: أما وَالله إِنَّكُم لتعرفون أَنه من عِنْد الله قَالُوا: إِنا نجيئك بِمثل مَا أُتِي بِهِ، فَأنْزل الله: ﴿قل لَئِن اجْتمعت الْإِنْس وَالْجِنّ﴾ الْآيَة"[(1)].

تحدى الله كل من قال أنه يأتي بمثل القرآن بالآية السابقة، يقول الطبري: "قل يا محمد للذين قالوا لك: إنا نأتي بمثل هذا القرآن ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، وذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبوّته، لأن مثل هذا القرآن بهم قُدرة على أن يأتوا به"[(2)].

ثانياً: الآثار الواردة في تجزئتهم للقرآن

لقد أورد السيوطي رحمه الله تعالى عدداً من الآثار التي تبين تجزئة اليهود للقرآن الكريم، عند قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾الحجر{91}، ومن ذلك ما يأتي:

(1) الدر المنثور، 441/9، 442. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 285/3.
(2) جامع البيان، 17، 546، 547.

"أخرج الْفرْيَابي، وَسَعِيد بن مَنْصُور، والبخاري، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، والحاكم، وَابْن مرْدَوَيْه، من طرق عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه فِي قَوْله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ قَالَ: هم أهل الْكتاب جزأوه أَجزَاء، فآمنوا بِبَعْضِه، وَكَفرُوا بِبَعْضِه"[1].

"وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي الْأَوْسَط، عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: سَأَلَ رجل رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: أَرَأَيْت قَول الله: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ قَالَ: الْيَهُود وَالنَّصَارَى، قَالَ: ﴿الَّذين جعلُوا الْقُرْآن عضين﴾ مَا عضين؟ قَالَ: آمنُوا بِبَعْض وَكَفرُوا بِبَعْض"[2].

يتضح من خلال الآثار السابقة أن اليهود جزأوا القرآن فآمنوا ببعضه وكفروا بالبعض الآخر، يقول الطبري: "كان اقتسامهم أنهم اقتسموا القرآن وعضوه، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه"[3].

ومن المعاني التي تندرج تحت معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ما ذكره القرطبي حيث يقول: "فَرَّقُوا أَقَاوِيلَهُمْ فِيهِ فَجَعَلُوهُ كَذِبًا وَسِحْرًا وَكِهَانَةً وَشِعْرًا"[4].

ثالثاً: كفرهم بالقرآن

الآثار الواردة تحت هذه وغيرها من الآيات التي سأذكرها تبين كفر اليهود بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾البقرة{89}. وهوما يكمن بيانه في الآتي:

(1) الدر المنثور، 652/8. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب إتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، ح(3945) ، 71/5. وأخرجه أيضاً في كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، ح(4705) ، 81/6. ح(4706) ، 82/6.
(2) الدر المنثور، 652/8، 653. قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَفِيهِ حَبِيبُ بْنُ حَسَّانَ وَهُوَ ضَعِيفٌ"، مجمع الزوائد 46/7.
(3) جامع البيان، 17، 142.
(4) الجامع لأحكام القرآن، 59/10.

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن قَتَادَة‌ﷺ فِي قَوْله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ قَالَ: هُوَ الْقُرْآن ﴿مُصدق لما مَعَهم﴾ قَالَ: من التَّوْرَاة وَالإِنجيل"[(1)].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾البقرة{99}.

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس‌ﷺ قَالَ: قَالَ ابْن صوريا للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: يَا مُحَمَّد مَا جئتنا بِشَيْء نعرفه، مَا أنزل الله عَلَيْك من آيَة بَيِّنَة فَأنْزل الله فِي ذَلِك: ﴿وَلَقَد أنزلنَا إِلَيْك آيَات بَيِّنَات وَمَا يكفر بهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾..."[(2)].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾النساء{47}.

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وابن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس ﷺقَالَ: كلم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم رُؤَسَاء من أَحْبَار يهود، مِنْهُم عبد الله بن صوريا، وَكَعب بن أَسد، فَقَالَ لَهُم: يَا معشر يهود، اتَّقوا الله وأسلموا فوَاللَّه إِنَّكُم لتعلمون أَن الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لحق، فَقَالُوا: مَا نَعْرِف ذَلِك يَا مُحَمَّد، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ الآية"[(3)].

الآثار السابقة توضح موقف اليهود المنكر للقرآن الكريم، وذلك من خلال قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مَا أنزل الله عَلَيْك من آيَة بَيِّنَة، ومَا نَعْرِف ذَلِك يَا مُحَمَّد.

ويوضح سيد قطب رحمه الله عدم إيمان اليهود بالبينات التي أنزلها الله تحت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ فيقول: "لقد كشف القرآن هنا عن علة كفر بني إسرائيل بتلك الآيات البينات التي أنزلها الله؛ إنه الفسوق وانحراف الفطرة، فالطبيعة المستقيمة لا يسعها إلا الإيمان بتلك الآيات، وهي تفرض نفسها فرضاً على القلب المستقيم"[(4)].

(1) الدر المنثور، 465/1.
(2) المصدر السابق، 497/1.
(3) المصدر السابق، 467/4.
(4) في ظلال القرآن، 94/1.

ويرى عبد الكريم الخطيب أن عدم إيمان اليهود وكفرهم بما أنزل الله هو الحسد، وهـو الـذي أوردهم موارد الهلاك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ "تهديد لليهود، ووعيد لهم، على كفرهم وفسقهم، فهم الكافرون الفاسقون، كفروا بمحمد، وفسقوا عن دينهم الذي كانوا عليه، أي خرجوا عن دينهم، حين أنكروا ما فيه من أمر محمد ورسالته"[2].

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن، 113/1.
(2) المصدر السابق، 115/1.

المبحث الرابع

الآثار الواردة في الإيمان بالأنبياء عند اليهود

لقد أرسل الله إلى بني إسرائيل العديد من الأنبياء، لكن بني إسرائيل كما هي عادتهم التعنت والجحود، فكان لهم موقف سلبي من أنبياء الله تعالى، وفي هذا المبحث سنلقي الضوء على موقف اليهود من أنبياء الله بشكل عام في المطلب الأول، ثم سنتحدث عن افتراء اليهود على بعض الأنبياء في المطلب الثاني، وسنخصص المطلب الثالث عن موقفهم من عيسى عليه السلام، وأما بالنسبة للحديث عن موقفهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد تم الحديث عن ذلك متفرقاً في البحث[1]، لذا سنجعله باختصار في المطلب الرابع.

المطلب الأول: موقفهم من الأنبياء بشكل عام

لقد كان لليهود موقف من أنبياء الله بشكل عام، هذا الموقف تمثل بقتل أنبياء الله، وتمثل بتكذيب أنبياء الله وهو ما يمكن توضحيه من خلال الآتي.

أولاً: الآثار الواردة في قتلهم للأنبياء

لقد ذكر السيوطي رحمه الله مجموعة من الآثار التي تتحدث عن قتل اليهود لأنبياء الله، وكانت هذه الآثار، عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة{61}، وهذا ما سنبينه من خلال الأثر الآتي:

"أخرج أَبُو دَاوُد الطيالسي، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن مَسْعُود ﷺقَالَ: كَانَت بَنو إِسْرَائِيل فِي الْيَوْم تقتل ثَلَاثمِائَة نَبِي، ثمَّ يُقِيمُونَ سوق بقلهم فِي آخر النَّهَار"[2].

مما ينبغي التوقف عنده قبل الحديث عن قتل اليهود لأنبياء الله هو حقيقة قتل اليهود لثلاثمائة نبي في يوم واحد، ويجب أن نعلم بداية أن الأثر السابق لم تثبت صحته من عدمها، ولكن ما المانع من وجود أنبياء كثيرين ثلاثمائة أو يزيد بجانب الرسول المرسل إلى قومه إذا

---

(1) انظر: 100، 101، 113، 116، 117، 120، 128، 129، 132-135 ، 158، 159، 185، 186 ، 191-194 من البحث.

(2) الدر المنثور، 388/1.

كانوا جماعات متفرقة لكل منهم نبي كبني إسرائيل، ولا يوجد ما يمنع من قيام بني إسرائيل من قتل ثلاثمائة نبي لأن كل مجموعة أو بلدة تقتل نبيها وبالتالي يكونوا قتلوا ثلاثمائة نبي[1].

ومع أن القتل من أخطر الذنوب، إلا أن اليهود مارسوه مع أشرف خلق الله الأنبياء، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة{87}، وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ المائدة{70}، والآيات التي تتحدث عن قتل اليهود لأنبيائهم عديدة.

ولقد أثبت عليهم التاريخ أنهم قتلوا من الأنبياء ما يلي[2]:

1- حزقيال: قتله قاض من قضاتهم لأنه نهاه عن فعل المنكرات.

2- أشيعا بن آموص: قتله (منسى) أحد ملوك يهوذا، لأنه كان ينصحه بترك المنكرات.

3- أرميا: قتله اليهود رجماً بالحجارة، لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم ومعاصيهم.

4- يحيى عليه السلام: قتله (هيرودس) الذي ملك اليهود من قبل الدولة الرومانية، وكان سبب قتله ليحيى عليه السلام لأنه أنكر عليه الزواج من ابنة أخيه، ويقول المؤرخون أنه في حادثة قتل يحيى عليه السلام قتل عدد كبير من العلماء لذات السبب الذي قتل به يحيى عليه السلام.

5- زكريا عليه السلام: قتله (هيرودس) لأن زكريا دافع عن ابنه يحيى عليهما السلام.

6- محاولة قتلهم عيسى عليه السلام، وهذه قد أثبتها القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء{157}.

---

(1) انظر: السنة المفترى عليها، سالم البهنساوي، 350، ط3(1409هـ - 1989م) ، دار الوفاء، القاهرة، دار البحوث العلمية، الكويت.

(2) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي، ت- محمد باسل عيون السود، 299/2، ط1(1418هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت. وانظر: مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، 29، 30، 33، 122، ط2(1398هـ - 1978م) ، دار القلم، دمشق، بيروت. وانظر: بنو إسرائيل، 425.

7- محاولة قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني النضير بإلقاء صخرة عليه من فوق سطح[1]، ومن خلال حادثة سم الشاة التي قدموها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في البخاري عن عائشة أنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ) [2].

إن من قتل نبياً فهو من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، ففي مسند أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ) [3].

لم يتورع اليهود في قتل أنبياء الله عز وجل فحسب، بل قتلوا العباد والعلماء منهم حيث يتضح ذلك من الآثار السابقة، ومن خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران{21}.

وهنا سؤالان، الأول: مفاده أن اليهود لم يقتلوا كل الأنبياء، فلم أخبر القرآن عنهم أنهم قتلوا الأنبياء، ولم يقل بعض الأنبياء؟

والجواب على ذلك يتضح من خلال ما ذكره طنطاوي حيث يقول: "أنهم قد استهانوا بمقام النبوة، ومقام الدعوة إلى الحق، فاعتدوا ذلك الاعتداء الشنيع على بعض الأنبياء، ومن فعل ذلك مع البعض فقد اعتدى على مقام النبوة، وكأنما قتل جميع الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة{32}"[4].

والثاني: ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وقتل الأنبياء لا يكون إلا كذلك؟

والجواب يتضح من خلال قول الرازي: "وَالْمُرَادُ مِنْهُ شَرْحُ عِظَمِ ذَنْبِهِمْ"[5].

---

(1) انظر: حاشية رقم (1) في سبب غزوة بني النضير، 101 من البحث.

(2) تم تخريجه، 120 من هذا البحث.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، ح(3868) ، 413/6. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده حسن. وقال الألباني: وهذا إسناد جيد، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، 569/1.

(4) بنو إسرائيل، 425.

(5) مفاتيح الغيب، 177/7.

ثانياً: الآثار الواردة في تكذيبهم الأنبياء

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية عدداً من الآثار التي توضح تكذيب اليهود لأنبياء الله، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**﴾ آل عمران{184}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿**فَإِن كَذبُوك**﴾ قَالَ: الْيَهُود"[1].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم عَن قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿**فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ قَالَ: يعزي نبيه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم"[2].

إن اليهود كما هو معروف عنهم التكذيب بالرسل، والآية السابقة نزلت تعزية وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الطبري: "وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم، على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل، يقول الله تعالى له: لا يحزنك، يا محمد، كذب هؤلاء الذين قالوا: إن الله فقير، وقالوا: إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وافتراؤهم على ربهم اغترارًا بإمهال الله إياهم، ولا يَعظمن عليك تكذيبهم إياك، وادعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله، فقد كذَّبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذرَ، والأدلة الباهرة العقلَ، والآيات المعجزة الخلقَ، وذلك هو البينات"[3].

والقرآن الكريم أخبر عنهم ذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ البقرة{87}.

---

(1) الدر المنثور، 162/4. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 486/1.
(2) الدر المنثور، 162/4. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 486/1.
(3) جامع البيان، 450/7.

المطلب الثاني: الافتراء على بعض أنبياء الله

إن الكذب والافتراء من صفات اليهود الملازمة لهم في كل وقت، وفي هذا المطلب سنقف مع افتراء اليهود على بعض أنبياء الله، منهم: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وداود وسليمان صلى الله عليهم وسلم جميعاً.

أولاً: الآثار الواردة في افترائهم على إبراهيم وبنيه عليهم السلام

لقد ذكر السيوطي عدداً من الآثار التي تبين افتراء اليهود على إبراهيم وبينه عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ البقرة{140}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن مُجَاهِد ﷺفِي قَوْله: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَة عِنْده مِنَ الله** ﴾ قَالَ: فِي قَول يهود لإِبراهيم وإسمعيل وَمن ذكر مَعَهُمَا إنهم كَانُوا يهوداً أَو نَصَارَى، فَيَقُول الله لَهُم: لَا تكتموا مني شَهَادَة إِن كَانَت عنْدكُمْ، وَقد علم الله أَنهم كاذبون"[(1)].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن الْحسن فِي قَوْله: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَة عِنْده مِنَ الله**﴾ قَالَ: كَانَ عِنْد الْقَوْم من الله شَهَادَة أَن أنبياءه بُرَآء من الْيَهُودِيَّة والنصرانية"[(2)].

قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ آل عمران{65}.

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس‏ﷺ، قَالَ: اجْتمعت نَصَارَى نَجْرَان وأحبار يهود عِنْد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فتنازعوا عِنْده، فَقَالَت الْأَحْبَار: مَا كَانَ إِبْرَاهِيم إِلَّا يَهُودِيّا وَقَالَت النَّصَارَى: مَا كَانَ إِبْرَاهِيم إِلَّا نَصْرَانِيّا، فَأنْزل الله فيهم: ﴿**يَا أهل الْكتاب لم تحاجون فِي إِبْرَاهِيم وَمَا أنزلت التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل إِلَّا من بعده**﴾..." [(3)].

---

(1) الدر المنثور، 730/1. إسناده صحيح، انظر: الصحيح المسبور، 248/1.

(2) الدر المنثور، 730/1.

(3) المصدر السابق، 616/3. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 423/1.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران{67}.

"أخرج ابْن جرير، عَن الشّعبِيّ، قَالَ: قَالَت الْيَهُود: إِبْرَاهِيم على ديننَا وَقَالَت النَّصَارَى: هُوَ على ديننَا فَأنْزل الله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً﴾ الْآيَة، فأكذبهم الله وأدحض حجتهم"[1].

"وَأخرج ابْن أبي حَاتِم، عَن مقَاتل بن حَيَّان، قَالَ: قَالَ كَعْب وَأَصْحَابه وَنَفر من النَّصَارَى: إِن إِبْرَاهِيم منا، ومُوسَى منا، والأنبياء منا، فَقَالَ الله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفا مُسلما﴾"[2].

يتضح لنا من خلال الآيات والآثار السابقة إنكار القرآن على اليهود أن يكون إبراهيم وبنيه من اليهود، وكذلك الإنكار على النصارى أيضاً أن يكون إبراهيم وبنيه من النصارى، فالقرآن يوضح لنا أن اليهودية والنصرانية كانت بعد إبراهيم، فكيف يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً؟ قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران{65}.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي مُحَاجَّتِهِمْ فِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَدَعْوَى كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ"[3].

ثانياً: الآثار الواردة في زعمهم أن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين زعم اليهود أن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات{102}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

(1) الدر المنثور، 618/3.
(2) الدر المنثور، 618/3.
(3) تفسير القرآن العظيم، 57/2.

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، عَن مُحَمَّد بن كَعْب، أَن عمر بن عبد الْعَزِيز رَضِي الله عَنهُ أرسل إِلَى رجل كَانَ يَهُودِيّاً فَأسلَمْ وَحسن إِسْلَامه، وكَانَ من عُلَمَائهمْ فَسَأَلَهُ: أَي ابْني إِبْرَاهِيم أَمر بذَبْحه؟ فَقَالَ: إِسْمَاعِيل وَالله يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ وَإِن الْيَهُود لتعلم بذلك، ولَكنهُمْ يحسدونكم معشر الْعَرَب"[1].

هناك خلاف بين علماء السلف في تعيين الذبيح أهو إسحاق أم إسماعيل، لكن ابن القيم يفصل الخلاف في ذلك موضحاً الصواب، يقول ابن قيم الجوزية: "وَإِسْمَاعِيلُ: هُوَ الذَّبِيحُ عَلَى الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ إِسْحَاقُ فَبَاطِلٌ بِأَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ يَقُولُ: هَذَا الْقَوْلُ إِنَّمَا هُوَ مُتَلَقًّى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ بِنَصِّ كِتَابِهِمْ، فَإِنَّ فِيهِ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ بِكْرَهُ، وَفِي لَفْظٍ: وَحِيدَهُ، وَلَا يَشُكُّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ بِكْرُ أَوْلَادِهِ، وَالَّذِي غَرَّ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ: اذْبَحِ ابْنَكَ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ تَحْرِيفِهِمْ وَكَذِبِهِمْ لِأَنَّهَا تُنَاقِضُ قَوْلَهُ: اذْبَحْ بِكْرَكَ وَوَحِيدَكَ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ حَسَدَتْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى هَذَا الشَّرَفِ وَأَحَبُّوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ، وَأَنْ يَسُوقُوهُ إِلَيْهِمْ وَيَحْتَازُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ دُونَ الْعَرَبِ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ فَضْلَهُ لِأَهْلِهِ"[2].

وأثر عمر بن عبد العزيز يؤكد ما ذهب إليه ابن القيم في جزمه أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وقد فصل ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان بالرد على اليهود بزعمهم أن الذبيح إسحاق عليه السلام حيث جاء في توراتهم المحرفة: "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ اسْحَاقَ "[3] [4].

وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور آثاراً تبين أن الذبيح إسماعيل، وأخرى تبين أنه إسحاق، سنقف على الحقيقة من خلال بيان أي الأحاديث صحيحة وأيها ضعيفة، والآثار هي كما يلي:

---

(1) الدر المنثور، 436/12.
(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، 71/1، ط27(1415هـ – 1994) ، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.
(3) سفر التكوين، 22: 2.
(4) للاطلاع أكثر انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ت– محمد حامد الفقي، 355/2 – 357، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

1- الآثار الواردة عند السيوطي والتي تبين أن الذبيح إسماعيل

"أخرج الْفرْيَابِيّ، وَابْن أبي شيبَة، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَالْحَاكِم وَصَححهُ، من طَرِيق الشّعبِيّ عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: الذَّبِيح إِسْمَاعِيل"(1).

"وَأخرج سعيد بن مَنْصُور، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، من طَرِيق مُجَاهِد ويوسف بن مَاهك عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: الذَّبِيح إِسْمَاعِيل"(2).

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، من طَرِيق يُوسُف بن مهْرَان، وَأبي الطُّفَيْل عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قَالَ: الذَّبِيح إِسْمَاعِيل"(3).

"وَأخرج عبد بن حميد، عَن سعيد بن الْمسيب، وَسَعِيد بن جُبَير ﷺ قَالَا: الَّذِي أَرَادَ إِبْرَاهِيم ذبحه إِسْمَاعِيل"(4).

2-الآثار الواردة عند السيوطي والتي تبين أن الذبيح إسحاق

"أخرج الدَّارَ قُطْنِيّ فِي الْأَفْرَاد، والديلمي عَن ابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: الذَّبِيح إِسْحَاق"(5).

"وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه، عَن نهار، وَكَانَت لَهُ صُحْبَة، عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: إِسْحَاق ذبيح الله"(6).

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَسَعِيد بن مَنْصُور، وَابْن الْمُنْذر عَن عليّ رَضِي الله عَنهُ قَالَ: الذَّبِيح إِسْحَاق"(7).

وحتى نضع الأمر في نصابه الصحيح، ونؤكد ما ذهب إليه ابن القيم، فإن الإمام الألباني رحمه الله قد حكم على الآثار التي بينت بأن الذبيح هو إسحاق بأنها ضعيفة، حيث قال: "وقد جاءت أحاديث في أن إسحاق هو الذبيح ولكنها كلها ضعيفة"(8).

---

(1) الدر المنثور، 432/12، 433. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم، ح(4034) ، 604/2. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم".

(2) الدر المنثور، 433/12.

(3) المصدر السابق، 433/12.

(4) المصدر السابق، 437/12.

(5) المصدر السابق، 437/12.

(6) المصدر السابق، 437/12.

(7) المصدر السابق، 440/12.

(8) سلسلة الأحاديث الضعيفة، 509/1.

ثالثاً: الآثار الواردة في افترائهم على موسى عليه السلام

لقد بين السيوطي رحمه الله افتراء اليهود على موسى عليه السلام من خلال الآثار التي أوردها عند هذه الآية، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ الأحزاب{69}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآثار الآتية:

"أخرج عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد، وَالْبُخَارِيّ، وَالتِّرْمِذِيّ، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَابْن مرْدَوَيْه﷫، من طرق عَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: إِن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ رجلا حيياً ستيراً، لَا يرى من جلده شَيْء استحياء مِنْهُ، فآذاه من آذَاهُ من بني إِسْرَائِيل وَقَالُوا مَا يستتر هَذَا السّتْر إِلَّا من عيب بجلده إِمَّا برص[1] وَإِمَّا أدرة[2] وَإِمَّا آفَة وَإِن الله أَرَادَ أَن يُبرئهُ مِمَّا قَالُوا، وان مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام خلا يَوْمًا وَحده، فَوضع ثِيَابه على حجر ثمَّ اغْتسل، فَلَمَّا فرغ أقبل إِلَى ثِيَابه ليأخذها، وَإِن الْحجر عدا بثَوْبِهِ، فَأخذ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام عَصَاهُ وَطلب الْحجر، فَجعل يَقُول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حَتَّى انْتهى إِلَى مَلأ من بني إِسْرَائِيل، فرأوه عُريَاناً أحسن مَا خلق الله وأبرأه مِمَّا يَقُولُونَ وَقَامَ الْحجر فَأخذ ثَوْبه فلبسه وطفق بِالْحجرِ ضرباً بعصاه فوَاللَّه إِن بِالْحجرِ لندباً من أثر ضربه ثَلَاثًا أَو أَرْبعاً أَو خمْساً فَذَلِك قَوْله: ﴿**يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِين آذوا مُوسَى فبرأه الله مِمَّا قَالُوا**﴾"[3].

"وَأخرج ابْن منيع، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، والحاكم وَصَححهُ، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا عَن عَليّ بن أبي طَالب رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله: ﴿**لَا تَكُونُوا كَالَّذِين آذوا مُوسَى**﴾ قَالَ: صعد مُوسَى وَهَارُون الْجَبَل، فَمَاتَ هَارُون عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَت بَنو إِسْرَائِيل لمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام: أَنْت قتلته كَانَ أَشد حباً لنا مِنْك وألين فآذوه من ذَلِك، فَأمر الله الْمَلَائِكَة عَلَيْهِم السَّلَام فَحَملته فَمروا بِهِ على مجَالِس بني إِسْرَائِيل، وتكلمت الْمَلَائِكَة

---

(1) البَرَصُ: "داءٌ مَعْرُوفٌ، نسأَل اللَّهَ العافيةَ مِنْهُ وَمِنْ كُلِّ داءٍ، وَهُوَ بَيَاضٌ يَقَعُ فِي الْجَسَدِ"، لسان العرب، 5/7.

(2) "الأُدْرَةُ، بِالضَّمِّ: نفخةٌ فِي الخُصْيةِ؛ يُقَالُ: رَجُلٌ آدَرُ بَيِّنُ الأَدَرِ،...، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُصيبهُ فَتْقٌ فِي إِحدى الخُصْيَتين، وَلَا يُقَالُ امرأَةٌ أَدْراءُ، إِما لأَنه لَمْ يُسْمَعْ، وإِما أَن يَكُونَ لاخْتِلَافِ الخِلْقَة،... إِن بَنِي إِسرائيلَ كَانُوا يقولونَ إِن مُوسَى آدَرُ، مِنْ أَجل أَنه كَانَ لَا يغتَسل إِلَّا وحدَه وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى"، لسان العرب، 15/4.

(3) الدر المنثور، 149/12، 150. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ح(3404) ، 156/4.

بِمَوْتِهِ حتى علموا بموته، فبرأه الله من ذَلِك فَانْطَلَقُوا بِهِ فدفنوه ولَم يعرف قَبره إِلَّا الرخم[1] [5] وإن الله جعله أَصمّ أبكم"[2].

"وَأخرج الْحَاكِم وَصَحَحهُ، من طَرِيق السّديّ رَضِي الله عَنهُ، عَن أبي مَالك، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا، وَعَن مرّة، عَن ابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ، وناس من الصَّحَابَة أَن الله أوحى إِلَى مُوسَى: إِنِّي متوفٍ هَارُون، فَائت بِهِ جبل كَذَا وَكَذَا، فَانْطَلَقَا نَحْو الْجَبَل فَإِذا هم بشجرة وَبَيت فِيهِ سَرِير عَلَيْهِ فرش وريح طيب، فَلَمَّا نظر هَارُون إِلَى ذَلِك الْجَبَل وَالْبَيْت وَمَا فِيهِ أعجبه، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي أحب أَن أَنَام على هَذَا السرير، قَالَ: نم عَلَيْهِ قَالَ: نم معي، فَلَمَّا نَامَا أَخذ هَارُون الْمَوْت، فَلَمَّا قبض رفع ذَلِك الْبَيْت، وَذَهَبت تِلْكَ الشَّجَرَة، وَرفع السرير إِلَى السَّمَاء، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى بني إِسْرَائِيل قَالُوا: قتل هَارُون عَلَيْهِ السَّلَام وحسده حب بني إِسْرَائِيل لَهُ، وكَانَ هَارُون أكف عَنْهُم وألين لَهُم، وكَانَ مُوسَى فِيهِ بعض الغلظة عَلَيْهِم، فَلَمَّا بلغه ذَلِك قَالَ: وَيحكم إنه كَانَ أخي أفترونى أَقتلهُ، فَلَمَّا أَكْثرُوا عَلَيْهِ قَامَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ثمَّ دَعَا الله، فَنزلت الْمَلَائِكَة بالسرير حَتَّى نظرُوا إِلَيْهِ بَين السَّمَاء وَالْأَرْض فصدقوه"[3].

إن أذية اليهود لموسى كثيرة فمن خلال البحث تبينت وظهرت، لكن يتضح مما تقدم أذيته وافترائهم عليه في أمرين:

الأول: قولهم إنه آدر أو أبرص والآثار التي سبقت منها حديث البخاري والترمذي تبين عدم صحة ما نسبوا إليه.

الثاني: اتهامهم لموسى عليه السلام بقتل هارون، وقد تبين الرد على هذا الافتراء من خلال أثر الحاكم.

---

(1) الرَّخَمُ: "نوعٌ مِنَ الطَّير معروفٌ، واحدتُه رَخَمَة، وَهُوَ موصوفٌ بالغَدْر والمُوق"، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت- طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، 212/2، بدون رقم طبعة(1399هـ - 1979) ، المكتبة العلمية، بيروت.

(2) الدر المنثور، 151/12. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر وفاة هارون بن عمران فإنه مات قبل موسى عليهما السلام، ح(4110) ، 632/2. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". وقال الذهبي: صحيح.

(3) الدر المنثور، 152/12. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر وفاة هارون بن عمران فإنه مات قبل موسى عليهما السلام، ح(4109) ، 632/2. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم"..

رابعاً: الآثار الواردة في افترائهم على داود وسليمان عليهما السلام

ا- داود عليه السلام وفتنة النظر

لقد بين السيوطي رحمه الله افتراء اليهود على نبي الله داود عليه السلام من خلال الآثار التي أوردها عند قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص{21}، وهو ما سنبينه من خلال الأثر الآتي:

"أخرج ابْن أبي شيبَة فِي المُصَنّف، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا أَن دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام حدث نَفسه إِن ابْتُلِيَ أَن يعتصم، فَقيل لَهُ: إِنَّك ستبتلى وستعلم الْيَوْم الَّذِي تبتلى فِيهِ، فَخذ حذرك، فَقيل لَهُ: هَذَا الْيَوْم الَّذِي تبتلى فِيهِ، فَأخذ الزبُور وَدخل الْمِحْرَاب وأغلق بَاب الْمِحْرَاب، وَأخذ الزبُور فِي حجره، وأقعد منصفاً على الْبَاب، وَقَالَ لَا تَأذن لأحد عليّ الْيَوْم، فَبَيْنَمَا هُوَ يقْرَأ الزبور إِذْ جَاءَ طَائِر مَذْهَب كأحسن مَا يكون الطير فِيهِ من كل لون، فَجعل يدرج بَين يَدَيْهِ، فَدَنَا مِنْهُ فَأمكن أَن يَأْخُذهُ فتناوله بِيَدِهِ ليأخذه، فاستوفزه[1] من خلفه، فأطبق الزبور، وقام إليه ليأخذه، فطار فَوْقع على كوّة الْمِحْرَاب، فَدَنَا مِنْهُ ليأخذه فأقض فوقع على حصن، فَأَشْرَف عَلَيْهِ لينْظر أَيْن وَقع، فَإِذا هُوَ بامْرَأَة عِنْد بركتها تَغْتَسِل من الْحيض، فَلَمَّا رَأَتْ ظله حركت رَأسهَا فغطت جَسدهَا أجمع بشعرها، وَكَانَ زَوجهَا غازياً فِي سَبِيل الله، فَكتب دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى رَأس الْغُزَاة: انْظُر أوريا، فاجعله فِي حَملَة التابوت، وكان حملة التابوت إما أَن يفتح عَلَيْهِم، وَإِمَّا أَن يقتلُوا فقدمه فِي حَملَة التابوت فَقتل، فَلَمَّا انْقَضتْ عدتهَا خطبهَا دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام، فاشترطت عَلَيْهِ إِن ولدت غُلَاما أَن يكون الْخَلِيفَة من بعده، وأشهدت عَلَيْهِ خمْسين من بني إِسْرَائِيل وكتبت عَلَيْهِ بذلك كتاباً، فما شعر بفتنته أنه فتن حَتَّى ولدت سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وشب، فتسوّر عَلَيْهِ الْملكَانِ الْمِحْرَاب فَكَانَ شَأْنهمَا مَا قصّ الله تَعَالَى فِي كِتَابه وخر دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام سَاجِداً فغفر الله لَهُ وَتَابَ عَلَيْهِ"[2].

وقد ورد في الكتاب المقدس ما يشابه هذه القصة فقد جاء في سفر صموئيل الثاني: "وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ

---

(1) "جلس على هَيْئَة كَأَنَّهُ يُرِيد الْقيام وَفِي قعدته انتصب فِيهَا غير مطمئن"، المعجم الوسيط، 1046/2

(2) الدر المنثور، 524/12، 525.

دَاوُدَ وَقَالَتْ: إِنِّي حُبْلَى.. وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يواب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت"[1].

هذه من الإسرائيليات المفتراة على سيدنا داود عليه السلام، والراوية السابقة التي ذكرتها من الكتاب المقدس تعضد القول أن هذا الإفتراء مختلق على سيدنا داود عليه السلام، وأنه من الإسرائيليات، وقد ورد في الدر المنثور غير هذا الأثر، لكن كله يدور حول هذا المعنى، لذا سأكتفي بذكر الأثر السابق فقط، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: "وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، هَاهُنَا قِصَصًا وَأَخْبَارًا أَكْثَرُهَا إِسْرَائِيلِيَّاتٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَكْذُوبٌ لَا مَحَالَةَ"[2]، ويقول الألباني أيضاً: "وقصة افتتان داود عليه السلام بنظره إلى امرأة الجندي أو ريا مشهورة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء وبعض كتب التفسير، ولا يشك مسلم عاقل في بطلانها لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل محاولته تعريض زوجها للقتل، ليتزوجها من بعده"[3].

يتبن لنا أن قصة فتنة داود عليه السلام بالنظر من الإسرائيليات الباطلة، والتي لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام.

2-عرض قصة الخصمين

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تعرض قصة الخصمين مع نبي الله داود عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ص{21، 22 }، وهو ما يمكن بيانه في الأثر الآتي:

"أخرج عَبد بن حُمَيد، وَابن جَرِير، وَابن المنذر، عن الحسن رضي الله عنه أن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء، يوماً لنسائه، ويوماً للعبادة، ويوماً للقضاء بين بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل، يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود عليه السلام في نفسه أنه سيطيق ذلك، فلما كان في يوم عبادته غلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة، فبينما هو يقرؤها إذ حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه فأهوى

---

(1) سفر صموئيل الثاني، 11: 2 – 15.
(2) البداية والنهاية، 309/2.
(3) سلسلة الأحاديث الضعيفة، 484/1.

إليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير مرتبتها، فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه حسنها وخلقها فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاد ذلك أيضاً بها إعجاباً، وكان قد بعث زوجها على بعض بعوثه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكان إذا سار إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب، فخطبها داود عليه السلام، فتزوجها، فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه وكان الخصمان إنما يأتونه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوروا المحراب فقالوا: ﴿ **لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ** ﴾ أي لا تمل ﴿ **وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ** ﴾ أي أعدله وخيره ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ يعني تسعاً وتسعين امرأة لداود وللرجل نعجة واحدة، فقال: ﴿**أكفلنيها وعزني في الخطاب**﴾ أي قهرني وظلمني، قال: ﴿**لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ**﴾ قال: سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله إليه إني قد غفرت لك، قال: رب كيف تغفر لي وأنت حكم عدل لا تظلم أحداً، قال إني أقضيك له ثم أستوهبه دمك ثم أثيبه من الجنة حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي وعلمت أن قد غفرت لي ، قال الله تعالى ﴿**فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب**﴾"(1).

القصة السابقة التي ذكرتها من الكتاب المقدس(2) تشابه الأثر السابق أيضاً، وهذا يؤكد أن الأثر من الإسرائيليات، يقول ابن كثير في تفسيره: "قَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا قِصَّةً أَكْثَرُهَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ حَدِيثٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ،... فَالْأُولَى أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى مُجَرَّدِ تِلَاوَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَأَنْ يُرَدَّ عِلْمُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ وَمَا تَضَمَّنَ فَهُوَ حَقٌّ أَيْضًا"(3).

قال تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ* إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي**

---

(1) الدر المنثور، 530/12، 531.

(2) انظر: 206 من البحث

(3) تفسير القرآن العظيم، 60/7.

الْخِطَابِ* قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ص{21 – 25}.

3-بعض مناقب سيدنا داود عليه السلام

لقد بينت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من مناقب داود عليه السلام، مما يؤكد كذب اليهود وافترائهم على نبي الله داود عليه السلام، ومن أبرزها:

أ- داود عليه السلام هو الذي قتل رأس الكفر في عهده جالوت، قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ البقرة{251}.

ب-آتاه الله الملك والحكمة، قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ البقرة{251}.

ج- جعله الله خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص{26}.

د- آتاه الله الزبور، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ النساء{163}.

ه- أن الله سخر الجبال والطير يسبحن معه في العشي والإبكار، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء{79}.

و- أن الله آتاه علم منطق الطير، كما آتى ولده سليمان عليه السلام من بعده مثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ* وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل{15، 16}.

ز- أن الله ألان له الحديد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ سبأ{10}.

ح- صيام داود من أفضل الصيام وكذلك صلاته، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ، صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ، صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا) (1).

4-سليمان عليه السلام واتهامه بالسحر

لقد ذكر السيوطي رحمه عدداً من الآثار ، والتي تبين افتراءهم على سليمان عليه السلام بالسحر، عند قوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ البقرة{101}، وهذا ما سنوضحه من خلال الآثار الآتية:

"أخرج ابْن جرير، عَن شهر بن حَوْشَب، قَالَ: قَالَت الْيَهُود: انْظُرُوا إِلَى مُحَمَّد يخلط الْحق بِالْبَاطِلِ، يذكر سُلَيْمَان مَعَ الْأَنْبِيَاء، إِنَّمَا كَانَ ساحراً يركب الرّيح فَأنْزل الله: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ**﴾ الْآيَة"(2).

"وَأخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن أبي الْعَالِيَة‌رضي الله عنه قَالَ: إِن الْيَهُود سَأَلُوا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم زَمَاناً عَن أُمُور من التَّوْرَاة لَا يسألونه عَن شَيْء من ذَلِك إِلَّا أنزل الله عَلَيْهِ مَا سَأَلُوا عَنهُ فيخصمهم، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِك قَالُوا: هَذَا أعلم بِمَا أنزل علينا منا، وَإِنَّهُم سَأَلُوهُ عَن السحر وخاصموه بِهِ فَأنْزل الله: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ** ﴾ الْآيَة، وَإِن الشَّيَاطِين عَمدُوا إِلَى كتاب فَكَتَبُوا فِيهِ السحر وَالْكهَانَة وَمَا شَاءَ الله من ذَلِك، فدفنوه تَحت مجْلِس سُلَيْمَان وَكَانَ سُلَيْمَان لَا يعلم الْغَيْب، فَلَمَّا فَارق سُلَيْمَان الدُّنْيَا استخْرجُوا ذَلِك السحر وخدعوا بِهِ النَّاس وَقَالُوا: هَذَا علم

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً او لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صيام يوم، وإفطار يوم، ح(1159) ، 816/2.
(2) الدر المنثور، 501/1.

كَانَ سُلَيْمَان يَكْتُمهُ ويحسد النَّاس عَلَيْهِ، فَأخْبرهُم النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِهَذَا الحَدِيث فَرَجَعُوا من عِنْده وَقد خزوا وأدحض الله حجتهم"[1].

مما سبق من آثار يتبن لنا أن اليهود نسبوا السحر إلى سليمان عليه السلام، ولكن الله رد عليهم ذلك من خلال الآية، قال تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**﴾ البقرة{101}.

والسؤال المطروح هنا لماذا نفى الله عن سليمان عليه السلام الكفر ولم ينف عنه السحر؟

يقول القرطبي مجيباً عن ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾: "تَبْرِئَةٌ مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَحَدًا نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ نَسَبَتْهُ إِلَى السِّحْرِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ، ثُمَّ قَالَ:" وَلَكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا" فَأَثْبَتَ كُفْرَهُمْ بتعليم السحر"[2].

5-مناقب سليمان عليه السلام

لقد بينت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية العديد من مناقب سليمان عليه السلام، مما يؤكد كذب اليهود وافترائهم على نبي الله داود عليه السلام، ومن أبرزها:

أ- وراثة الملك من أبيه داود عليهما السلام، قال تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ النمل{16}.

ب-آتاه الله العلم والحكمة، قال تعالى: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ الأنبياء{79}.

ج- تسخير الريح لسليمان، قال تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ**﴾ الأنبياء{81}، وقال أيضاً: ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ ص{36}.

د- تسخير الجن بين يديه، قال تعالى: ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ* وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾ ص{37، 38}.

ه- تسخير الجن والإنس والطير له، قال تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ النمل{17}.

(1) الدر المنثور، 501/1.
(2) الجامع لأحكام القرآن، 43/2.

المطلب الثالث: موقفهم من عيسى عليه السلام

لقد اتسم موقف اليهود من عيسى عليه السلام بالعداوة الشديدة له ولأمه عليهما السلام، تمثل هذا الموقف باتهام مريم عليه السلام بالفاحشة، وفي حق عيسى عليه السلام بمحاولة قتله، وهذا ما سأوضحه من خلال النقاط التالية:

أولاً: الآثار الواردة في اتهام مريم (أم عيسى) بالزنا

لقد ورد في الدر المنثور عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين اتهام اليهود لمريم عليها السلام بالزنا، قال تعالى: ﴿**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا**﴾ النساء{156}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الأثر الآتي:

"أخرج ابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿**وَقَوْلهمْ على مَرْيَم بهتاناً عَظِيماً**﴾ قَالَ: رَمَوْهَا بِالزِّنَا"[1].

لقد حفظ الله مريم بنت عمران عليها السلام منذ ولادتها، فهي من بيت مبارك أهله، يقول عز وجل: ﴿**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ آل عمران{33}، وكان من حفظ الله لها أن حفظها هي وذريتها من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُّ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ آل عمران{35، 36}، ثم كان اصطفاء الله لمريم عليها السلام على نساء العالمين في زمانها، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ آل عمران{42، 43}.

يقول الرازي عن التطهير والاصطفاء الثاني: "وَأَمَّا التَّطْهِيرُ فَفِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى طَهَّرَهَا عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ الأحزاب{33}، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى طَهَّرَهَا عَنْ مَسِيسِ الرِّجَالِ وَثَالِثُهَا:

(1) الدر المنثور، 95/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 132/2.

طَهَّرَهَا عَنِ الْحَيْضِ، قَالُوا: كَانَتْ مَرْيَمُ لَا تَحِيضُ وَرَابِعُهَا: وَطَهَّرَكِ مِنَ الْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ، وَالْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ وَخَامِسُهَا: وَطَهَّرَكِ عَنْ مَقَالَةِ الْيَهُودِ وَتُهْمَتِهِمْ وَكَذِبِهِمْ.

وَأَمَّا الاصْطِفَاءُ الثَّانِي: فَالْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى وَهَبَ لَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَأَنْطَقَ عِيسَى حَالَ انْفِصَالِهِ مِنْهَا حَتَّى شَهِدَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَتِهَا عَنِ التُّهْمَةِ، وَجَعَلَهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ"(1).

فهذه المرأة الصالحة صاحبة الخلق الرفيع التي قد بينا مكانتها من خلال الآيات القرآنية السابقة يستحيل أن توصف بما وصفت به من قبل اليهود، ولقد بين القرآن حادثة ولادة عيسى من خلال سورة كاملة سميت باسمها سورة مريم يقول تعالى في هذه السورة: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾ مريم{16 – 21}.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن عفة وطهارة مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾ التحريم{12}.

يقول ابن كثير في قوله:﴿**أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**﴾:"أَيْ حَفِظَتْهُ وَصَانَتْهُ، وَالْإِحْصَانُ: هُوَ الْعَفَافُ وَالْحُرِّيَّةُ"(2).

وقد صرحت السنة النبوية أيضاً بفضل ومكانة مريم عليها السلام حيث جاء في صحيح البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) (3).

(1) مفاتيح الغيب، 218.
(2) تفسير القرآن العظيم، 173/8.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) التحريم(11) إلى قوله: (وكانت من القانتين) التحريم(12) ، ح(3411) ، 158/4.

وفي البخاري أيضاً عن أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾آل عمران{36})[1].

وفي مسند أحمد عن ابن عباس قَالَ: (خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ) [2].

هذه السرد لمكانة مريم عليها السلام لنبين فحش قول اليهود على ما نسبوه لمريم العفيفة الطاهرة بالزنا.

ثانياً: الآثار الواردة في محاولة قتل عيسى عليه السلام

الآثار الواردة عند هذه الآية وغيرها من الآيات تبين محاولة قتل اليهود لعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران{54}، وهذا ما سنبينه من خلال الآثار التالية:

"أخرج ابْن جرير، عَن السّديّ قَالَ: إِن بني إِسْرَائِيل حصروا عِيسَى وَتِسْعَة عشر رجلاً من الحواريين فِي بَيت فَقَالَ عِيسَى لأَصْحَابه: من يَأْخُذ صُورَتي فَيُقتل وَله الْجنَّة؟ فَأَخذهَا رجل مِنْهُم، وَصعد بِعِيسَى إِلَى السَّمَاء فَذَلِك قَوْله: ﴿ومكروا ومكر الله وَالله خير الماكرين﴾"[3].

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ آل عمران{55}.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) مريم(16) ، ح(3431) ، 164/4.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، ح(2668) ، 409/4. قال شعيب الأرناؤوط وغيره: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(3) الدر المنثور، 595/3.

"وَأخرج إسحاق بن بشر، وَابْن عَسَاكِر عَن الْحسن ﷺقَالَ: لم يكن نَبِي كَانَت الْعَجَائِب فِي زَمَانه أَكثر من عِيسَى، إِلَى أَن رَفعه الله، وَكَانَ من سَبَب رَفعه أَن ملكاً جباراً يُقَال لَهُ: دَاوُد بن نوذا، وَكَانَ ملك بني إِسْرَائِيل هُوَ الَّذِي بعث فِي طلبه ليَقْتُلهُ، وَكَانَ الله أنزل عَلَيْهِ الْإِنْجِيل وَهُوَ ابْن ثَلَاث عشرَة سنة، وَرفع وَهُوَ ابْن أَربع وَثَلَاثِينَ سنة من ميلاده، فَأوحى الله إِلَيْهِ: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يَعْنِي: ومخلصك من الْيَهُود فَلَا يصلونَ إِلَى قَتلك"[1].

قال تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ النساء{157}.

"أخرج عبد بن حميد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن أبي حَاتِم، وَابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن عَبَّاس ﷺ قَالَ: لما أَرَادَ الله أَن يرفع عِيسَى إِلَى السَّمَاء خرج إِلَى أَصْحَابه، وَفِي الْبَيْت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، فَخرج عَلَيْهِم من عين الْبَيْت وَرَأسه يقطر مَاء، فَقَالَ: إِن مِنْكُم من يكفر بِي اثني عشر مرّة بعد أَن آمن بِي، ثمَّ قَالَ: أَيّكُم يلقى عَلَيْهِ شبهي فَيقْتل مَكَاني وَيكون معي فِي درجتي فَقَامَ شَاب من أحدثهم سناً فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، ثمَّ أعَاد عَلَيْهِم، فَقَامَ الشَّاب فَقَالَ: اجْلِسْ، ثمَّ أعَاد عَلَيْهِم فَقَامَ الشَّاب فَقَالَ: أَنا، فَقَالَ: أَنْت ذَاك فَألْقى عَلَيْهِ شبه عِيسَى وَرفع عِيسَى من روزنة فِي الْبَيْت إِلَى السَّمَاء، قَالَ: وَجَاء الطّلب من الْيَهُود، فَأخذُوا الشّبَه، فَقَتَلُوهُ ثمَّ صلبوه، وَكفر بِهِ بَعضهم اثني عشر مرّة بعد أَن آمن بِهِ، وافترقوا ثَلَاث فرق وَقَالَت طَائِفَة: كَانَ الله فِينَا مَا شَاءَ ثمَّ صعد إِلَى السَّمَاء فَهَؤُلَاءِ اليعقوبية، وَقَالَت فرقة: كَانَ فِينَا ابْن الله مَا شَاءَ ثمَّ رَفعه الله إِلَيْهِ وَهَؤُلَاء النسطورية، وَقَالَت فرقة: كَانَ فِينَا عبد الله وَرَسُوله وَهَؤُلَاء الْمُسلمُونَ، فتظاهرت الكافرتان على الْمسلمَة فَقَتَلُوهَا، فَلم يزل الْإِسْلَام طامساً حَتَّى بعث الله مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَأنْزل الله: ﴿**فآمنت طَائِفَة من بني إِسْرَائِيل**﴾ يَعْنِي: الطَّائِفَة الَّتِي آمَنت فِي زمن عِيسَى وكفرت الطَّائِفَة الَّتِي كفرت فِي زمن عِيسَى ﴿**فأيدنا الَّذين آمنُوا**﴾ فِي زمن عِيسَى بِإِظْهَار مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم دِينَهُمْ على دين الْكَافرين"[2].

---

(1) الدر المنثور، 597/3.

(2) المصدر السابق، 96/5، 97. أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) ، ح(11527) ، 299/10. الحديث موقوف، انظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت- عبد الصمد شرف الدين، 452/4، ط2(1403هـ - 1983م) ، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة. وقال ابن كثير: "وهذا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ"، تفسير القرآن العظيم، 450/2.

"وَأخرج عبد بن حميد،وَابْن جرير،وَابْن الْمُنْذر، عَن قَتَادَة ﷺ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قتلنَا الْمَسِيح﴾ الْآيَة، قَالَ: أُولَئِكَ أَعدَاء الله الْيَهُود افْتَخرُوا بقتل عِيسَى، وَزَعَمُوا أَنهم قَتَلُوهُ وصلبوه، وَذكر لنا أَنه قَالَ لأَصْحَابه: أَيّكُم يقذف عَلَيْهِ شبهي فَإِنَّهُ مقتول، قَالَ رجل من أَصْحَابه: أَنا يَا نَبِي الله، فَقتل ذَلِك الرجل وَمنع الله نبيه وَرَفعه إِلَيْهِ"[1].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿شُبِّهَ لَهُم﴾ قَالَ: صلبوا رجلاً غير عيسَى، شبهوه بِعِيسَى يَحْسبُونَهُ إِيَّاه، وَرفع الله إِلَيْهِ عِيسَى حَياً"[2].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ قَالَ: يَعْنِي لم يقتلُوا ظنهم يَقِيناً"[3].

لقد حرف اليهود شريعة موسى عليه السلام، واتجهوا إلى الدنيا وزخرفها، يقول أحمد الشلبي: "حرف بنو إسرائيل شريعة موسى عليه السلام، وجعلوا همهم جمع المال، وامتد هذا التفكير إلى العلماء والرهبان، فأخذوا يحرضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران، وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم"[4].

فلما كان هذا وضع اليهود بعث الله عيسى عليه السلام متمماً ومصدقاً لشريعة موسى عليه السلام، وجاءت لتحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود هما:

1- شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم.

2- ادعاؤهم أنهم شعب مختار، وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله والناس، وبدونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق.

ولقد اشتد ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا يسوع يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين، وأن ليس هناك شعب مختار، وأن لا أحظياء في مملكة السماء.

وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى عليه السلام لعداء بني إسرائيل، وسخطهم ولم يؤمن معه إلا القليل منهم من الضعفاء، فخاف بنو إسرائيل أن تنتشر دعوته ومبادئه، فأغروا الحاكم الروماني على قتله، لكن الرومان لم يسمعوا لهم لأن دعوة عيسى عليه السلام كانت تدعو إلى

---

(1) الدر المنثور، 97/5. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 133/2.
(2) الدر المنثور، 97/5.
(3) المصدر السابق، 97/5، 98. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 133/2.
(4) المسيحية، أحمد شلبي، 49، ط10(1998) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الإصلاح الخلقي والديني ولم تتصل بالسياسة، لذلك الرومان لم يسمعوا منهم لأن هذه الدعوة لا تخصهم وخصوصاً أنهم وثنيون، ولم يستحق عيسى عليه السلام غضب الحاكم الروماني.

لكن اليهود لما رأوا هذا الموقف من الحاكم أخذوا يتقولون ويكذبون على لسان عيسى عليه السلام أمام الحاكم الروماني حتى غضب الحاكم وأصدر أمراً بالقبض على عيسى عليه السلام والحكم عليه بالإعدام صلباً[1].

لكن الله ألقى الشبه على أحد تلاميذ عيسى عليه السلام ولم يقتلوا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ النساء{157، 158}.

يقول ابن كثير في قوله: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ "أَيْ: رَأَوْا شَبَهَهُ فَظَنُّوهُ إِيَّاهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: مَنِ ادَّعَى قَتْلَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ سلَّمه مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَى، كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالٍ وسُعُر، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ أَيْ: وَمَا قَتَلُوهُ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ هُوَ، بَلْ شَاكِّينَ مُتَوَهِّمِينَ. ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾"[2].

وتؤكد الآية أمرين هما[3]:

1-"نفي وقوع القتل على المسيح عليه السلام صلباً أو عن طريق آخر غير الصلب الشاهد ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ**﴾.

2-نفي وقوع الصلب سواءً أمات على الصليب أو لم يمت الشاهد ﴿**وَمَا صَلَبُوهُ**﴾".

---

(1) انظر: المسيحية، 53، 54، بتصرف.

(2) تفسير القرآن العظيم، 449/2.

(3) موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، د. سارة بن حامد بن محمد العبادي، 455، ط1(1426هـ - 2005م) ، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية.

المطلب الرابع: موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم

إن موقف اليهود من الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حفل بكثير من الأحداث التي تستوجب الوقوف معها في رسالة كاملة، لكن سأقف في هذا المطلب مع عدد من الوقفات التي لم أتناولها في ثنايا هذه الرسالة، ومن هذه الوقفات إيذاء اليهود القولي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإيذاء اليهود البدني للرسول صلى الله عليه وسلم، وهوما يمكن بيانه من خلال الآتي:

أولاً: الإيذاء القولي للرسول صلى الله عليه وسلم

1-الآثار الواردة في طلبهم أن يكلموا الله

لقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى أثراً يبين طلب اليهود أن يكلموا الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ البقرة{118}، وهو كالتالي:

"أخرج ابن إسحاق، وَابن جَرِير، وَابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﷺقال: قال نافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ الآية"(1).

يتضح من الأثر السابق أن اليهود طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكلموا الله، قال ابن عطية: "وقد طلب عبد الله بن أبي أمية وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا، فنفى عنهم العلم لأنهم لا كتاب عندهم ولا اتباع نبوة، وقال مجاهد: هم النصارى لأنهم المذكورون في الآية أولاً، ورجحه الطبري، وقال ابن عباس: المراد من كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود، لأن رافع بن حريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أسمعنا كلام الله"(2).

---

(1) الدر المنثور، 574/1.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ت- عبد السلام عبد الشافي محمد، 202/1، ط1(1422هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت.

2-الآثار الواردة في طلبهم كتاباً خاصاً بهم

لقد ذكر السيوطي رحمة الله عليه عدداً من الآثار التي تبين طلب اليهود كتاباً خاصاً من الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة{108}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج ابن إسحاق، وَابن جَرِي، وَابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﷺقال: قال: رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه أو فجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك فأنزل الله في ذلك: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى﴾ إلى قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وكان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾ الآية"[1].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَّ جَهْرَةً﴾ النساء{153}.

"أخرج ابن جرير، عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فائتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيما﴾"[2].

"وأخرج ابن جرير، وَابن المنذر، عن ابن جريج في الآية قال: إن اليهود والنصارى قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: لن نبايعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله: من الله إلى فلان أنك رسول الله وإلى فلان أنك رسول الله فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية"[3].

(1) الدر المنثور، 554/1، 555.
(2) المصدر السابق، 93/5.
(3) المصدر السابق، 93/5.

ليس غريباً أن يطلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً خاصاً لهم فقد طلبوا من موسى عليه السلام أكبر من هذا كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾

يقول الرازي عن هذا السؤال أنه "من جَهَالَاتِ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ عند اللَّه فائتنا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ جُمْلَةً كَمَا جَاءَ مُوسَى بِالْأَلْوَاحِ، وَقِيلَ: طَلَبُوا أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى فُلَانٍ وَكِتَابًا إِلَى فُلَانٍ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّه، وَقِيلَ: كِتَابًا نُعَايِنُهُ حِينَ يُنَزَّلُ، وَإِنَّمَا اقْتَرَحُوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ لِأَنَّ مُعْجِزَاتِ الرَّسُولِ كَانَتْ قَدْ تَقَدَّمَتْ، وَحَصَلَتْ فَكَانَ طَلَبُ الزِّيَادَةِ مِنْ بَابِ التَّعَنُّتِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ وَإِنَّمَا أَسْنَدَ السُّؤَالَ إِلَيْهِمْ وَإِنْ وُجِدَ مِنْ آبَائِهِمْ فِي أَيَّامِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُمُ النُّقَبَاءُ السَّبْعُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَرَاضِينَ بِسُؤَالِهِمْ وَمُشَاكِلِينَ لَهُمْ فِي التَّعَنُّتِ"[1].

3-الآثار الواردة في سؤالهم عن الروح

لقد أورد السيوطي رحمه الله مجموعة من الآثار التي تبين سؤال اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء{85}، ومن ذلك ما يأتي:

"أَخْرَج ابن أبي شيبة، وَابن جَرِير، وَابن الْمنْذر، وَابن أبي حَاتِم، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ قال: يهود يسألونه"[2].

"وأخرج أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وَابن جَرِير، وَابن المنذر، وَابن حبان، وَابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي﷯ في معاً في الدلائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه، فقالوا: يا محمد ما الروح فما زال يتوكأ على العسيب وظننت أنه يوحى إليه فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾"[3].

---

(1) مفاتيح الغيب، 256/11.

(2) الدر المنثور، 431/9.

(3) المصدر السابق، 431/9، 432. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ، ح(125) ، 37/1. بنحو اللفظ تقريباً.

يتضح مما سبق من آثار أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح على سبيل التعنت ويدلل ذلك قولهم لبعضهم البعض سلوه، وقول البعض الآخر لا تسالوه.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود قد طلبوا من قريش أن يسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم عن ثلاث من بينها الروح: "سلوا محمدا عن ثلاث، فإن أخبركم باثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي: سلوه عن فتيه فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية فِي الكهف وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، وذلك أنه ليس فِي التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسم الروح، وأنزل قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾"[1].

4-السخرية والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم

أ-قولهم السام عليكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد أدرج السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار التي توضح قول اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم السام عليكم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ المجادلة{8}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج أحمد، وعَبد بن حُمَيد، والبزار، وَابن المنذر، والطبراني، وَابن مردويه، والبيهقيﷺ في شعب الإيمان بسند جيد عن ابن عمرو رضي الله عنه أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى اللله عليه وسلم: سام عليك يريدون بذلك شتمه، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾[2].

"وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعَبد بن حُمَيد، والبخاري، ومسلم، وَابن المنذر، وَابن أبي حاتم، وَابن مردويه، والبيهقي ﷺفي الشعب، عن عائشة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، 125/3، ط1(1415هـ - 1994م) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(2) الدر المنثور، 14، 318.

عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما سمعت أقول: وعليكم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾"[1].

يقول القرطبي: "لَا خِلَافَ بَيْنَ النَّقَلَةِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْيَهُودُ، كَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ: السَّامُّ عَلَيْكَ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ السَّلَامَ ظَاهِرًا وَهُمْ يَعْنُونَ الْمَوْتَ بَاطِنًا، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عَلَيْكُمْ) فِي رِوَايَةٍ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (وَعَلَيْكُمْ)"[2].

ويقول ابن تيمية: "فأخبر أنهم يحيون الرسول تحية منكرة وأخبر أن العذاب في الآخرة يكفيهم عليها فعلم أن تعذيبهم في الدنيا ليس بواجب"[3].

ب-قولهم راعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي توضح معنى قول اليهود راعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة{104}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج أبو نعيم في الدلائل، عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ وذلك أنها سبة بلغة اليهود، فقال تعالى: ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ يريد اسمعنا فقال المؤمنون بعدها: من سمعتموه يقولها فاضربوا عنقه فانتهت اليهود بعد ذلك"[4].

"وأخرج ابن جرير، وَابن المنذر عن السدي ﷺقال: كان رجلان من اليهود مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد، إذا لقيا النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قالا له وهما يكلمانه: راعنا سمعك واسمع غير مسمع فظن المسلمون أن هذا شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ الآية"[5].

---

(1) الدر المنثور، 14، 319. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ح(6024)، 21/8، بنحو اللفظ تقريباً.
(2) الجامع لأحكام القرآن، 292/17.
(3) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، ت- محمد محي الدين عبد الحميد، 221، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
(4) الدر المنثور، 539/1.
(5) المصدر السابق، 540/1.

يذكر الماوردي أن المفسرين اختلفوا في سبب النهي عن قول راعنا على ثلاثة أقوال[1]:

1- أنها كلمة كانت اليهود تقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاستهزاء والسب، كما قالوا سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع، وراعنا ليّاً بألسنتهم، فَنُهِيَ المسلمون عن قولها، وهذا قول ابن عباس وقتادة.

2- أن القائل لها، كان رجلاً من اليهود دون غيره، يقال له رفاعة بن زيد، فَنُهِيَ المسلمون عن ذلك، وهذا قول السدي.

3- أنها كلمة، كانت الأنصار في الجاهلية تقولها، فنهاهم الله في الإسلام عنها.

يقول ابن كثير: "نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُعَانُون مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَوْرِيَةٌ لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ التَّنْقِيصِ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: اسْمَعْ لَنَا يَقُولُونَ: رَاعِنَا، يُورُونَ بِالرُّعُونَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ النساء{46}، وَكَذَلِكَ جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ بِالْإِخْبَارِ عَنْهُمْ، بِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَلَّموا إِنَّمَا يَقُولُونَ: السامُ عَلَيْكُمْ، وَالسَّامُ هُوَ: الْمَوْتُ"[2].

5- الآثار الواردة في محاولتهم فتنة النبي صلى الله عليه وسلم

حاول اليهود فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول، ولقد ذكر السيوطي رحمه الله آثاراً توضح المعنى المقصود من محاولة فتنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء تحت قوله تعالى: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ**﴾ المائدة{49}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الأثر التالي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ كَعْب بن أَسد، وَعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، اذْهَبُوا بِنَا إِلَى مُحَمَّد لَعَلَّنَا نفتنه

(1) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي، ت- السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، 169/1، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(2) تفسير القرآن العظيم، 373/1.

عَن دينه، فَأتوهُ فقَالُوا: يا محمد إنَّك عرفت أَنا أَحْبَار يهود وأشرافهم وساداتهم، وَإنَّا إن اتَّبَعْنَـــاك اتَّبعنَا يهود ولَم يخالفونا، وَإن بَيْننَا وَبَين قَومنَا خُصُومَة فنحاكمهم إِلَيْك فتقضي لنا عَلَيْهِم ونؤمن لَك ونصدقك فَأبى ذَلِك، وَأنزل الله عز وَجل فيهم: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ إِلَـــى قَوْلـــه ﴿لقوم يوقنون﴾"[1].

يقول الرازي في تفسير ولا تتبع أهواءهم: "وَقَوْلُهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْيَهُودَ اجْتَمَعُوا وَأَرَادُوا إِيقَاعَهُ فِي تَحْرِيفِ دِينِهِ فَعَصَمَهُ اللَّه تَعَالَى عَنْ ذلك"[2].

وذهب ابْنُ عَبَّاس في قوله واحذرهم أن يفتنوك: "يُرِيدُ بِهِ يَرُدُّوكَ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، فَإِنَّ كُـــلَّ مَنْ صُرِفَ مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ فَقَدْ فُتِنَ، وَمِنْهُ قوله: ﴿وَإِنْ كـادُوا لَيَفْتِنُونَـكَ﴾ الإســـراء{73} والفتنة هاهنا فِي كَلَامِهِمُ الَّتِي تُمِيلُ عَنِ الْحَقِّ وَتُلْقِي فِي الْبَاطِلِ"[3].

---

(1) الدر المنثور، 343/5، 344.
(2) مفاتيح الغيب، 12، 373.
(3) المصدر السابق، 12، 374.

ثانياً: الإيذاء البدني للرسول صلى الله عليه وسلم

1-الآثار الواردة في سحرهم الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى عند هذه الآية عدداً التي تثبت سحر اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ الفلق{1-5}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج عبد بن حميد فِي مُسْنده، عَن زيد بن أسلم، قَالَ: سحر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم رجل من الْيَهُود فاشتكى فَأَتَاهُ جِبْرِيل فَنزل عَلَيْهِ بالمعوذتين وَقَالَ: إِن رجلاً من الْيَهُود سحرك وَالسحر فِي بِئْر فلَان، فَأرْسل علياً فجَاء بِهِ، فَأمره أَن يحل العقد وَيقْرَأ آيَة، فَجعل يقْرَأ وَيحل حَتَّى قَامَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَأَنَّمَا نشط من عقال"(1).

"وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه، من طَرِيق عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا، أَن لبيد بن الأعصم الْيَهُودِيّ سحر النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَجعل فِيهِ تمثالاً فِيهِ إِحْدَى عشرَة عقدَة فَأَصَابَهُ من ذَلِك وجع شَدِيد فَأَتَاهُ جِبْرِيل وَمِيكَائِيل يعودانه فَقَالَ مِيكَائِيل: يَا جِبْرِيل إِن صَاحبك شَاك، قَالَ: أجل، قَالَ: أَصَابَهُ لبيد بن الأعصم الْيَهُودِيّ، وَهُوَ فِي بِئْر مَيْمُون فِي كدية تَحت صَخْرَة المَاء، قَالَ: فَمَا وَرَاء ذَلِك قَالَ: تنزح الْبِئْر ثمَّ تقلب الصَّخْرَة فتأخذ الكدية فِيهَا تِمْثَال فِيهِ إِحْدَى عشرَة عقدَة فتحرق فَإِنَّهُ يبرأ بِإِذن الله فَأرْسل إِلَى رَهْط فيهم عمار بن يَاسر فنزح المَاء فوجدوه قد صَار كَأَنَّهُ مَاء..."(2).

يتبين من خلال الآثار السابقة أن الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم هو رجل من اليهود يقال له لبيد بن الأعصم، وقد جاء في صحيح البخاري ومسلم ما يؤكد سحر النبي صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: "سَحَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ:

(1) الدر المنثور، 15، 792، 793.

(2) المصدر السابق، 15، 793.

لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ "قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ"[(1)].

يقول الإمام الألباني: "اعلم أن هذا الحديث صحيح الإسناد بلا ريب، ولقد أخطأ السيد رشيد رضا رحمه الله ومن قلده في تضعيفه لهذا الحديث، وأثاروا حوله شبهات عقلية هي في الحقيقة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، وليس في الحديث سوى أنه مرض صلى الله عليه وسلم وأنه يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن، والله سبحانه الذي حفظه من أن يخطئ في التشريع وهو كبشر يمكن أن يخطئ، ولكن الله عصمه، فكذلك الله حفظه وهو بشر قد سحر، ومن شأن البشر أن يسحر، فأي شيء في هذا السحر الذي أصابه صلى الله عليه وسلم، وقد أصاب مثله موسى عليه السلام بنص القرآن: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ فهل مس ذلك من مقام موسى عليه السلام كلا ثم كلا، وكذلك الشأن في الحديث، فتأمل منصفاً...، والحديث صحيح لا شك فيه، فإن له شواهد صحيحة في "المسند"وغيره، ولا متمسَّك فيه للطاعنين في عصمته – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا لأشباههم ممن يردون الحديث الصحيح لأدنى شبهة ترد عليهم من أمثال أولئك الطاعنين، فإن الحديث يدور حول أمر دنيوي محض لا علاقة له بالتشريع، فأي ضير على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يُسحر سحراً يؤدي به إلى حالة من المرض والوجع..."[(2)].

2-محاولة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بني النضير[(3)]، ومن خلال السم الشاة المسمومة التي قدموها لرسول الله صلى الله عليه وسلم[(4)].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح(3268) ، 122/4. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب السحر، ح(2189) ، 1719/4، واللفظ لمسلم.

(2) موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، الإمام الألباني، 226/8، 227، ط1(1431هـ – 2010م) ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن.

(3) انظر: 101 من البحث.

(4) انظر: 120 من البحث.

المبحث الخامس

الآثار الواردة في الإيمان باليوم الآخر عند اليهود

يتسم الإيمان باليوم الآخر عند اليهود في كتبهم بالغموض، أما من خلال الآثار التي جاءت تحت بعض آيات القرآن في تفسير السيوطي رحمه الله فيتبين ويتضح إيمانهم باليوم الآخر، وفي هذا المبحث سنقف مع موقفهم من اليوم الآخر من خلال مطلبين.

المطلب الأول: حرصهم على الحياة مع إيمانهم بالموت

الإيمان بالموت والساعة عند اليهود واضح من خلال الآثار التي أوردها السيوطي في تفسيره، وسيتمحور حديثنا في نقطتين.

أولاً: الآثار الواردة في حرصهم على الحياة مع إيمانهم بالموت

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية وغيرها عدداً من الآثار التي تبين حرص اليهود على الحياة مع إيمانهم بالموت، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة{96}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن أبي حَاتِم، وَالْحَاكِم وَصَححهُ، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ قَالَ: الْيَهُود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ قَالَ: الْأَعَاجِم"[1].

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس ﷺفِي قَوْله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ يَعْنِي الْيَهُود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ وَذَلِكَ أَن الْمُشرك لَا يَرْجُو بعثاً بعد الْمَوْت فَهُوَ يحب طول الْحَيَاة، وَأَن الْيَهُودِيّ قد عرف مَا لَهُ فِي الْآخِرَة من الخزي بِمَا ضيع بِمَا عِنْده من الْعلم ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ ﴾ قَالَ: بمنجيه"[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾البقرة{94، 95}.

---

(1) الدر المنثور، 474/1.

(2) المصدر السابق، 474/1، 475. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 201/1.

"وَأخرج الْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن ابْن عَبَّاس فِي هَذِه الْآيَة قَالَ: قل لَهُم يَـا مُحَمَّـد: ﴿**إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾ يَعْنِي الْجنَّة كَمَا زعتم ﴿**خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ**﴾ يَعْنِـي الْمُـؤمنِينَ ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ أنها لكم خَالِصَة من دون المؤمنين، فَقَالَ لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (إِن كُنْتُم فِي مَقَالَتكُمْ صَادِقين قُولُوا: اللَّهُمَّ أمتنَا فوالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يَقُولهَا رجل مِنْكُم إِلَّا غص بريقه فَمَاتَ مَكَانَهُ) فَأَبَوا أَن يَفْعَلُوا، وكرهوا مَا قَالَ لَهُم، فَنزل: ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ يَعْنِي عملته أَيْديهم، ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ أَنَّهُم لن يَتَمَنَّوْهُ، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عِنْد نزُول هَذِه الْآيَة: (وَالله لَا يتمنونه أبدا)"[1].

"وَأخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن أبي حَاتِم، عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه فِي قَوْله: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**﴾ أَي: ادعوا بِالْمَوْتِ على أَي الْفَرِيقَيْنِ أكذب. فَأَبَوا ذَلِك، وَلَو تمنوه يَوْم قَالَ ذَلِك، مَا بَقِي على وَجه الأَرْض يَهُودِيّ إِلَّا مَاتَ"[2].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس، فِي قَوْله: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾ يَعْنِي: الْجنَّة ﴿**خَالِصَةً**﴾ خَاصَّة، ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ**﴾ فاسألوا الْموْت، ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**﴾، لأنهم يعلمُـونَ أَنهم كاذبون، ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ**﴾ قَالَ: أسلفت"[3].

"وَأخرج أَحْمد، وَالْبُخَارِيّ، وَالتِّرْمِذِيّ، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مرْدَوَيْه، وَأَبُو نعيم، عَـن ابْـن عَبَّاس، عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ: (لَو أَن الْيَهُود تمنوا الْموْت لمـاتوا، ولـرأوا مَقَاعِدهمْ من النَّار)"[4].

الآيات والآثار السابقة تبين لنا حرص اليهود على الحياة مع إيمانهم بالموت، حياة ذليلة حقيـرة مهينة، المهم أنها حياة، وقد تم التفصيل في الموضوع أكثر عند الحـديث عـن حـبهم للـدنيا وحرصهم على أحقر حياة[5].

---

(1) الدر المنثور، 472/1، 473. "وهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس"، الصحيح المسبور، 42/1.
(2) الدر المنثور، 473/1.
(3) المصدر السابق، 473/1.
(4) المصدر السابق، 274/1. تم تخريجه 93 من هذا البحث.
(5) انظر: 94 من هذا البحث.

ثانياً: الآثار الواردة في إيمانهم بالساعة

لقد ذكر السيوطي عند هذه الآية وغيرها عدداً من الآثار التي تبين إيمان اليهود بالساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف{187}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَأَبُو الشَّيْخ، عَن ابْن عَبَّاس﷛ قَالَ: قَالَ جبل بن أبي قُشَيْر، وسمول بن زيد لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: أخبرنَا مَتى السَّاعَة إِن كنت نَبيا كَمَا تَقول، فَإنَّا نعلم مَا هِيَ فَأنْزل الله: ﴿يَسْأَلُونَك عَن السَّاعَة أَيَّانَ مرْسَاها قل إِنَّمَا علمهَا عِنْد رَبِّي﴾ إِلَى قَوْله: ﴿وَلَكِن أَكثر النَّاس لَا يعلمُونَ﴾"[1].

الإيمان بالساعة من أركان الإيمان، ولأن شريعة الرسل من مصدر واحد فهم متفقون في العقائد، فأساس الديانة اليهودية يقر بالبعث والنشور والساعة، لأن الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى الناس كلهم يدعون إلى عقيدة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ النساء{163}.

وآيات القرآن الكريم تبين إيمان بني إسرائيل باليوم الآخر، فهذا يوسف عليه السلام يقول كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ يوسف{37، 38}.

ويقول تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ طه{15، 16}.

ويقول مؤمن آل فرعون كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ غافر{38، 39}.

---

(1) الدر المنثور، 693/6. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 368/2

"وَقد كَانَ أَمر الْمعَاد مشتهراً فِي أهل الْكتاب، وَكَانُوا يتحدثون بِهِ وَاسْتمرّ ذَلِك فِيهِم استمراراً ظَاهراً، وَعلم بِهِ غَيرهم من أهل الْأَوْثَان لما كَانُوا يسمعُونَ مِنْهُم، وَمن ذَلِك مَا أخرجه ابْن إِسْحَاق قَالَ: حَدثنَا صَالح بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحْمَن بن عَوْف، عَن مَحْمُود بن لبيد، عَن سَلامَة بن سَلامَة بن وقش، قَالَ: كَانَ بَين أَبْيَاتنَا يَهُودِيّ، فَخرج على نَادِي قومه بني عبد الْأَشْهَل ذَات غَدَاة، فَذكر الْبَعْث وَالْقِيَامَة وَالْجنَّة وَالنَّار والحساب وَالْمِيزَان، فَقَالَ: ذَلِك لأَصْحَاب وثن لَا يرَوْنَ أَن بعثاً كَائِن بعد الْمَوْت، وَذَلِكَ قبل مبعث رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالُوا: وَيحك يَا فلَان أَو وَيلك وَهَذَا كَائِن أَن النَّاس يبعثون بعد مَوْتهمْ إِلَى دَار فِيهَا جنَّة ونار يجزون من أَعْمَالهم، قَالَ: نعم، وَالَّذِي يحلف بِهِ لَوَدِدْت أَن حظي من تِلْكَ النَّار أَن توقدوا أعظم تنور فِي داركم فتحمونه ثمَّ تقذفوني فِيهِ ثمَّ تطينون عَليّ وَأَنِّي أنجو من تِلْكَ النَّار غداً، فَقيل: يَا فلَان فَمَا عَلامَة ذَلِك، فَقَالَ: نَبِي يبْعَث من نَاحيَة هَذِه الْبِلَاد وَأَشَارَ إِلَى مَكَّة واليمن بِيَدِهِ قَالُوا: فَمَتَى نرَاهُ فَرمى بطرفه فرآني وَأَنا مُضْطَجع بفنَاء بَاب أَهلِي وَأَنا أحدث الْقَوْم، فَقَالَ: إِن يستنفذ هَذَا الْغُلَام عمره يُدْرِكهُ"[1].

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تبين إيمان اليهود باليوم الآخر، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ المَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: صَدَقَتَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ كُلُّهَا فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلاَةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ) [2].

والشوكاني رحمه الله ينفي إنكار اليهود لليوم الآخر، حيث يقول: "وَأهل الْكتاب إِلَى عصرنا هَذَا يقرونَ بالمعاد وَالْجنَّة وَالنَّار والحساب وَالْعِقَاب وَالنَّعِيم وَالثَّوَاب، وَلَا يُنكر ذَلِك مِنْهُم مُنكر وَلَا يُخَالف فِيهِ مُخَالف، وَإِذا قيل لَهُم قد قَالَ قَائِل إِنَّكُم لَا تثبتون ذَلِك أَنْكَرُوا أَشد إِنْكَار، فَمن روى عَنْهُم مَا يُخَالف ذَلِك فقد افترى وَجَاء بِمَا ترده الْأَحْيَاء مِنْهُم والأموات وَبِمَا تبطله الرُّسُل الْمُرْسلَة إِلَيْهِم والكتب النَّازِلَة عَلَيْهِم حَسْبَمَا قد حكينا لَك فِي هَذَا الْمُخْتَصر"[3].

---

(1) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت- جماعة من العلماء بإشراف الناشر، 23، 24، ط1(1404هـ - 1984م) ، دار الكتب العلمية، لبنان.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، ح(6366) ، 78/8.

(3) إرشاد الثقات، 24.

لكن موقف الشوكاني بأن اليهود لا ينكرون البعث يخالفه فيه عبد الكريم الخطيب، حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ الممتحنة{13} "إشارة إلى موقف اليهود من الحياة الآخرة، وأنهم في شكّ منها وفى يأس من لقائها، فهم مع إيمانهم بالله، على عقيدة بأن لا بعث بعد الموت، وأن الناس إنما يوفّون جزاءهم في هذه الحياة الدنيا، ولهذا فإنهم يستنفدون كلّ جهدهم في العمل لما يبنى حياتهم الدنيوية، دون أن تكون منهم لفتة إلى ما وراء هذه الحياة، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ الجاثية{32}، هذا هو المعتقد الغالب على اليهود، فيما يتصل بالبعث، وبالحياة الآخرة، وإن كانت شريعتهم التي جاءهم بها موسى، تدعو إلى الإيمان بالحياة الآخرة، وإلى العمل لها، ولكن القوم يتأولون نصوص الشريعة، ويلوونها مع أهوائهم، حتى كانت الحياة الآخرة عندهم أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة"[1].

ويؤكد ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب ما ذكره الدكتور محمود عبد الرحمن قدح حيث يذكر إنكار بعض فرق اليهود كالصدوقيين قيام الأموات، وتعتقد أن الجزاء والحساب يحصلان في الدنيا، وبعض فرقهم تعتقد أن اليوم الآخر هو ظهور المسيح المنتظر وقيام مملكة يهود العالمية[2].

ولعل ما يؤكد رأي الخطيب وقدح هو قلة ورود النصوص التي تتحدث عن اليوم الآخر في التوراة بعد تحريفها، رغم كثرة الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر في القرآن على لسان أنبيائهم، يقول يسر مبيض صاحب كتاب اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة: "أما ما ورد في التوراة فهو عبارة عن إشارات بسيطة عن يوم الجزاء وأنه قد يكون في الدنيا،...، ولهذا يقول اليهود السامريون إن في التوراة نصاً يدل على يوم القيامة، وإن العبرانيين حرفوه إلى يوم الجزاء، وقد يكون يوماً من أيام هذه الحياة الدنيا"[3].

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، 912/14، 913.

(2) انظر: الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، محمود عبد الرحمن قدح، 369، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، العدد111، نقلاً عن كتاب قصة الحضارة، ول ديورانت، 245/2، 246.

(3) اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يسر محمد سعيد مبيض، 51، ط1(1412هـ – 1992م) ، دار الثقافة، قطر.

والنص هو كما في سفر التثنية: "أَلَيْسَ ذلِكَ مَكْنُوزًا عِنْدِي، مَخْتُومًا عَلَيْهِ فِي خَزَائِنِي؟ لِيَ النَّقْمَةُ وَالْجَزَاءُ. فِي وَقْتٍ تَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ. إِنَّ يَوْمَ هَلاَكِهِمْ قَرِيبٌ وَالْمُهَيَّآتُ لَهُمْ مُسْرِعَةٌ"[1].

وهناك عدد من النصوص في التوراة التي تشير إشارة فقط، يقول يسر مبيض: "هذه الإشارات كلها محدودة جداً، ولا تعطي فكرة واضحة عن اليوم الآخر، كما يجب أن ترد في كتاب سماوي، ولكنها تصرح أن هناك جنة ونعيم، وهناك نار وجحيم، وحياة أبدية"[2].

وخلاصة الأمر نقول: "يؤمن اليهود باليوم الآخر ولكنه لم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وكأن ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا"[3].

(1) سفر التثنية، 32: 34، 35.
(2) اليوم الآخر في الأديان، 55.
(3) المصدر السابق، 56.

المطلب الثاني: إيمانهم بالجنة والنار

الإيمان بالجنة والنار من مضمونات الإيمان باليوم الآخر، والسيوطي في تفسيره أورد آثاراً تتحدث عن إيمان اليهود بالجنة والنار.

أولاً: الآثار الواردة في إيمانهم بالجنة والنار

لقد أورد السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين إيمان اليهود بالجنة والنار، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ آل عمران{133}، ومن ذلك ما يأتي:

"أخرج البزار، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أريت قوله: ﴿**وجنة عرضها السماوات والأرض**﴾ فأين النار؟ قال: أريت الليل إذا لبس كل شيء، فأين النار؟ قال: حيث شاء الله، قال: فكذلك حيث شاء الله"[1].

"أخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، عَن طَارق بن شهَاب، أَن أناساً من الْيَهُود سَأَلُوا عمر بن الْخطاب عَن: ﴿**جنَّة عرضهَا السَّمَوَات وَالْأَرْض**﴾ فَأَيْنَ النَّار؟ فَقَالَ عمر: إِذا جَاءَ اللَّيْل أَيْنَ النَّهَار؟ وَإِذا جَاءَ النَّهَار أَيْن اللَّيْل؟ فَقَالُوا: لقد نزعت مثلهَا من التَّوْرَاة"[2].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، عَن يزِيد بن الْأَصَم، أَن رجلاً من أهل الكتاب قَالَ لِابْنِ عَبَّاس: تَقولُونَ: ﴿**وجنة عرضها السماوات والأرض**﴾ فَأَيْنَ النَّار؟ فَقَالَ لَهُ ابْن عَبَّاس: إِذا جَاءَ اللَّيْل فَأَيْنَ النَّهَار؟ وَإِذا جَاءَ النَّهَار فَأَيْنَ اللَّيْل؟"[3].

يتضح من الآثار السابقة أن اليهود يقرون بوجود الجنة والنار، وأن ذلك موجود في التوراة عندهم، وقد أوضحنا في المطلب السابق اتفاق الأديان في دعوتهم.

---

(1) الدر المنثور، 6/4. أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان، باب وأما حديث معمر، ح(103) ، 92/1. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَا أَعْلَمُ لَهُ عِلَّةً وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وقال الذهبي: "على شرطهما ولا أعلم له علة".

(2) الدر المنثور، 7/4.

(3) المصدر السابق، 7/4.

ثانياً: الآثار الواردة في زعمهم أنهم لا يعذبون في النار إلا فترة محدودة

أورد السيوطي عند هذه الآية عدداً من الآثار التي تبين زعم اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا فترة محدودة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة{80}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن إِسْحَاق، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَالطَّبَرَانِيّ، والواحدي، عَن ابْن عَبَّاس، أَن يهود كَانُوا يَقُولُونَ: مُدَّة الدُّنْيَا سَبْعَة آلَاف سنة، وَإِنَّمَا نعذب لكل ألف سنة من أَيَّام الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا فِي النَّار، وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَة أَيَّام معدودات، ثمَّ يَنْقَطِع الْعَذَاب فَأنْزل الله فِي ذَلِك: ﴿وَقَالُوا لن تمسنا النَّار﴾ إِلَى قَوْله: ﴿هم فِيهَا خَالدُونَ﴾"[1].

"وَأخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس، أَن الْيَهُود قَالُوا: لن تمسنا النَّار إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مُدَّة عبَادَة الْعجل"[2].

"وَأخرج عبد بن حميد، وَابْن جرير، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، عَن عِكْرِمَة، قَالَ: اجْتمعت يهود يَوْمًا فخاصموا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَقَالُوا: ﴿لن تمسنا النَّار إِلَّا أَيَّامًا معدودة﴾، وَسموا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثمَّ يخلفنا فِيهَا نَاس، وأشاروا إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ورد يَده على رؤوسهم: (كَذبْتُمْ بل أَنْتُم خَالدُونَ مخلدون فِيهَا لَا نخلفكم فِيهَا إِن شَاءَ الله تَعَالَى أبداً) ففيهم أنزلت هَذِه الْآيَة: ﴿وَقَالُوا لن تمسنا النَّار إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَة﴾ يعنون أَرْبَعِينَ لَيْلَة"[3].

"أخرج أَحْمد، وَالْبُخَارِيّ، والدارمي، وَالنَّسَائِيّ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الدَّلَائِل، عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: لما افتتحت خَيْبَر أهديت لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم شَاة فِيهَا سم، فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (اجْمَعُوا لي من كَانَ هَهُنَا من الْيَهُود) فَقَالَ لَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أبوكم؟) قَالوا: فلَان.

قَالَ: (كَذبْتُمْ بل أبوكم فلَان).

قَالُوا: صدقت وبررت.

---

(1) الدر المنثور، 447/1. إسناده حسن، انظر: الصحيح المسبور، 184/1.
(2) المصدر السابق، 448/1.
(3) المصدر السابق، 448/1.

ثمَّ قَالَ لَهُم: (هَل أَنْتُم صادقيّ عَن شَيْء إِن سألتكم عَنهُ؟) قَالُوا: نعم يَا أَبَا الْقَاسِم وَإِن كذبناك عرفت كذبنَا كَمَا عَرفته فِي أَبينَا.

فَقَالَ لَهُم: (من أهل النَّار؟)، قَالُوا: نَكُون فِيهَا يَسِيراً ثمَّ تخلفونا فِيهَا.

فَقَالَ لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: (اخْسَئُوا، وَالله لَا نخلفكم فِيهَا أبداً)"[1].

يتبين من الآثار السابقة زعم اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا فترة محدودة حيث زعموا أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنهم يعذبون عن كل ألف سنة يوم لذلك سيعذبون في النار سبعة أيام، وقالوا الأن مدة الفترة التي سيمكثون فيها في النار هي أربعين يوماً مدة عبادتهم للعجل، وقد تم التفصيل في الموضوع أكثر عند الحديث عن الغرور وزعمهم النجاة من النار[2].

ثالثاً: الآثار الواردة في زعمهم أن ذنوبهم مغفورة

لقد ذكر السيوطي رحمه الله عند هذه الآية مجموعة من الآثار التي تبين زعم اليهود أن ذنوبهم مغفورة، قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ الأعراف{169}، وهو ما يمكن بيانه من خلال الآتي:

"أخرج ابْن جرير، عَن ابْن عَبَّاس ﴿**فخلف من بعدهمْ خلف**﴾ الْآيَة، يَقُول: يَأْخُذُونَ مَا أَصَابُوا ويتركون مَا شاءوا من حَلَال أَو حرَام، وَيَقُولُونَ: سيُغفر لنا"[3].

"وَأخرج سعيد بن مَنْصُور، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم، وَأَبُو الشَّيْخ، وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب، عَن سعيد بن جُبَير ﷺ فِي قَوْله: ﴿**يَأْخُذُونَ عرض هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سيُغفر لنا**﴾ قَالَ: كَانُوا يعْملُونَ بِالذنُوبِ وَيَقُولُونَ: سيُغفر لنا"[4].

"وَأخرج أَبُو الشَّيْخ، عَن السّديّ، قَالَ: كَانَت بَنو إِسْرَائِيل لَا يستقضون قَاضِياً إِلَّا ارتشى فِي الحكم، فَإِذا قيل لَهُ، يَقُول: سيُغفر لي"[5].

---

(1) الدر المنثور، 449/1، 450، تم تخريجه 113 من هذا البحث.

(2) انظر: 113 من البحث.

(3) الدر المنثور، 643/6.

(4) المصدر السابق، 643/6.

(5) المصدر السابق، 644/6.

اليهود يؤمنون باليوم الآخر وبالجنة والنار، لكن على أهواءهم الشخصية فيزعمون مرة أنهم لن يخلدوا في النار إلا فترة محدودة، وفي هذه الآثار يتبين لنا أنهم مهما عملوا من ذنوب فإن ذنوبهم مغفورة.

وهنا نقول من أين لهم هذه المواثيق والعهود؟ والله سبحانه وتعالى قد كذبهم من خلال القرآن في ذلك قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ الأعراف{169}.

وفي ضوء ما ذكرنا في هذا الفصل يتبين لنا موقف اليهود من أركان الإيمان، فالإيمان بالله عند اليهود شابه كثير من الشائبات تمثل ذلك بنسبة الصفات البشرية لله، وكذلك الشرك به سبحانه وتعالى، وأما عن موقفهم من الملائكة فقد ظهر زعمهم أن الملائكة بنات الله، والعداوة الواضحة لجبريل عليه السلام، وبالنسبة لموقفهم من الكتب السماوية ظهر جلياً تحريف اليهود للتوراة والإنجيل، ومحاولة التشكيك في القرآن، وأما عن موقفهم من الأنبياء فقد تبين قتل اليهود وتكذيبهم لأنبيائهم، وتمثل موقفهم من أنبيائهم بكثير من الافتراءات التي زعموها لأنبياء الله، وفي نهاية الفصل تحدثت عن موقف اليهود من اليوم الآخر، وقد تبين حرص اليهود على أحقر حياة مع إيمانهم بالموت، وتبين إيمانهم بالساعة رغم قلة ذكرها في كتبهم، ومن ثم إيمانهم بالجنة والنار رغم زعمهم أنهم لا يعذبون فيها إلا فترة محدودة، وزعمهم أن ذنوبهم مغفورة.

الخاتمــة

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج

1- دقة السيوطي في عزوه إلى مظان الآثار التي خرجها، وتبين ذلك من خلال التخريج لبعض الآثار.

2- استدلال السيوطي بالأحاديث الضعيفة والموضوعة إضافة إلى الصحيحة، وتبين ذلك من خلال الدراسة؟

3- معظم القصص القرآني التي تحدث عنها القرآن تتعلق ببني إسرائيل وأحوالهم، وهذا يدعونا إلى التأمل في صفات وأخلاق ومواقف بني إسرائيل، للاستفادة منها في حياتنا اليومية.

4- إن الله سبحانه وتعالى خاطبهم في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم ببني إسرائيل، وعندما ذمهم باتباع المعاصي والكفر بالله خاطبهم باليهود.

5- كثرة النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، ومع ذلك قابلوا ذلك بالمعصية والجحود والإنكار.

6- عقاب الله لبني إسرائيل بسبب معاصيهم وتعنتهم، ومن ذلك الصاعقة والتيه.

7- صفات بني إسرائيل التي وردت في القرآن الكريم، والتي ظهرت من خلال الدراسة أيضاً، تظهر حقيقة الشخصية اليهودية السلبية، ومن ذلك حب الدنيا، الغرور، والكذب، ونقض العهود، وهذا يرشدنا إلى كيفية التعامل السليم مع اليهود.

8- كفر اليهود بالله من خلال الشرك به بعبادة العجل، ونسبة الصفات البشرية له مثل الولد والفقر والبخل والتعب وغير ذلك.

9- عدم توقير اليهود للملائكة والذي تمثل بالعداوة الواضحة لجبريل عليه السلام.

10-تحريف اليهود للتوراة والإنجيل، وعدم الإيمان بالقرآن الكريم.

11- افتراء اليهود على أنبياء الله تعالى وعدم الإيمان بهم، مثل افترائهم على إبراهيم وإسماعيل وسليمان وداود عليهم جميعاً السلام.

12-إيمان اليهود باليوم الآخر وفق الأهواء الشخصية، ومن ذلك زعمهم أنهم لا يعذبون بالنار إلا فترة محدودة.

13-عدم وجود آثار تتحدث عن إيمان اليهود بالقضاء والقدر أو حتى كتب تتكلم عن هذا الموضوع عن اليهود.

ثانياً: التوصيات

يوصي الباحث بدراسة الموضوعات التالية:

1- تخريج الآثار الواردة في الدر المنثور والحكم عليها.

2- دراسة بعض المواضيع الفرعية بتوسع أكثر من خلال كتب التفسير، مثل الآثار الواردة في صفات اليهود فقط في كتاب معين من كتب التفسير.

3- دراسة بعض الموضوعات الفرعية من خلال التوراة والتلمود، مثل صفات اليهود من خلال التوراة والتلموذ ومقارنتها بالقرآن.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ... ﴾	63	125
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾	65	86
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا... ﴾	67	107
﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ... ﴾	68	107
﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ... ﴾	72	107
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً... ﴾	74	106
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ... ﴾	75	181
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا... ﴾	76	39
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	78	133
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... ﴾	79	103، 132
﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا... ﴾	80	112، 233
﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ... ﴾	81	113
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ... ﴾	83	124، 196
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ... ﴾	84	125
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ	87	104، 196
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾	88	77، 108
﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ... ﴾	89	104، 192
﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ... ﴾	90	68، 103
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ... ﴾	91	140

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾	93	125، 162
﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا...﴾	94	92، 226
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ...﴾	96	92، 226
﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	97	122
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	98	175
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾	99	193
﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	100	130
﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	101	19، 103
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا...﴾	104	221
﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ...﴾	108	240، 218
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ...﴾	109	29، 118
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾	111	26، 92
﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ...﴾	112	33، 111
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ...﴾	113	187
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	117	146
﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ...﴾	118	217
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ...﴾	120	أ، 105
﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ...﴾	135	111
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾	136	112

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ... ﴾	140	199
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ... ﴾	143	41
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾	174	91، 185
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ... ﴾	178	32
﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾	223	135
﴿من ذَا الَّذِي يقْرض الله قرضاً حسناً ﴾	245	151
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ... ﴾	246	97
﴿وَقال لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً ﴾	247	97
﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾	249	96، 98
﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ﴾	251	97، 208
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي... ﴾	259	142، 143
﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾	275	11
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ... ﴾	21	197
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ... ﴾	23	77، 114
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي... ﴾	24	114، 149
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	31	110
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	33	211
﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ... ﴾	35	211

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾	156	30، 48
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ...﴾	157	196، 214
﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن...﴾	160	76
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...﴾	163	228
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ...﴾	171	146
سورة المائدة		
﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ...﴾	24 – 26	58
﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾	115-114	88
﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾	12	135
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾	13	33
﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾	14	90
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ...﴾	18	92، 109
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ...﴾	20	38
﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى...﴾	21	64
﴿هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾	24	82
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى﴾	26	58، 100
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ...﴾	32	197
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ...﴾	44	12
﴿وَمن لم يحكم بِمَا أنزل الله فَأُولَئِك هم الظَّالِمُونَ﴾	45	134

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾	156	31
﴿قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما...﴾	161	د
سورة الأعراف		
﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾	3	د
﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ...﴾	138	48، 163
﴿وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ...﴾	142	56
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي...﴾	143	34
﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾	144	40، 42
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي...﴾	150	50
﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾	155	52
﴿إنا هدنا إليك﴾	156	260
﴿واتبعوه لَعَلَّكُمْ تهتدون﴾	158	128
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	159	139
﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾	160	20
﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ...﴾	163	87
﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا...﴾	169	234
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ...﴾	171	137
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا...﴾	187	238

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِّ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِّ ذَلِكَ... ﴾	30	28
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِّ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ... ﴾	31	165
سورة يونس		
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ...﴾	2	179
سورة يوسف		
﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾	35	34
﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ... ﴾	36	35
﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِّ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾	40	167
﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ... ﴾	37	228
سورة إبراهيم		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	5	38
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِّ عَلَيْكُمْ﴾	6	44
سورة الحجر		
﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾	91	191
سورة النحل		
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾	43	33
سورة الإسراء		
﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	2	55
﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾	40	168

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ... ﴾	79	2085
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا... ﴾	81	210
سورة المؤمنون		
﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ... ﴾	91	147
سورة الفرقان		
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	43	104
سورة الشعراء		
﴿وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾	52	45
﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ﴾	53	45
﴿إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ* وَإِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ﴾	54	45
﴿فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ... ﴾	57	250
﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾	60	46
﴿فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾	61	46
﴿قالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	62	46
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ... ﴾	63	45
﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾	10	167
سورة النمل		
﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	17	210
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي... ﴾	15 -16	208

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الجاثية		
﴿وَإِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا... ﴾	32	130
سورة الأحقاف		
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ... ﴾	33	157
سورة ق		
﴿وَمَا مسنا من لغوب* فاصبر على مَا يَقُولُونَ ﴾	39-38	155
سورة الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ... ﴾	56	151
سورة النجم		
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ... ﴾	28 -27	170
سورة الحديد		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقوا الله وآمنوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ من رَحمته ﴾	28	139
سورة المجادلة		
﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾	8	220
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ... ﴾	14	71
سورة الحشر		
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ... ﴾	2	100
﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	11	102
﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	13	102
﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ... ﴾	14	90

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾	1 – 4	132، 158
سورة الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ*... وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	5–1	224

ثانياً: فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
(﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ يعني من بعد ما اتخذتم العجل)	49
(﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ قَالَ: من بعد مَا أَرَاهُم الله من إحْيَاء الْمَوْتَى...)	106
(﴿خُذُوا مَا آتيناكم بقوّة﴾ قَالَ: بجد)	127
(﴿شُبِّه لَهُم﴾ قَالَ: صلبوا رجلاً غير عِيسَى، شبهوه بِعِيسَى يَحْسبُونَهُ إِيَّاه، وَرفع الله إِلَيْهِ عِيسَى حَياً)	215
(﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: الْيَهُود، و﴿الضَّالِّينَ﴾: النَّصَارَى)	67
(﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ قَالَ: الْعَذَاب وَأَصله الْمَوْت، قَالَ: وَهل تعـرف الْعَـرَب ذَلِك...)	79
(﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ قَالَ: الْمَوْت، أماتهم الله قبل آجالهم، عُقُوبَة بقَوْلهمْ...)	79
(﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ النحل{43}، قال: نزلت في عبد الله بن سلام، ونفر مـن أهل التوراة وكانوا أهل كتب...)	33
(﴿فَإِن كَذَبُوك﴾ قَالَ: الْيَهُود...)	198
(﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ بكفرهم بِهَذَا النَّبِي ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ كَانَ عَلَيْهِم فِيمَا ضيعوه من التَّوْرَاة...)	68
(﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ أَي: ادعوا بِالْمَوْتِ على أَي الْفَرِيقَيْنِ أكذب...)	93
(﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: لَا يُؤمن مِنْهُم إِلَّا قَلِيل...)	137
(﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ غازياً إِلَى جالوت، قَالَ طالوت لبني...)	96
(﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يَعْنِي: الْجنَّة...)	93
(﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ قَالَ: من آل فِرْعَوْن ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ من الْبَحْر غرقاً)	45
(﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ وذلك أنها سبة بلغة اليهود...)	221
(﴿وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قَالَ: طأطئوا رؤوسكم...)	65
(﴿وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاق الَّذين أُوتُوا الْكتاب﴾ قَالَ: الْيَهُود ﴿لتبيننه للنَّاس﴾ قَـالَ: مُحَمَّدًا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم...)	128

الصفحة	طرف الأثر
51	(﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ البقرة {55}، قال: هم السبعون الذي اختارهم موسى...)
138	(﴿**وَإِن من أهل الْكتاب لمن يُؤمن بِاللَّه**﴾ الْآيَة قَالَ: هم مسلمة أهل الْكتاب من الْيَهُود...)
133	(﴿**وَإِن هم إِلَّا يظنون**﴾ قَالَ: إلا يكذبُون)
132	(﴿**وخرقوا لَهُ بَنِينَ وبَنَات**﴾ قَالَ: كذبُوا لَهُ أما الْيَهُود وَالنَّصَارَى،...)
132	(﴿**وخرقوا لَهُ بَنِينَ وبَنَات**﴾ قَالَ: وصفوا لله بَنِينَ وَبَنَات افتراء عَلَيْهِ...)
131	(﴿**وخرقوا**﴾ قَالَ: كذبُوا)
38	(﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ إبراهيم {5}، قَالَ: بِنِعَمِ اللهِ...)
57	(﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾ قَالَ: غمام أبرد من هَذَا وَأطيب،...)
57	(﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ**﴾ **قال:** لَيْسَ بالسحاب هُوَ الْغَمَام الَّذِي يَأْتِي الله فِيهِ يَوْم الْقِيَامَة وَلم يكن إِلَّا لَهُم)
153	(﴿**وَقَالَت الْيَهُود يَد الله مغلولة**﴾ قَالَ: أَي بخيلة)
26	(﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ البقرة{111} قال يريد يَهُوداً فحذف الياء الزائدة ورجع إِلى الفعل من اليهودية...)
211	(﴿**وَقَوْلهمْ على مَرْيَم بهتاناً عَظِيماً**﴾ قَالَ: رَمَوْهَا بِالزِّنَا)
226	(﴿**ولتجدنهم أحرص النَّاس على حَيَاة**﴾ يَعْنِي الْيَهُود ﴿**وَمن الَّذين أشركوا**﴾...)
142	(﴿**ولتسمعن من الَّذين أُوتُوا الْكتاب**﴾: يَعْنِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى...)
55	(﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ**﴾ قَالَ: التَّوْرَاة)
86	(﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ**﴾، قَالَ: عَرَفْتُمْ، وَهَذَا تحذير لَهُم من الْمعْصِيَة،...)
257	(﴿**وَمَا مسنا من لغوب**﴾ قَالَ: من نصب)
216	(﴿**ويسألونك عن الروح**﴾ قال: يهود يسألونه)
181	(﴿**يلوون ألسنتهم بِالْكتاب**﴾ قَالَ: يحرِّفونه)

الصفحة	طرف الأثر
39	(فضلناهم على من بَين أظهرهم)
39	(فضلوا على الْعَالم الَّذِي كَانُوا فِيهِ، ولَكُل زمَان عَالم...)
187	(فَقَالَ رَافع بن حُرَيْمِلَة...)
149	(فَكَلَّمَهُمْ وكلموه، ودعاهم إِلَى الله وحذرهم نقمته...)
154	(فَلَيْسَ لَهُم نصيب، ولَو كَانَ لَهُم نصيب لم يؤتوا النَّاس نقيراً)
67	(فَمن الضالون؟ قَالَ: النَّصَارَى...)
128	(فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل أَن الإِسلام دين الله الَّذِي افترضه على عباده...)
199	(فِي قَول يهود لإِبراهيم وإسمعيل وَمن ذكر مَعَهُمَا...)
76	(قَاتل الله الْيَهُود، لما حرم الله عَلَيْهِم شحومها جملوه...)
29	(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخلن علينا قصبة المدينة إلا مؤمن...)
111	(قَالَ عبد الله بن صوريا الْأَعْوَر للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم...)
222	(قَالَ كَعْب بن أَسد، وَعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، اذْهَبُوا بِنَا إِلَى مُحَمَّد لَعَلَّنَا نفتنه عَن دينه،...)
217	(قال نافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن كنت رسولاً...)
34	(قال يوسف: ﴿**رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ يوسف{33}، من الزنا، ثم إن المرأة قالت لزوجها...)
68	(قَالَ: الْيَهُود، قلت: الضالين؟ قال: النصارى...)
166	(قَالَ: أما أَنهم لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، ولَكنهُمْ أطاعوهم فِي...)
182	(قَالَ: تَبْدِيل الْيَهُود التَّوْرَاة).
118	(قال: رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا...)

الصفحة	طرف الأثر
50	(قَالَ: لما أمرت بَنو إسرائيل بقتل أَنْفسهَا برزوا وَمَعَهُمْ مُوسَى،
154	(قَالَ: نزلت فِي يهود)
33	(قال: هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه...)
119	(قَالَا: كَعْب بن الْأَشْرَف)
169	(قَالَت الْعَرَب: الْمَلَائِكَة بَنَات الله وَقَالَت الْيَهُود وَالنَّصَارَى: الْمَسِيح وعُزير ابْنا الله).
90	(قَالَت الْعلمَاء فِيمَا حفظوا وَعَلمُوا: إنه لَيْسَ على الأَرْض قوم...)
200	(قَالَت الْيَهُود: إِبْرَاهِيم على ديننَا وَقَالَت النَّصَارَى...)
168	(قَالَت الْيَهُود: الْمَلَائِكَة بَنَات الْحق...)
168	(قَالَت الْيَهُود: إِن الله عز وَجل صاهر الْجِنّ فَكَانَت بَينهم الْمَلَائِكَة...)
209	(قَالَت الْيَهُود: انْظُرُوا إِلَى مُحَمَّد يخلط الْحق...)
110	(قَالَت الْيَهُود: لن يدْخل الْجنَّة إِلَّا من كَانَ يَهُودِيّا، وَقَالَت النَّصَارَى...)
141	(قَالَهَا رجل وَاحِد اسْمه فنحَاص)
168	(قد قَالَ ذَلِك أنَاس من النَّاس وَلَا نعلمهُمْ إِلَّا الْيَهُود...)
51	(كَانَ أَمر مُوسَى قومه عَن أَمر ربه أَن يقتل بَعضهم...)
128	(كَانَ أَمرهم أَن يتبعوا النَّبِي الْأُمِّي الَّذِي يُؤمن بِاللَّه وكلماته...)
221	(كان رجلان من اليهود مالك بن الصيف...)
199	(كَانَ عِنْد الْقَوْم من الله شَهَادَة أَن أنبياءه بُرَآء من الْيَهُودِيَّة والنصرانية)
184	(كَانَ نَاس من الْيَهُود يَكْتُبُونَ كتاباً...)
195	(كَانَت بَنو إِسْرَائِيل فِي الْيَوْم تقتل ثَلَاثمِائَة نَبِي، ثمَّ يُقِيمُونَ سوق بقلهم فِي آخر النَّهَار)
234	(كَانَت بَنو إِسْرَائِيل لَا يستقضون قَاضِياً إِلَّا ارتشى فِي الحكم، فَإِذا قيل لَهُ، يَقُول: سيُغفر لي)

ثالثاً: فهرس الكتاب المقدس

رابعاً : فهرس الأعلام المترجم لهم

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعاً ودراسة عقدية، يوسف الحوشان، وهي رسالة دكتوراة في العقيدة والمذاهب والمعاصرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

2- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله الجربوع، ط1(1423هـ - 2003م)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

3- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت- شعيب الأرناؤوط، ط1(1408هـ - 1988م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

4- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ت- جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1(1404هـ - 1984م)، دار الكتب العلمية، لبنان.

5- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، ط4، بدون تاريخ، مكتبة السنة.

6- الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، محمود عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، العدد111.

7- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، بدون رقم طبعة، (1415هـ - 1995م)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان.

8- إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، ت- د. محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، ط1(1410هـ - 1989م)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

9- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أبو بكر البيهقي، ت- أحمد عصام الكاتب، ط1(1401هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

10- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط5(مايو 1980)، دار العلم للملايين، بيروت.

11- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ت- محمد حامد الفقي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

12- الإمام السيوطي داعية الاجتهاد والتجديد، د. مروان القدومي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ.

13- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت- عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1(1418هـ - 1997م)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

14- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، ط2(1420هـ - 2000م)، دار الشروق، القاهرة.

15- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقب بالزبيدي، ت- مجموعة من المحققين، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ دار الهداية.

16- تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون، ط1(1348هـ - 1929م)، مطبعة الاعتماد، مصر.

17- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت- عمرو بن غرامة العمروي، بدون رقم طبعة(1415هـ - 1995م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

18- التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطي، ت- اليزابيت ماري سارتين، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، الطبعة العربية الحديثة.

19- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، بدون رقم طبعة، (1984م)، الدار التونسية للنشر، تونس.

20- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.

21- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت- عبد الصمد شرف الدين، ط2(1403هـ - 1983م)، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة.

22- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، ت- محمود عبد الرحمن قدح، ط1(1419هـ - 1998م)، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

23- تفسير الرازي، والمسمى مفاتيح الغيب والتفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط3(1420 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

24- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، بدون رقم طبعة، (1990)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

25- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ت- أسعد محمد الطيب، ط3(1419هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.

26- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت- سامي بن محمد سلامة، 481/3، ط2(1420هـ - 1999م)، دار طيبة للنشر والتوزيع.

27- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، 840/14، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكر العربي، القاهرة.

28- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشهير بالماوردي، ت- السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

29- التفسير الوسيط،، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط1(1422 هـ)، دار الفكر - دمشق.

30- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة.

31- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت- شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

32- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت- زهير الشاويش، ط1(1423هـ - 2002م)، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

33- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت- أوتو تريزل، ط2(1404هـ - 1984)، دار الكتاب العربي، بيروت.

34- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت- أحمد محمد شاكر، ط1(1420 هـ - 2000 م)، مؤسسة الرسالة.

35- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ت-محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1(1422هـ)، دار طوق النجاة.

36- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، ت- أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2(1384هـ - 1964 م)، دار الكتب المصرية، القاهرة.

37- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1(1967م- 1387ه)، دار إحياء الكتب العربية.

38- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكر، بيروت.

39- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1(1424ه- 2003م)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية.

40- رسالتان في الرد على اليهود، الرسالة الأولى الحسام الممدود في الرد على اليهود، تأليف أبي محمد عبد الحق الإسلامي كان يهودياً فأسلم، الرسالة الثانية الرد على من

قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب، تأليف السلطان العلوي الشريف أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، ط1(1422هـ - 2001م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

41- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، ط4(1410هـ - 1989م)، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت.

42- الروايات التفسيرية في فتح الباري، عبد المجيد الشيخ عبد الباري، ط1(1426هـ - 2006م)، وقف السلام الخيري.

43- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى، ت- إحسان عباس، ط2(1980)، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.

44- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت- عبد الرزاق المهدي، ط1(1422هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

45- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ط27(1415هـ - 1994)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

46- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، ت- حاتم صالح الضامن، ط1(1412هـ - 1992م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

47- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ط1(1422هـ - 2002م)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

48- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، 227/3، ط1(1412هـ - 1992م)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

49- السلفية، محمد عمارة، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار المعارف والنشر، تونس.

50- السنة المفترى عليها، سالم البهنساوي، ط3(1409هـ - 1989م)، دار الوفاء، القاهرة، دار البحوث العلمية، الكويت.

51- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت-محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

52- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، ت-محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

53- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت-أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة، ط2(1395هـ - 1975م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

54- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت- حسن عبد المنعم شلبي، ط1(1421هـ - 2001م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

55- السيرة الحلبية أو إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، ط2(1427هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

56- السيرة النبوية، ابن كثير، ت- مصطفى عبد الواحد، بدون رقم طبعة(1395هـ - 1976)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

57- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ت- مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2(1375هـ - 1955م)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

58- سيمات اليهود في القرآن الكريم، أحمد عودة، ط1، جمادي الثانية (1432هـ - 2011م)، جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد، بيروت، لبنان.

59- الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ - وسمات - ومصير، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط1(1419هـ- 1998م)، دار القلم، دمشق.

60- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ت- محمود الأرناؤوط،، ط1(1406هـ - 1986م)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

61- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت- سعد فواز الصميل، ط5(1419هـ)، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

62- شرح صحيح البخارى، لابن بطال، ت- أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2(1423هـ - 2003م)، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض.

63- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، ت- د. السيد محمد السيد وسعيد محمود، ط1(1414هـ - 1994م)، دار الحديث، القاهرة.

64- الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، ت- محمد محي الدين عبد الحميد، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

65- صحيح أبوداود، الألباني، ط1(1423هـ - 2002م)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

66- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط5، بدون تاريخ، مكتبة المعارف، الرياض.

67- صحيح وضعيف الجامع الصغير، الألباني، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، المكتب الإسلامي.

68- الصهيونية تحرف الإنجيل، سهيل التغلبي، بدون رقم طبعة(1999م)، بدون دار نشر.

69- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. ، وانظر: الأعلام، 333/5.

70- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الملقب بالمؤيد بالله، ط1(1423هـ)، المكتبة العصرية، بيروت.

71- عصر سلاطين المماليك، د. قاسم عبده قاسم، ط1(1415هـ -1994م)، دار الشروق، القاهرة.

72- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

73- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ت- محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم طبعة(1379هـ)، دار المعرفة، بيروت.

74- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

75- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط17(1412هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

76- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، ط1(1356هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

77- قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه، أحمد تيمور، بدون رقم طبعة 1346هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

78- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط2(محرم، 1424هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

79- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، ت- عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1(1418هـ - 1997م)، الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

80- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت- ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1(1403هـ - 1983)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

81- كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط4(1423هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

82- الكتاب المقدس.

83- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ط3(1407)، دار الكتاب العربي، بيروت.

84- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت- علي حسين البواب، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الوطن، الرياض.

85- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، ت- عدنان درويش - محمد المصري، بدون رقم طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

86- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ت- خليل منصور، ط1(1418هـ - 1997م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

87- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، ط3(1414هـ)، دار صادر- بيروت.

88- الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار، ط1(1410هـ - 1990م)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

89- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ط2(1402هـ - 1982م)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

90- مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية، نور الدين عادل، ط1(1428هـ - 2007م)، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض.

91- مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 238، المكتبة الشاملة.

92- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ت- حسام الدين القدسي، بدون رقم طبعة(1414هـ - 1994م)، مكتبة القدسي، القاهرة.

93- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بدون رقم طبعة(1416هـ - 1995م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

94- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي، ت- محمد باسل عيون السود، ط1(1418هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

95- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ت- عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1(1422هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

96- محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب المقدسة، سامى عامرى، 142، 143، ط1(1426هـ - 2006م)، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة.

97- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت- يوسف الشيخ محمد، ط5(1420هـ - 1999م)، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

98- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت- أحمد شمس الدين، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

99- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ت-مصطفى عبد القادر عطا، ط1(1411هـ - 1990)، دار الكتب العلمية، بيروت.

100- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت- شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، ط1(1421هـ - 2001م)، مؤسسة الرسالة.

101- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت-محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

102- المسيحية، أحمد شلبي، ط10(1998)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

103- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، المكتبة العتيقة، ودار التراث.

104- معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، أبو محمد البغوي، ت- عبد الرزاق المهدي، ط1(1420هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

105- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين السيوطي، ط1(1408هـ - 1988)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

106- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط2(1995م)، دار صادر، بيروت.

107- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الدعوة.

108- معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي، ت- عبد المعطي أمين قلعجي، ط1(1412هـ - 1991م)، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة).

109- مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار القلم، دمشق.

110- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، بدون رقم طبعة(1405هـ)، دار الفكر، بيروت.

111- مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2(1398هـ - 1978م)، دار القلم، دمشق، بيروت. وانظر: بنو إسرائيل، 425.

112- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، ت- محمد سيد كيلاني، بدون رقم طبعة(1404هـ)، دار المعرفة، بيروت.

113- موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمن قدح، العدد (107)، (1419/1418هـ)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

114- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط1(1420 - 1999م)، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية.

115- موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، الإمام الألباني، 226/8، 227، ط1(1431هـ - 2010م)، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، اليمن.

116- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت، ط2(1427 هـ)، طبع الوزارة.

117- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط4(1420)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

118- موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، د. سارة بن حامد بن محمد العبادي، ط1(1426هـ - 2005م)، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية.

119- الميسر في علوم الحديث، د. أحمد أبو حلبيية و د. نعيم الصفدي، ط1 (1426هـ - 2005م).

120- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، مكتبة وهبة.

121- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، ت- إبراهيم الأنباري، ط2(1400هـ - 1980م)، دار الكتاب اللبنانين، بيروت.

122- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ت- طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، بدون رقم طبعة(1399هـ - 1979)، المكتبة العلمية، بيروت.

123- الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط1(1422هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

124- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ت- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، ط1(1415هـ - 1994م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

125- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ، دار الفكر العربي.

126- اليهود في القرآن والسنة بعض من خلائقهم، د. محمد أديب الصالح، ط1(1413هـ - 1993)، دار الهدى للنشر والتوزيع.

127- اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني، د. قاسم عبده قاسم، ط1(1980)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

128- اليهود في مصر، د. قاسم عبده قاسم، ط1(1413هـ - 1993م) دار الشروق، القاهرة.

129- اليهودية والمسيحية في الميزان، د. عماد الدين الشنطي، ط1(1425هـ - 2004م)، مكتبة ومطبعة دار المنارة.

130- اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، يسر محمد سعيد مبيض، ط1(1412هـ - 1992م)، دار الثقافة، قطر.

سادساً: قائمة المحتويات

ملخص الدراسة باللغة العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذا البحث بعنوان **(الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود وأصول الإيمان عندهم في تفسير السيوطي)**

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

في المقدمة: بينت أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ثم ذكرت خطة البحث، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث.

وفي الفصل التمهيدي: تحدثت عن ترجمة موجزة للإمام السيوطي، ثم التعريف بالدر المنثور وقيمته العلمية، ثم التعريف بمصطلحي الأثر والسلف، ثم الحديث عن اليهود في عصر السيوطي.

ثم انتقلت إلى الفصل الأول: وتحدثت فيه عن الآثار الواردة عن السلف في حقيقة اليهود، وقد اشتمل على أسماء بني إسرائيل، ثم نعم الله عليهم، ثم عقاب الله لهم، ثم صفاتهم، كل ذلك من خلال الآثار الواردة عن السلف في تفسير السيوطي.

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن الآثار الواردة عن السلف في أصول الإيمان عند اليهود، وقد اشتمل على موقفهم من الإيمان بالله، ثم الإيمان بالملائكة، ثم الإيمان بالكتب، ثم الإيمان بالأنبياء، ثم الإيمان باليوم الآخر، كل ذلك من خلال الآثار الواردة عن السلف في تفسير السيوطي.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأهم هذه النتائج:

معظم القصص القرآني التي تحدث عنها القرآن تتعلق ببني إسرائيل وأحوالهم، وهذا يدعونا إلى التأمل في صفات وأخلاق ومواقف بني إسرائيل، للاستفادة منها في حياتنا اليومية.

وأهم التوصيات:

- تخريج الآثار الواردة في الدر المنثور والحكم عليها.
- دراسة بعض المواضيع الفرعية بتوسع أكثر من خلال كتب التفسير، مثل الآثار الواردة في صفات اليهود فقط في كتب معين من كتب التفسير.

Abstract

Praise be to Allah, The Lord of the universe and pray and peace upon the most honourable messangers "Mohammed" Pray and peace upon him and his God and accompained by oban:

The title of this research is "The effects containd about the ancestors in Jews fact and faith orginal in Al-Swatty's explaintion"

The research contains introduction, summarize, two chapters and conclusion, in the introduction: I desplay the theme importance and cause of it choice. Imention the research plan and the carriculum which I followed in the research writing.

In the introducory section: I talked about brief translation for Al-Emam Al – Swatty and its knowing with "Al-Dor El-Manthor" and its scientific value, knowing with idoms of effect and ancestor and talking about jews in al-Swatty's century.

Then, I transferred to the first champter, I talked about the effects contained about the ancestors in Jews facts.

It included on Bani. Israel's names Blesses of Allah, punishment of Allah to them (Jews) and their characteristics through the effects contained about the ancestors in Al-Swatty explanation.

After that, I transferred to the second chapter, I talked about "The effects contained about the ancestor in the faith orginal at Jews".

It included on their situation from faith with Allah, faith with angels, faith with books, faith with prophet "messanger" and dooms day all this through the effects contained about ancestors in Al-Swatty's explaination.

Finally the conclusion:

I cited the most results and recommendations, the most of these results are the following:

- Most of Quran Stories which Quran recited belonged to Bani Israel's characteristic, moral and situations to benefit in daily life.

The most recommendations are:

- The effects contained should be turned out in "Al-Dor El-Manthor" and control it.
- Studing some sub-themes by more expansion through explaination books, subh as "The effect contained in Jews, characristics only in certain book from explaination book.